العافية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ م

رقم الإيداع

٢٠٢١/٨٩٣٤م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6827-40-0

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع
daralamal2014@gmail.com
(+2) 01000282166

دار التميز
دار التميز للطبع والنشر والتوزيع
+2 0100 790 5106 +2 0100 287 5636

الغاية

إعداد
محمد أحمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

دار الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، أحمده على عافيته ونُعماه، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على عبدِه ورسولِه، وخليلِه محمدٍ الذي اختاره واجتباه، وأحبَّه وارتضاه، وعظَّمه وكرَّمه ورَفَعَه على مَن سواه، اللهم صَلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه وسائرِ من اتبع هُداه.

أما بعد:

هل تريد النجاةَ من بلاء الدنيا العاجلة وشقاء الآخرة الآجلة؟

هل تتوق إلى السلامة من الكفر والبدع والكبائر والصغائر، والأوبئةِ والأمراض والأسقام والمصائبِ، والفتنِ ما ظهر منها وما بطن؟

هل تطمح إلى أن يُؤْتِيَكَ اللهُ في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنة، وأن يَقِيَكَ عذابَ النار؟

هل تتشوق إلى أن تنال الخيرَ كلَّه عاجلَه وآجلَه ما علمتَ منه وما لم تعلم، وأن تَسْلَمَ من الشر كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علمتَ منه وما لم تعلم؟

هل تتطلع إلى الرزق الواسع، والحياة الطيبة، والعيشة الهنية، السعيدة الرضية في دورك الثلاث الدنيا والبرزخ والآخرة؟

وإذا كنت مِمَّن قَلَّ حَظُّه من حفظ الأدعية المأثورة في الوحيين الشريفين، أو كنت لا تُحْسِنُ «دَنْدَنَةَ» من يحفظونها ويسألون الله بها، أو كنتَ تحفظها ولكن

ضاق وقتُك عن الإتيان بها، أو تعجَّل إمامُك في الصلاة، ولم يُمهِلْك حتى تناجيَ ربَّك بها؛ فهل تعلم أن الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والذي أُوتي جوامِعَ الكَلِمِ، واختُصِرَ له الكلامُ اختصارًا، قد جمع لك كلَّ المقاصدِ الآنفةِ الذكْرِ في كلمةٍ واحدة، وحثَّ على الإكثارِ من الدعاء بها؟

إنها (العافيةُ) كلمة لا يساويها دعاءٌ، ولا يقوم مقامَها شيءٌ من الكلام الذي يُدعى به ذو الجلال والإكرام، يحتاجها المُعافَى والمبتَلى، والحيُّ والميتُ، وهي خيرُ ما يُعْطاه العبدُ بعد نعمةِ التوحيدِ والإخلاصِ واليقينِ.

وفي هذه العُجالة نحاول أن نُلَمْلِمَ ما تفرق من أطراف «فقه الدعاء بالعافية»، وسائر ما يتعلق بها، ثم نخص (عافية الأبدان) بذكر أسباب تحصيلها من الوحيين الشريفين، ونحن نعاصر محنةً اجتاحت البشرية، وهي وباء «الكورونا» الذي أهلك أُمَمًا، وأذلَّ دُوَلًا، وأفقر شعوبًا، وأذاب قلوبًا مصداقَ قول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]. وما أكثر ما تبثه وسائل الإعلام والتواصل من برامِجَ تعلِّم الناسَ أسبابَ الاحتراز والوقاية، وتصف العلاجَ والأدويةَ واللقاحاتِ، لكنها في أغلب الأحوال تهمل السبب الحقيقي وراء هذه الأمراض المُحْدَثة[1]، وتسكت عن

(١) انظر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ص١٠٧، ١٠٨).

أنواع من التوجيه النبوي الروحي الذي هو أحسن عاقبة وأعمق أثرًا في الوقاية والعلاج معًا.

نسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يُسْبِغَ علينا ثوبَ العافية التامة المطلقة، وأن يكشف عنا الوباء والبلاء، وأن لا يؤاخذنا بما كسبت أيدينا، وأن لا يُهلكَنا بما فعل السفهاء منا.

محمد أحمد إسماعيل المقدم

ثغر الإسكندرية في

الاثنين ٩ من ذي الحجة ١٤٤٢هـ

الموافق ١٩ من يوليو ٢٠٢١م

الباب الأول

كَنْزُ العافِيـةِ

معنى العافية

قال الليث: العافية دفاع الله تعالى عن العبد، وهو اسمٌ وُضِعَ موضع المصدر الحقيقي، يقال: عافاه الله عافية[١].

والعافية هي الصحة التامة، والبرء من الأسقام والبلايا.

قال الفيروزآبادي:

«والعافية: دِفاع الله عن العبد، عافاه الله تعالى من المكروه عِفاءً ومُعافاةً وعافِيةً: وهب له العافية من العِلَل والبلاء»[٢].

وقال ابن منظور: «وأما العافية فهو أن يعافيه الله تعالى من سُقْمٍ أو بَلِيَّة، وهي الصحة ضِدُّ المرض، يقال: عافاه اللهُ وأعفاه، أي وَهَبَ له العافيةَ من العِلَل والبلايا، وأما المعافاةُ فأن يعافيَك الله من الناس، ويُعافِيَهم منك، أي: يُغنيك عنهم، ويُغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك، وأذاك عنهم.

وقيل: هي مفاعلة من العفو، وهو أن يعفو عن الناس، ويَعفُوا هم عنه[٣].

وقال الزمخشري: «العفو أن يعفو عن الذنوب، والعافية أن يسلم من الأسقام والبلايا، والمعافاة أن يعفو الرجل عن الناس ويعفوا عنه، فلا يكون

(١) «لسان العرب» (١٥/ ٧٣).
(٢) «القاموس المحيط» (ص١٦٩٣).
(٣) «لسان العرب» (١٥/ ٧٢).

يوم القيامة قِصاص، وهي مفاعلة من العفو، وقيل هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك»[١].

وإذا كانت العافيةُ دِفاعَ الله عن العبد، فإنَّ الدَّاعيَ بها يسألُ رَبَّه عَزَّوَجَلَّ أن يدفعَ عنه كلَّ ما يَنُوبُه.

والعافيةُ في الدُّنيا هي: دِفاعُ اللهِ عنِ العبدِ جميعَ الأسقامِ والبلايا، وجميعَ ما يَكرَهُه ويَشِينُه.

والعافيةُ في الآخرةِ هي: دِفاعُ اللهِ عنه جميعَ أهوالِ الآخرةِ وأفزاعِها.

ولا يَخرُجُ مطلوبُ العبدِ مِن هذَينِ القِسمَينِ، واللهُ أعلمُ.

فالعافية إذًا تشمل أمور الدنيا والآخرة، وهو الظاهر من كلام أهل اللغة، لأن قولهم: «دفاع الله عن العبد» غير مقيد بدفاعه عنه لأمور الدنيا فقط، بل يعم كل دفاع يتعلق بالدنيا والآخرة.

وقال الحكيم: «العفو والعافية مشتقٌّ أحدُهما من الآخر، إلا أنه غلب عليه في اللغة استعمال العفو في نوائب الآخرة، والعافية في نوائب الدنيا، وذَكَرهما في الحديث[٢] في الدارين إيذانًا بأنهما يرجعان إلى شيء واحد، فيقال في محل العقوبة: عفا عنه، وفي محل الابتلاء: عافاه، ثم المطلوب عافية لا يصحبها أَشَرٌ ولا بَطَرٌ واغترار بدوامها»[٣].

---

(١) نقله عنه المناوي في «الفيض» (٢/ ٣٢).

(٢) يعني حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظره (ص٢٢).

(٣) نقله عنه المناوي في «الفيض» (٢/ ٣٢، ٣٣).

وقال الإمام المحقِّق ابن قيم الجوزية في بيان الفرق بين العفو، والعافية، والمعافاة: «وهذه الثَّلاثةُ تَتضمَّنُ إزالةَ الشُّرورِ الماضيةِ بالعفوِ، والحاضرةِ بالعافيةِ، والمُستقبَلةِ بالمُعافاةِ؛ فإنَّها تَتضمَّنُ المداوَمةَ والاستِمرارَ على العافية»[١].

(١) «الطب النبوي» (ص١٥٨).

فصل

الدعوة بالعافية جامعة كافية

إنَّ الدعوة بالعافية جامعة كافية، وشافية وافية، ومن فقه حقيقة العافية واظب على الدعاء بها ليحظى بخير الدنيا وخير الآخرة.

ومَن حاز العافيةَ فقد حاز نفائسَ الرِّزق؛ لأنَّ العافيةَ هي مِفتاحُ النَّعيمِ، وبابُ الطَّيِّباتِ، وكَنْزُ السُّعَداءِ، والخيرُ بدُونِها قليلٌ ولو كثُر، والعِزُّ بدُونِها حقيرٌ ولو شرُف.

والعافيةُ مِن أجَلِّ نِعَمِ الله على عبدِه، بل العافيةُ المطْلَقةُ أجَلُّ النِّعَمِ على الإطلاق؛ لأنَّها لتحصيلِ المقاصدِ وافية، ولدفعِ البلايا كافية.

إنَّ العافيةَ المطْلقةَ هي العافيةُ مِنَ الكفرِ والبدع والفُسوقِ والعِصيانِ والغفْلة، والأمراضِ والأسقامِ والفِتَنِ، وفِعلِ ما لا يُحِبُّهُ الله، وتَرْكِ ما يُحِبُّه؛ ومِن هنا كانتِ الدَّعوةُ بالعافيةِ دَعوةً جامعةً شاملةً للوقاية مِنَ الشُّرورِ كلِّها في الدُّنيا والآخرة.

قال شَكَلُ بنُ حُمَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، عَلِّمْني دُعاءً أَنتفِعُ به، قال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ عافِني مِن شَرِّ سَمْعي، وبَصَري، ولِساني، وقلبْي، وشَرِّ مَنِيِّي**»[(١)].

وكلُّ هذا مِن معاني العافية.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٥٥٤١)، وأبو داود (١٥٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٣)، والنسائي (٨/ ٢٦٠)، وقال محقق «المسند»: «إسناده صحيح، رجاله ثقات» (٢٤/ ٣٠٥).

ومما تشمله العافية: نعمة ستر الله على عبده معاصيه ونقائصه، فعن مؤمل ابن إسماعيل قال: سمعت سفيان الثوري يقول: «السَّتر من العافية»[١].

والغنى من معاني العافية:

عن أيوب قال: كان أبو قلابة يَحُثُّني على الاحتراف، ويقول: «إن الغنى من العافية»[٢].

وعن شيخ من بني تميم عن وهب قال: «رؤوس النعم ثلاثة:

فأولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمةٌ إلا بها،

والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها،

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيشُ إلا بها»[٣].

وقال أبو علي الساجي:

لا تَـأْسَ من دنيا على فائتٍ ... وعندك الإسلامُ والعافيهْ

إن فات شيءٌ كنتَ تسعى له ... ففيهما من فائتٍ كافيهْ

وقال بعضهم: «العيشة الراضية هي الغنى والعافية».

وقال الشاعر:

إني وإن كان جمعُ المال يُعجبني ... ما يَعْدِلُ المالُ عندي صحةَ الجَسَدِ

المالُ زَيْنٌ وفي الأولادِ مَكْرُمَةٌ ... والسُّقْمُ يُنْسِيكَ ذِكْرَ المالِ والولدِ

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٦، ١٩).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٣٥١).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٦٨).

وقال أبو القاسم الوزير المغربي:

إذا عُوفي المرءُ في جسمه ... وملَّكه اللهُ قلبًا قَنُوعا

وألقى المطامِعَ عن نفسه ... فذاك الغَنيُّ ولو مات جُوعا

وقال أكثم بن صيفي: «العافيةُ المُلْكُ الخَفِيُّ»(١).

ولما أراد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُبينَ قَدْرَ أخيه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ شبَّهه بالعافية، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: أيَّ رجلٍ كان الشافعي؛ فإني سمعتُك تُكثِر من الدعاء له؟

فقال: «يا بُنَيَّ! كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذَيْنِ من خَلَفٍ، أو عنهما مِن عِوَضٍ؟»(٢).

وروى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ قال: حجَّ الحَجَّاج فنزل بعض المِياه ودعا بالغَدَاء، فقال لحاجبه: انظر من يَتَغَدَّى معي، وأسأله عن بعض الأمر؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شَمْلتين(٣) من شَعَرٍ نائم، فضربه برجله، وقال: ائت الأميرَ، فأتاه؛ فقال له الحجاج: اغسِلْ يدك وتَغَدَّ معي؛ قال: «إنه دعاني مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته»؛ فقال له الحجاج: من الذي دعاك؟ قال: «اللهُ تعالى دعاني إلى الصوم فَصُمْتُ»؛ قال: في هذا اليوم الحارِّ؟ قال: «نعم، صُمْتُ ليومٍ أحرَّ منه»؛ قال: فأفطِر وتصوم غدًا؛ قال: «إنْ ضمنتَ لي

(١) «بهجة المجالس» (١/ ٣٨٤).

(٢) «الانتقاء» لابن عبد البر (ص٧٤)، و«تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠٤).

(٣) **الشَّمْلَةُ**: كساء من صوف أو شعر يُتَغَطَّى به ويُتَلَفَّف به.

البقاءَ إلى غد»؛ قال: ليس ذاك إليَّ؛ قال: «فكيف تسألني عاجلًا بآجل لا تقدِر عليه»؟؛ قال: إنه طعامٌ طيِّب؛ قال: «إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبَّازُ، ولكن طيَّبَتْه العافية»[١].

وقال ابن الرومي:

قد ذقتُ أنواعَ الطُّعُومِ فلم أَجِدْ فيهنَّ طَعْمًا مثلَ طعمِ العافيهْ[٢]

(١) «عيون الأخبار» (٢/ ٣٩٥).

(٢) «ديوان ابن الرومي» (٢٦٢٧) رقم (١٥١١).

فصل

عافية الدِّين فَوْقَ كلِّ عافية

العافيةُ لا يَعدِلُها شيءٌ مِن أمرِ الدُّنيا بعد الإيمانِ واليقينِ؛ لأنَّ عافيةَ الدِّينِ فوقَ كلِّ عافيةٍ.

فأَوْلى ما يُسألُ فيه العافيةُ: العافيةُ في الدِّينِ؛ ولذلك كان يقولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**ولا تَجعَلْ مُصيبتَنا في دِينِنا**»[١].

مِن كلِّ شَيءٍ إذا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ ... وما مِنَ اللهِ إنْ ضَيَّعْتَ مِن عِوَضِ

آخر:

إذا أبقتِ الدنيا على المرءِ دينَه ... فما فاته منها فليس بضائرِ

وقال أيضًا في دعائِه الشَّريفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهمَّ أَصلِحْ لي دِيني الَّذي هو عِصمةُ**[٢] **أَمْرِي**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٦)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٦٨)، والمصيبة في الدين تكون بفساد الاعتقاد، والبدع، والتقصير في الطاعات، وفعل المحرمات، أو تسليط الكفار والمنافقين والظلمة على أهل الدين والإيمان.

(٢) **العصمة**: ما يُعْتَصَم به، أي: يُسْتَمْسَك، ويُتَقَوَّى به في أموره كلها لئلا يدخل عليها الخلل.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٨)، وغيرهما.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا شرع في سفر يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من الحَوْرِ[١] بعد الكَوْنِ[٢]، ودعوةِ المظلوم، وسوءِ المنظرِ في الأهل والمالِ»[٣].

ومن هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢].

ذُكِرَ أن عجوزًا في مكة كانت تغزل الصوف في أول النهار، حتى إذا أوشكت على إتمام غزلها آخر النهار نقضت غزلَها وأفسدته، ثم عادت إلى الغزل والنقض مرة أخرى، وهكذا كان دأبها وشأنها أبدًا[٤]، وفي هذا النهي تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين من نقض أعمالهم الصالحة بأعمال سيئة، كالتولي عن الإيمان، واستبدال المعصية بالطاعة.

وقال ابن أبي مُلَيْكَة: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجعَ على أعقابنا، أو نُفْتَن»[٥].

---

(١) **الحور**: النقصان والرجوع.

(٢) وفي رواية: الكَوْر، والكَوْن: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أي الرجوع من شيء إلى شيء من الشر، أو الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص، ومَن رواه بالراء فهي الزيادة، مأخوذ من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها، فالمعنى: التعوذ من الانتقاص بعد الزيادة والاستكمال، ورواية الكون معناها مأخوذ من الاستقرار والثبات، فالمراد التعوذ من النقصان والتغيير بعد الثبات والاستقرار.

(٣) رواه من حديث عبد الله بن سرجس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم (١٣٤٣)، والترمذي (٣٤٣٩)، والنسائي في «العمل» (٤٩٩)، وابن ماجه (٣٨٨٨).

(٤) وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد، «هذا مَثَلٌ لمَن نقضَ عهدَه بعد توكيده»، وعلق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا القول أرجح وأظهر، سواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا» اهـ. من «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٦٠٥).

(٥) رواه البخاري (٧٠٤٨).

فصل

أكْثِر الدعاءَ بالعافية

مما يدل على أن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية، ولا يقومُ مقامَه شيءٌ من الكلام الذي يُدْعَى به ذو الجلال والإكرام، وأن من أوتي العافية في الدنيا والآخرة، فقد أُوتي الخيرَ بحذافيره، وأن العافية لا يعدلها شيء.

أن العبَّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ -رضي الله تعالى عنه-، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، علِّمْني شيئًا أَسألُه اللهَ عَزَّوَجَلَّ، قال: «**سَلِ اللهَ العافيةَ**»، فمكثتُ أيَّامًا، ثمَّ جِئتُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، علِّمْني شيئًا أَسألُه اللهَ، فقال لي: «**يا عبَّاسُ، يا عمَّ رسولِ اللهِ، سَلِ اللهَ العافيةَ، في الدُّنيا والآخرة**»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا عَمِّ! أكْثِرِ الدعاءَ بالعافية**»[(٢)].

قال الإمام الكبير محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت: ٨٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في خاتمة كتابه «عُـدَّة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» معلقًا على الحديثين الآنفي الذكر:

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٦)، والترمذي (٣٥١٤) وصححه، والإمام أحمد (١/ ٢٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٢٩) وقال: «صحيح على شرط البخاري»، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٣).

«فلينظر العاقلُ مِقدارَ هذه الكلمة التي اختارها رسولُ الله ﷺ لعمه مِن دون الكَلِم، ولْيؤمِنْ بأنه ﷺ أُعطِيَ جوامعَ الكلم، واختُصِرَتْ له الحِكَمُ، فإن مَن أُعطِيَ العافيةَ فاز بما يرجوه ويحبه قلبًا وقالَبًا ودينًا، ووُقِيَ ما يخافه في الدارين علمًا يقينًا، فلقد **تواتر عنه** ﷺ **دعاؤه بالعافية، وورد عنه** ﷺ **لفظًا ومعنًى من نحو خمسين طريقًا**. هذا وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصومُ على الإطلاق حقيقةً، فكيف بنا ونحن غَرَضٌ لسِهام القَدَرِ وغَرَضٌ بين النفس والشيطان والهوى، كما وَرَدَ في الخبر: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ولْيَكُنْ ذِلكَ آخِرَ مَا نَعُدُّهُ مِنْ عُدَّةِ الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين»[(١)].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد كان رسول الله ﷺ يُنْزِلُ عمَّه العباسَ منزلةَ أبيه، ويرى له من الحق ما يراه الولدُ لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاءِ وقَصْرِه على مجردِ الدعاءِ بالعافية تحريكٌ لِهِمَمِ الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويستدفعون به كل ما يُهِمُّهم، ثم كلَّمه ﷺ بقوله: «**سلِ الله العافية في الدنيا والآخرة**»، فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عُدَّةً لدفع كل ضُرٍّ وجَلْبِ كلِّ خيرٍ. اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين آمين»[(٢)].

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص٤٧٢)، ط. دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

(٢) «نفسه» (ص٤٧٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ، فقال: يا رسول الله، أيُّ الدعاءِ أفضل؟ قال: «**سَلِ اللهُ العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة**».

ثم أتاه الغد فقال: يا نبيَّ الله! أيُّ الدعاءِ أفضل؟ قال:

«**سَلِ اللهَ العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة، فإذا أُعطِيتَ العافيةَ في الدنيا والآخرة، فقد أفلحتَ**»[(١)].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ففي هذا الحديث التصريح بأن الدعاء بالعافية أفضل الدعاء، ولا سيما بعد تكريره للسائل في ثلاثة أيام[(٢)] حين يأتيه للسؤال عن أفضل الدعاء، فأفاد هذا أن الدعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية، مع ما قدمنا من اشتماله على جلب كل نفع ودفع كل ضر، ثم في قوله في آخر هذا الحديث: «**فإذا أُعطِيتَ العافيةَ في الدنيا وأُعطِيتَها في الآخرة فقد أفلحت**» دليل ظاهر واضح بأن الدعاء بالعافية يشمل أمور الدنيا والآخرة؛ لأنه قال هذه المقالة بعد أن قال له (سل ربك العافية) ثلاث مرات، فكان ذلك كالبيان لعموم بركة هذه الدعوة بالعافية لمصالح الدنيا والآخرة، ثم رتب على ذلك الفلاح الذي هو المقصد الأسنى والمطلوب الأكبر»[(٣)] اهـ.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٧)، والترمذي (٣٨٤٦)، وابن ماجه (٣٨٤٨)، والإمام أحمد (٣/ ٢٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٤٩٥).

(٢) كما في رواية الترمذي: «ثم أتاه في اليوم الثالث».

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص٤٧٣).

ويُروَى عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من دعوة أحب إلى الله أن يدعوه بها عَبْدٌ من أن يقول: اللهم إني أسألك المعافاةَ -أو قال: العافية- في الدنيا والآخرة**»(١).

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فهذا الحديث قد دلَّ على أن الدعاء بالعافية أحب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من كل دعاء كائنًا ما كان كما يفيده هذا العموم، وتدل عليه هذه الكلية، فجمع هذا الدعاء بهذه الكلمة بين ثلاث مزايا، أولها: شموله لخيري الدنيا والآخرة. وثانيها: أنه أفضل الدعاء على الإطلاق، وثالثها: أنه أحب إلى الله -سبحانه- من كل دعاء يدعو به العبد على الإطلاق كائنًا ما كان»(٢).

فمِن ثمَّ قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لو عرفتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر؛ ما سألتُ الله فيها إلا العافية»(٣).

وعند ابن أبي شيبة أيضًا بلفظ: «لو علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر كان أكثرُ دعائي فيها، أسألُ الله العفو والعافية»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٦٥)، (٣٤٦)، وقال في «المجمع»: «ورجاله رجال الصحيح غير العلاء بن زياد، وهو ثقة، ولكنه لم يسمع من معاذ» (١٠/ ١٧٥).

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص٤٧٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤٢٨)، وراجع كلام الحكيم الترمذي المتقدم (ص١٢).

(٤) «المصنف» (١٠/ ٢٠٧).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله، إنْ وافَقْتُ ليلةَ القدر، فبمَ أدعو؟ قال: «**قُولي: اللهمَّ إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ، فاعْفُ عنِّي**»(١).

وعن أحمد بن عبد الله بن يونس قال: سمعت سفيان الثوري ما لا أحصي يقول: «اللهم سَلِّمْ سلم، اللهم سَلِّمْنا منها إلى خير، اللهم ارزقنا العافية في الدنيا والآخرة»(٢).

وقال عقيل بن خالد في ترجمة الإمام محمد بن شهاب الزهري:

«رأيت علي ابن شهاب خاتمًا نقشه: محمد يسأل الله العافية»(٣).

المعافي والمبتلى كلاهما يحتاج إلى الدعاء بالعافية:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما المُبتلى الذي اشتدَّ به البلاءُ بأحوجَ إلى الدعاءِ من المُعافَى الذي لا يأمن البلاء».

وقال عبد الأعلى التَّيْميُّ:

«أكثِروا سؤالَ العافيةِ؛ فإن المُبتلَى -وإن اشتدَّ بلاؤه- ليس بأحقَّ بالدُّعاءِ من المُعافَى الذي لا يَأمَنُ البلاءَ، وما المُبتلَوْن اليومَ إلا من أهل العافيةِ بالأمس، وما المُبتلوْنَ بعد اليومِ إلا من أهل العافيةِ اليوم».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٤٩٥)، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين» (٤٢/ ٣١٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٩٢).

(٣) «نفسه» (٣/ ٣٧٠).

لـو أنـني أُعْـطِـيـتُ سُـؤْلِـي لما ... سـألـتُ إلا الـعـفـوَ والـعـافـيـهْ
فـكـم فـتًـى قـد بـات في نعمةٍ ... فَـسُـلَّ مـنـهـا الـلـيـلـةَ الثانيه

وقال منصورٌ الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيـتُ الـبـلاءَ كـقَـطْـرِ السماءِ ... ومـا تُـنْـبِـتُ الأرضُ مِـن نامِيَهْ
فـلا تـسـألـنَّ إذا مـا سـألـتَ ... إلهَـك شـيـئًـا سـوى الـعـافـيـهْ

فصل
عافية الدنيا والآخرة
خَيْرُ ما يُعْطاهُ المَرْءُ بعْدَ التوحيدِ

- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ أبا بَكْرٍ -رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ- عَلَى هذَا المِنْبَرِ يقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْيَوْمَ عَامَ أَوَّل يقول، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ أَبُو بَكْرٍ -رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ- فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «**لَنْ تُؤْتَوا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَسَلُوا اللهَ العافِيَةَ**»(١).

وعن أوسط بن عامر البَجَليِّ قال: قَدِمْتُ المَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ يَخْطُبُ النَّاسَ وَقَالَ: قامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامَ أَوَّل، فَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثم قالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ سَلُوا اللهَ المُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِثْلَ الْيَقِينِ بَعْدَ المُعَافَاةِ، ولا أَشَدَّ مِنَ الرِّيبَةِ بَعْدَ الْكُفْرِ،**

(١) رواه الإمام أحمد (١٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٨٦)، وابن حبان (٩٥٠)، والنسائي (٨٨٨)، وقال الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا -أي إسناد النسائي- إسناد صحيح» كما في «تحقيق الإحسان» (٣/ ٢٣١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٧٥٦).
ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٩٦٧١)، وحسَّن محققه الشيخ مختار الندوي إسناده (١٤/ ٣٣٩).

وَعَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَهُمَا في النَّارِ»[١]، قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَرَادَ بِهِ مُرْتَكِبَهُمَا لا نَفْسَهُمَا».

- وعن أبي عبيدة[٢] قال:

قام أبو بكر بعد وفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعام، فقال: قام فينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام أَوَّلَ، فقال: «**إن ابن آدمَ لم يُعْطَ شيئًا أفضلَ من العافيةِ، فاسألوا الله العافيةَ، وعليكُم بالصِّدقِ والبرِّ فإنهما في الجنةِ، وإياكُم والكذبَ والفجورَ فإنهما في النارِ**»[٣].

- وعن أبي الحوراء السَّعدي، قال:

قُلْتُ للحَسنِ بنِ عَلِيٍّ: ما تَذكرُ منْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلْتُهَا فِي فِيَّ، فَانْتَزَعَهَا بِلُعَابِهَا، فَطَرَحَهَا في التَّمْرِ، وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هذَا الدُّعَاءَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ،**

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، وصححه الألباني (٥٥٧)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٨٣)، والإمام أحمد (١/ ٨)، وابن حبان (٩٥٢)، وغيرهم.
وقال الشيخ شعيب: «إسناده قوي» كما في «تحقيق الإحسان» (٣/ ٢٣٣).

(٢) أبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود، لم يدرك أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٦، ٦٦)، وقال محققو «المسند»: «صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه» (١/ ٢١٨، ٢٢٨).

إنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ». قالَ شُعْبَةُ: وَأَظُنُّهُ قالَ: «**تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**»(١).

وسأل قتادةُ أنسَ بنَ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّ دَعْوةٍ كان يَدْعو بها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكثرَ؟ قال: «**كان أَكثرُ دَعْوةٍ يَدْعو بها يَقُولُ: اللَّهُمَّ آتنَا في الدُّنيا حسَنةً، وفي الآخِرةِ حسَنةً، وقِنَا عَذابَ النَّارِ**».

قال: «وكان أَنَسٌ إذا أراد أنْ يَدْعُوَ بدَعوةٍ دَعَا بها، فإذا أراد أنْ يَدْعُوَ بدُعاءٍ دَعَا بها فيه»(٢).

هذا، وقد روَى الإمامُ الطَّبَريُّ في «تفسيره» عن قَتادةَ -راوي الحديث السَّابقِ- أنَّه قال في تفسير قولِ الله -جَلَّ ثَناؤُه-: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، قال: «**في الدُّنيا عافِيةً، وفي الآخِرةِ عافِيةً**»(٣).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجل يقول: اللهمَّ إني أسألُك تمامَ النِّعمةِ، قال: «**يا بْنَ آدَمَ أَتَدْرِي ما تمامُ النِّعْمَة؟**» قال: دَعوةٌ دَعَوتُ بها أَرجو بها الخَيرَ. قال: «**فإنَّ تمامَ النِّعْمَةِ فَوْزٌ من النَّارِ، ودُخولُ الجَنَّة**»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٢٣)، وأبو يعلى (٦٧٦٢)، وابن حبان (٧٢٢)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح» (٣/ ٢٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٠)، واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه» (٩٤٠).

(٣) «تفسير الطبري» (٣/ ٥٤٤).

(٤) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (٢٢٠١٧)، والترمذي (٣٥٢٧)، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٧٠٦).

وقيل لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن إخوانك أَتَوْكَ من البصرة -وهو يومئذ بـ(الزاوية)- لتدعوَ الله لهم، قال: «اللهم اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» فاستزادوه، فقال مثلَها، فقال: «إن أُوتِيتُم هذا، فقد أُوتيتُم خيرَ الدنيا والآخرة»(١).

وقال الحسن: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة.

وقال السدي: «حسنة الدنيا المال، وحسنة الآخرة الجنة».

وقال النووي: «حسنة الدنيا الصحة والعافية، وحسنة الآخرة: التوفيق للخير والمغفرة».

وقال شيخ المفسرين الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ الآية [البقرة:٢٠١].

«والصوابُ من القولِ في ذلك عندي أن يقالَ: إن اللهَ جل ثناؤُه أخبَر عن قومٍ من أهلِ الإيمانِ به وبرسولِه، ممن حجَّ بيتَه، أنهم يَسألُون ربَّهم الحسنةَ في الدنيا، والحسنةَ في الآخرةِ، وأن يَقِيَهم عذابَ النارِ. وقد تَجْمَعُ الحسنةُ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ العافيةَ في الجسمِ والمعاشِ والرزقِ، وغيرِ ذلك، والعلمَ والعبادةَ. وأما في الآخرةِ فلاشكَّ أنها الجنةُ؛ لأن مَن لم يَنَلْها يومَئذٍ، فقد حُرِمَ جميعَ الحسناتِ، وفارَقَ جميعَ معانِي العافيةِ.

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» رقم (٤٩٣).

وإنما قلْنا: إن ذلك أَوْلَى التأويلاتِ بالآيةِ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يَخْصُصْ بقولِه مُخْبِرًا عن قائلِ ذلك من معاني الحسنةِ شيئًا، ولا نَصَب على خصُوصِه دَلالةً دالَّةً على أن المرادَ من ذلك بعضٌ دونَ بعضٍ، فالواجبُ من القولِ فيه ما قلنا، من أنه لا يجوزُ أن يُخَصَّ من معاني ذلك شيءٌ، وأن يُحْكَمَ له بعمومِه على ما عمَّه الله»[(١)].

وَرُوِيَ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ فُتِحَ له منكُمْ بابُ الدُّعاءِ؛ فُتِحَتْ له أَبوابُ الرَّحْمَةِ، وما سُئِلَ اللهُ شَيْئًا: أَحَبَّ إليهِ مِن أَنْ يُسْأَلَ العافِيَةَ**»[(٢)] الحديث.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن دَعْوةٍ يَدْعو بها العبدُ أَفضَلُ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسألُكَ المُعافاةَ في الدُّنيا والآخِرةِ**»[(٣)].

وفي حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ؛ فإنَّ أحدًا لم يُعْطَ بعدَ اليقينِ خيرًا مِنَ العافيةِ**»[(٤)].

لقد قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدرِ هذا الحديثِ «**سَلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ**»، ثمَّ أَتبَعَ ذلك بقولِه: «**فإنَّ أحدًا لم يُعْطَ بعد اليقينِ خيرًا مِنَ**

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٣/ ٥٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، وصححه، ورده الذهبي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٣٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥١)، والديلمي في «الفردوس» (٦١٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨١١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧١٧)، وقال الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٢١): «حسن صحيح»، وانظر (ص٢٦، ٢٧).

العافيةِ»، ولم يقُلْ: خيرًا من العفو والعافية؛ لأنَّ العافيةَ في الشَّطرِ الثَّاني تَشملُ أيضًا العفوَ، فالعفوُ معناهُ: مَحْوُ الذَّنْبِ، ومعنَى العافيةِ: السَّلامةُ مِنَ الأسقامِ والبلاءِ، فاستغنى عن ذِكرِ العفوِ بها؛ لشمولِها، فجمَع أمْرَ الآخرةِ كلَّه في كلِمة، وأمْرِ الدُّنيا كلَّه في كلِمة.

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجَمَع بيْن عافِيَتَي الدِّينِ والدُّنيا، ولا يَتِمُّ صَلاحُ العبدِ في الدَّارينِ إلَّا باليقينِ والعافية؛ فاليقينُ يَدفَعُ عنه عُقوباتِ الآخرة، والعافيةُ تَدفَعُ عنه أمراضَ الدُّنيا في قلبه وبدنِه»(١).

وقال الإمام الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقال إن من جوامع الكلم، قولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي سأله أن يعلمه ما يدعو به: «**سل ربك اليقين والعافية**» وذلك أنه ليس شيءٌ مما يُعمل للآخرة يُتقبل إلا باليقين، وليس شيء من أمر الدنيا يهنأ صاحبه إلا بالأمن والصحة وفراغ القلب، فجمع أمر الآخرة كله في كلمة واحدة، وأمر الدنيا كله في كلمة أخرى» اهـ(٢).

وعن جرير بن حازم قال: سمعت الحسن قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا إن الناس لم يُؤتَوْا في الدنيا شيئًا خيرًا من اليقين والعافية فسلوهما الله** عَزَّوَجَلَّ»، وقال الحسن: صدق الله، وصدق رسوله، باليقين هُرِب من النار، وباليقين طُلِبت الجنة، وباليقين صُبِر على المكروه، وباليقين أُدِّيت الفرائض،

(١) «الطب النبوي» (ص١٥٨).

(٢) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ٧٨)، وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٤/ ١٠٦).

وفي معافاة الله خير كثير، قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية، فإذا وقع البلاء تباينوا»[١].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«العافية هي دفاع الله عن العبد، وهذا الدفاع المضاف إلى الاسم الشريف يشمل كل نوع من أنواع البلايا والمحن، فكل ما دفعه الله عن العبد منها فهو عافية.

ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «**فإن أحدًا لم يُعْطَ بعد اليقين خيرًا من العافية**».

سأل النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقه العفو الذي هو العمدة في الفوز بدار المعاد، ثم سأله أن يرزقه العافية التي هي العمدة في صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ومحنها.

فكان هذا الدعاء من الكلم الجوامع والفوائد النوافع، فعلى العبد أن يستكثر من الدعاء بالعافية، وقد أغنى عن التطويل في ذكر فوائدها ومنافعها ما ذكره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث، فإنها إذا كانت بحيث إنه لم يُعْطَ أحدٌ بعد اليقين خيرًا منها، فقد فاقت كُلَّ الخصال، وارتفعت درجتُها على كل خير» اهـ[٢].

---

(١) «الزهد» لابن المبارك (٥٥٨).

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص٤٧٠).

فصل
صِيَغُ الدعاءِ بالعافية

من أهم أسباب تحصيل نعمة العافية الدعاءُ بها، وقد تواتر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعاؤه بالعافية، وثبت عنه ذلك قولًا منه وتعليمًا لغيره لفظًا ومعنًى من نحو خمسين طريقًا، فهو مقطوع به، معلومٌ صدقُه، وصحةُ ما اشتمل عليه من الفوائد الشاملة للدنيا والآخرة، وفي هذه الأحاديث أدعية مطلقة فيها سؤال العافية، ومنها أدعية موظفة اشتملت عليه كذلك.

أولًا: الأدعية المطلقة

(ورد الدعاء بالعافية)

١- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1] [البقرة:٢٠١].

٢- اللهم إني أسألك العافية.

٣- اللهم عافِني فيمن عافيتَ.

٤- اللهم إني أسألُك العافيةَ، في الدنيا والآخرة.

٥- اللهم إني أسألك المعافاةَ.

٦- اللهم إني أسألك المعافاةَ في الدنيا والآخرة.

(١) وقد تقدم بيان أن هذا دعاء بالعافية في الدنيا والآخرة في (ص٢٨).

٧- اللهم إني أسألك العفوَ والعافية.

٨- اللهم إني أسألك العفو والعافية، في الدنيا والآخرة.

٩- اللهم إني أسألك اليقينَ والعافية.

١٠- اللهم إني أسألك اليقين والمعافاة.

١١- اللهم أحسن عافيتَنا[١] في الأمور كلِّها، وأجِرنا من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة.

١٢- اللهم! عافني من شرِّ سمعي وبصري، ولساني وقلبي، وشر مَنِيِّي.

١٣- اللهم اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار.

ثانيًا: الأدعية الموظفة

هاك جملةً من الأحاديث المشتملة على سؤال العافية مرتبطًا بوظيفة أو وقت:

١- عن أُبَيِّ بنِ كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عِندَ أَضاةِ[٢] بَني غِفارٍ، فأتاهُ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يَأمُرُك أنْ تُقرِئَ أُمَّتَك القُرآنَ على حرفٍ**. قال: «**أَسألُ اللهَ مُعافاتَهُ ومَغفرتَه، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك...**»[٣] الحديثَ.

---

(١) وفي بعض رواياته: «عاقبتنا» بالقاف، انظر «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» رقم (٩٤٩)، (٣/ ٢٣٠، ٢٣١).

(٢) **الأَضَاة**: الغَدِير. وأَضاةُ بَني غِفار: موضعٌ بقُربِ مكَّةَ.

(٣) رواه مسلم (٨٢١)، وغيره.

٢- وعن عبدِ الله بنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان مِن دعاءِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن زَوالِ نِعمتِك، وتَحَوُّلِ عافيتِك، وفُجاءَةِ نِقمتِك، وجميعِ سَخَطِك**»(١).

٣- وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند النوم: «**اللَّهمَّ أنتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وأنتَ تَوَفَّاها، لك مَماتُها ومَحْياها، إنْ أَحيَيْتَها فاحفَظْها، وإنْ أَمَتَّها فاغفِرْ لها، اللَّهمَّ إنِّي أَسألُكَ العافيةَ**»(٢).

٤- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا استَيقَظَ أحدُكُم فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الَّذي رَدَّ علَيَّ رُوحي، وعافاني في جسدي، وأَذِنَ لي بِذِكْرِه**»(٣).

٥- وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: فقدتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٤).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**) استعاذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجيره برضاه من سخطه، وكذلك استعاذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) رواه مسلم (٢٧٣٩).
(٢) رواه مسلم (٢٧١٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وحسَّنه، والنسائي (١٠٧٠٢)، وجود إسنادَه الألباني في «تحقيق الكلم الطيب» (٣٤).
(٤) رواه مسلم (٤٨٦).

أن يجيره بمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط ضدان لا يجتمعان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فإذا حصل له أحدها سلم من الآخر، ولما صار إلى ما لا ضد له قال: (**وأعوذ بك منك**)، ومعناه الاستعفاء عن التقصير فيما يجب عليه من العبادة والشكر»[(١)].

فعدلُ الله يقتضي أن يعاقبنا على الذنوبِ، لكنَّ رحمته تقتضي أن يعفوَ عنَّا، وهي تَغلِبُ غضَبَه؛ ولذلك فَرَّ من عقوبته إلى معافاته، وتعوَّذ به منه عَزَّوَجَلَّ فقال: «**وأعوذُ بمعافاتك مِن عقوبتك، وأعوذُ بكَ مِنكَ**».

وقال يحيى بن معاذ: «إذا بَسَطَ فَضْلَه لم يبقَ لأحدٍ سيئة، وإذا جاء عدلُه لم يَبْقَ لأحدٍ حسنةٌ»[(٢)].

٦- وعن أبي مالكٍ الأَشْجَعيِّ، عن أبيه، أنَّه سَمِع رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأَتاهُ رجُلٌ، فقال: يا رسولَ اللهِ، كيف أقولُ حين أَسألُ ربِّي؟ قال: «**قُلْ: اللَّهمَّ اغفِرْ لي، وارحَمْني، وعافِني، وارزُقْني**»، وجَمَع أصابِعَه الأربعَ إلَّا الإبهامَ، قال: «**فإنَّ هؤلاءِ يَجمَعْنَ لك دِينَكَ ودُنياكَ**»[(٣)]؛ أي: خيرَ الدُّنيا والآخرةِ.

٧- ورُوِيَ أيضًا عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ في الجُمُعةِ لَساعةً لا يُوافِقُها رجُلٌ مُسْلِمٌ يَسألُ اللهَ فيها شيئًا إلَّا أَعطاهُ**»، فقال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، ماذا أَسألُه؟ قال: «**سَلِ اللهَ العافيةَ، في الدُّنيا والآخرة**»[(٤)].

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص١٧٢).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٧)، وابن ماجه (٣١١٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٠٨) بإسناده عن هلال بن يساف، وقال الحافظ ابن رجب: «وهذا مرسل» اهـ. من «فتح الباري» له (٨/ ٣٠٨).

٨- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يَكُنْ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هؤلاءِ الدَّعَواتِ، حين يُمْسي، وحين يُصبِحُ: «**اللَّهمَّ إنِّي أَسألُك العافية، في الدُّنيا والآخرة. اللَّهمَّ إنِّي أَسألُك العفوَ والعافيةَ، في دِيني، ودُنيايَ، وأهْلي، ومالي. اللَّهمَّ استُرْ عَوْراتي، وآمِنْ رَوْعاتي. اللَّهمَّ احفَظْني مِن بيْن يَدَيَّ، ومِن خَلْفي، وعن يميني، وعن شِمالي، ومِن فَوْقي، وأَعوذُ بعَظَمَتِكَ أنْ أُغتالَ مِن تحتي**».

قال وَكِيعٌ: «يعني: الخَسْفَ»(١).

٩- وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بَكْرةَ، أنَّه قال لأبيه: يا أبَتِ، إنِّي أَسمَعُك تَدْعو كلَّ غَداةٍ: «**اللَّهُمَّ عافِني في بَدَني، اللَّهمَّ عافِني في سَمعي، اللَّهمَّ عافِني في بَصَري، لا إلهَ إلَّا أنتَ**»، تُعيدُها ثلاثًا حينَ تُمسي، وحينَ تُصبِحُ ثلاثًا، وتقولُ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك مِنَ الكُفرِ والفَقرِ، اللَّهمَّ إنِّي أَعوذُ بك مِن عذابِ القبرِ، لا إلهَ إلَّا أنتَ**»، تُعيدُها ثلاثًا حينَ تُمسي، وحينَ تُصبِحُ ثلاثًا؟

فقال: «نعَمْ يا بُنَيَّ؛ سمِعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ بِهِنَّ، وأنا أُحِبُّ أنْ أَسْتَنَّ بسُنَّتِه»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وابن حبان (٩٦١)، والحاكم (١/ ٥١٧، ٥١٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» رقم (٩١٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٠٤٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن في المتابعات والشواهد»، وحسَّنه الألباني في «تمام المنة» (٢٣٢)، و«تخريج الكلم» (١٢١).

١٠- ولأن موتى المسلمين أيضًا في حاجة ماسَّةٍ إلى العافية؛ كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: «**السَّلامُ علَيْكُم أهْلَ الدِّيارِ مِنَ المؤْمنينَ والمسْلمينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ لَلَاحِقون، أَسأَلُ اللّهَ لنا ولكُمُ العافيةَ**»[(١)].

(١) رواه من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم (٩٧٥)، وابن ماجه (١٥٤٧)، ووجه سؤاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العافية للموتى يُراد به أن يدفع الله عنهم العذاب، ويخفف عليهم الحساب.

الباب الثاني

عافيةُ البَدَنِ

فصل

نعمة عافية البدن

إن عافية البدن والصحة الجسمية من أركان العافية الدنيوية التي يُسأل العبدُ عن شكرها يوم القيامة، ولذلك روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«إن أولَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامة أن يُقالَ له: ألم أُصِحَّ لك جسمَك، وأَرْوِكَ من الماء البارد؟».

وفي لفظ: **«إن أولَ ما يُسْأَلُ عنه يومَ القيامة -يعني العَبْدَ- من النعيم: أن يُقالَ له: ألم نُصِحَّ لك جسْمَكَ، ونُرويكَ من الماءِ البارد؟»**[(١)].

ومن ثم اختلف السلف في المقصود بالنعيم في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر:٨] على أقوال، منها:

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير النعيم: «النعيم: صحة الأبدان والأبصار والأسماع، ليسأل الله العباد فيما استعملوها؟ وهو أعلم بذلك

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٨) وقال: «هذا حديث غريب»، وابن حبان (٧٣٦٤)، والحاكم (٤/ ١٣٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٩)، وقال الشيخ شعيب في «تحقيق الإحسان»: «حديث صحيح» (١٦/ ٣٦٥).

منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦][(١)].

- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النعيمُ: الأمنُ والصحة»[(٢)].

- وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النعيمُ: العافية»[(٣)].

وعن معاذ بن عبد الله الجهني، عن أبيه، عن عمه قال: خرجَ علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه أَثَرُ غُسْلٍ، وهو طيب النفس، فظننا أنه ألَمَّ بأهله، فقلنا: يا رسول الله، نراك طَيبَ النفس.

فقال: «**أجل، والحمد لله**»، ثم ذُكِرَ الغنى فقال: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى الله، والصحة لمن اتقى خيرٌ من الغنى، وطِيبُ النفسِ من النعيم**».

وفي رواية: كُنَّا في مجلسٍ، فطَلَعَ علينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسه أَثَرُ ماءٍ، فقلنا: يا رسولَ الله، نَراكَ طيِّبَ النَّفْس! قال: «**أَجَلْ**» قال: ثم خاضَ القومُ في ذِكْر الغِنَى، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا بأْسَ بالغِنَى لِمَن اتَّقَى اللهَ، والصِّحَّةُ لِمَن اتَّقَى الله خَيْرٌ مِن الغِنَى، وطِيبُ النَّفْسِ مِن النِّعَمِ**»[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ٦٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٩٣).
(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ٦٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٩٦).
(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٤٢٩٢).
(٤) رواه الإمام أحمد (١٦٦٤٣، ٢٣١٥٨)، وابن ماجه (٢١٤١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٧٤١).

وقال إسحاق بن عمران: «اعلم أن الصحة خير من المال والأهل والولد، ولا شيء بعد تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير من العافية»[١].

إن نعمة الصحة والعافية البدنية والنفسية من أعظم نعم الله على العباد.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«نِعْمتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، والفراغُ»[٢].

وعن عبد الله بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أصبح منكم آمنًا في سِرْبه[٣]، مُعافًى في جسدِهِ[٤]، عنده قُوتُ يومه[٥]؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا[٦] بحذافيرها»**[٧].

---

(١) «العقد الفريد» (٨/ ٤٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧٠).
والغَبْن: أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صَحَّ بدنُه، وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يَسْعَ لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

(٣) **آمنًا في سربه:** أي آمنًا على نفسه وأهله وعياله وماله.

(٤) **معافى في جسده:** أي من الأمراض، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام.

(٥) **عنده قوت يومه:** أي كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

(٦) **فكأنما حيزت له الدنيا:** أي: ضُمَّتْ وجُمِعَتْ.
فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجَّه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي مَن مَلَكَ الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

(٧) رواه الترمذي (٣٣٥٧)، وابن ماجه (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٣٦٤).

وعن سفيان بن عيينة قال: كان رجلٌ يقول: «**اللهم إني أسألك حُسْنَ الظَّنِّ، وشُكْرَ العافيةِ**»(١).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كم من نعمةٍ في عِرْقٍ ساكن**»(٢).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الغِنى صحةُ الجسد**»(٣).

وقال ابن المعتز: «المرض سِجن البدن، والهمُّ سجن الروح»(٤).

ونعمة العافية في البدن تستوجب الشكر لله تعالى عليها:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُصبح(٥) على كل سُلَامَى(٦) من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحةٍ صدقةٌ، وكل تحميدةٍ صدقةٌ، وكل تهليلةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزي من ذلك ركعتان تركعهما من الضُّحى**»(٧).

وعن عبد الله بن غنام البياضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نِعمةٍ، أو بأحدٍ مِن خَلْقِكَ، فمِنك**

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٨).

(٢) «الزهد» لأبي داود (٢٤٤).

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٤٣٠٧).

(٤) «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٧/ ٢٤١).

(٥) أي: إذا مضى الليل، وأصبح الإنسان؛ يلزمه صدقة على كل سُلامى.

(٦) **أصل السُّلامَى**: عظام الأصابع وسائر الكَفِّ، ثم استُعمل في جميع عظام البدن ومفاصله، قال الخطابي: «إن كل عضو ومفصل من بدنه عليه صدقة»، والمقصود: أن كل عظم من عظام ابن آدم يُصبح سليمًا عن الآفات، باقيًا على الهيئة التي تتم بها منافعه، فعليه صدقة شكرًا لمن صوَّرهُ، ووقاهُ عمَّا يغيره.

(٧) رواه مسلم (٧٢٠).

وحدَك، لا شريكَ لك، فلك الحمدُ، ولك الشكرُ؛ فقد أدَّى شُكْرَ يومِه، ومن قال مثلَ ذلك حين يُمسي؛ فقد أدَّى شكرَ ليلته»[(١)].

ومما يُدفَع به البلاء في عافية البدن: التعوذ بالله تعالى من سيئ الأسقام:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من البَرَصِ، والجنون، والجُذَامُ**[(٢)]**، ومن سِيئ الأسقام**[(٣)]»[(٤)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

«**اغتنم خمسًا قبل خمس**»، وذكر منها: «**صِحَّتَكَ قبل سَقَمِك**»[(٥)].

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) في «الأدب»: باب ما يقول إذا أصبح، والنسائي في «اليوم والليلة» (٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٢٨)، ورواه ابن حبان عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٨٦١)، وجوَّد إسناده النووي في «الأذكار»، وحسنه الأرناؤوط في «تحقيق الأذكار»، والحافظ ابن حجر في «تخريجها»، وابن القيم في «الزاد» (٢/ ٣٧٣).

(٢) **الجذام:** علة تتآكل منها الأعضاء، وتتساقط.

(٣) **سيئ الأسقام:** قال السندي: تعميم بعد تخصيص، وهي العاهات التي يصير المرء بها مُهانًا بين الناس، تَتَنَفَّرُ عنه الطباع.

(٤) رواه الإمام أحمد (١٣٠٠٤)، وأبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٥٥٠٨)، وابن حبان (١٠١٧)، وغيرهم، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٧٥).

(٥) رواه الحاكم (٤/ ٣٠٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ شعيب في تحقيق «شرح السنة» (١٤/ ٢٢٤): «إسناده صحيح».

(٦) رواه البخاري (٦٤١٦).

ومن ذلك: الدعاء بالعافية:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بقَومٍ مُبْتَلَيْنَ[١]، فقال: «**أمَا كان هؤلاءِ يَسألُونَ الله العافيةَ؟!**»[٢].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«وفي الحديث دليل على أن سؤاله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها والمرهم الشافي لما أصابكم منها وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطًا والقلوب بصيرة باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية» اهـ[٣].

(١) **مبتلين**: بفتح اللام جمع مبتلى كمصْطَفَين جمع مصطفى.

(٢) رواه البزار في «كشف الأستار» (٤/ ٣٦)، (٣١٣٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٧).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص٤٧١).

إرادة الله وحده قَصَدَتْكَ (عَيْنًا) بالمعافاة من آلاف الأمراض والاضطرابات

إذا كان الله سبحانه برحمته وفضله قد عافاك من كل الأمراض أو بعضها؛ فلابد أن تستحضر أن هناك إرادةً ومشيئةً قصدَتْ صرفَ هذه الأمراض عنك أنت نفسِك، بقوة الله وحوله وقدرته، وأن هذه العافية لم تحصل سَبَهْلَلًا، وأن نوع المرض بل شدته كلها محكومة بقدرة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومما يعينك على عبادة شكر نعمة العافية (النفسية) مثلًا أن تستحضر نعمة (الأمن) الذي حُرم منه كثير من الناس في هذا العصر، وكذلك نعمة العافية من حوالي خمسين ومئة (150) اضطرابًا نفسيًّا وعقليًّا كما أحصاها أحدثُ إصدار للدليل التشخيصي الإحصائي الأمريكي (*DSM-5*).

أما الأمراض البدنية فتقدر مدرسة الطب بجامعة ميتشجان الأمريكية عدد الأمراض بحوالي عشرة آلاف مرض (10,000) تصيب الإنسان، معظمها يُعدُّ نادرًا.

وقدرت الحكومة الألمانية العدد بـ(ثلاثين ألف مرض) (30,000)، منها سبعة آلاف مرض نادر، ويحتوي التصنيف الدولي للأمراض (*ICD-10*) على حوالي سبعين ألف كود (70,000) مشتملة على الأمراض النفسية بجانب الأمراض العضوية، وهذا التقدير الأخير يُعدُّ حدًّا أعلى.

فصل

ركنا عافية البدن: التغذية الصحية، والرياضة البدنية

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**» الحديث[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«القوة هنا: عزيمة النفس في أمورِ الآخرة، فيكونُ صاحبُ هذا الوصفِ أكثرَ إقدامًا على العدوِّ في الجهاد، وأسرعَ خروجًا إليهِ وذهابًا في طلبه، وأشدَّ عزيمةً في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، والصبرِ على الأذى في كلِّ ذلك، واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ الله تعالى، وأرغبَ في الصلاةِ والصومِ والأذكارِ وسائرِ العبادات، وأنشطَ طلبًا لها ومحافظةً عليها ونحوَ ذلك» اهـ[(٢)].

وعموم وصف المؤمن بالقويِّ يشمل قوة الإيمان في القلب، وقوة العلم والعمل، وقوة الإرادة وعلو الهمة، والقوة البدنية واللياقة التي يسخرها في طاعة الله تعالى، كالصلاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٤١٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٤) وغيرهم.
(٢) «شرح النووي لصحيح مسلم» (١٦/ ٢١٥).

المنكر، ونصرة المظلوم، ودفع الصائل والدفاع عن النفس وكسب رزقه، وإنجاز مهنته بكفاءة، ونحو ذلك.

وتعتمد القوة البدنية على ركنين:

الأول: التغذية الصحية المتوازنة:

وقد حققت العلوم الحديثة طفرات في تحديد ما ينفع من الأطعمة، وما يضر منها، وغيَّرت بل هَدَّمت كثيرًا من المفاهيم التي سادت فيما مضى، وفسحت مجالاتِ الوقاية الأولية المبكرة ضد كثير من الأمراض، بل صار «العلاج بالتغذية» منهجًا علميًّا منضبطًا يعالج أمراضًا مزمنة تتجه بصحة الإنسان نحو التدهور المستمر (Chronic Progressive) كمرض السكري النوع الثاني (DM-II)، وذلك من خلال «التغذية الكيتونية» (Ketogenic Diet)، ونحوها.

فمن باب «**احرص على ما ينفعك**» الذي مفهومه: «اجتنب ما يضرك»؛ يتعين على العاقل أن يحصِّل قدرًا من العلم بالصحة الغذائية (Nutritional Health) يحفظ له عافية بدنه، ويقيه غائلة الأمراض، فإن هذا من حق جسده عليه.

فإنما الجاهلُ كلُّ امْرِئٍ ... يأكلُ في الصِّحةِ ما عَنَّ لَهْ[1]

(١) من شعر الإمام منصور الفقيه، كما في «بهجة المجالس» (١/ ٣٩٠)، وانظر قول رسول الله ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «**يا علي مِن هذا فأصِب، فإنه أوفقُ لك**» (ص٢٦٤).

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثمان بن مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«... **وإن لنفسِك عليك حَقًّا**»[(١)]، ولما قال سلمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن لنفسك عليك حقًّا،... فأعطِ كلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدق سلمان**»[(٢)].

وفي لفظ: «**يا أبا الدرداء: إن لجسدك عليك حقًّا**».

وإن المؤمن سيحاسب يوم القيامة عن عنايته بجسده، وفيم استخدمه، وهل حافظ على نعمة العافية في جسده أم بَدَّدَها بالمسكراتِ والتدخين ونحوها؟

عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[(٣)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمسٍ: عن عمره فيما أفناه،**

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٦٨)، وأبو داود (١٣٦٩)، وفيه عنعنة ابن إسحاق، لكن يشهد له أحاديث صحاح.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٥٧٨)، وقال: «هذا حديث صحيح»، ورواه ابن حبان (٣٢٠)، والبيهقي (٤/ ٢٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٧)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٩٧٠).

وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[(١)].

أما الركن الآخر فهو: المواظبة على الرياضة البدنية (الفروسية)[(٢)]:

بما يناسب مرحلتَه العمرية.

ومن فضائل وخصائص الرياضة: الحركة، لأنها ضد السكون والركود الذي يستدعي الأمراض، وبخاصة أمراض الحضارة الحديثة (Civilization Diseases).

* وقد جاءت الشريعة بعبادات كثيرة تُمارس فيها الحركة:

- كالمشي في أداء مناسك الحج، وكثرة الخطا إلى المساجد، واتباع الجنائز، ونحو ذلك.

- ولما قدم المسلمون مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، أمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ليرى المشركون جَلَدهم كي لا يشمتوا بهم[(٣)].

- وكان سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَدَّاءً ماهرًا لا يُسبق، حتى أنه لما سرق اللصوص إبلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرعاة؛ لاحقهم عَدْوًا على رجليه

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، وضعفه، وقواه الألباني بشواهده كما في «الصحيحة» (٩٤٦).

(٢) هكذا يسميها علماؤنا «الفروسية»، وهي تعني التدريبات والألعاب الرياضية، ولا ينحصر معنى الفروسية في ركوب الخيل، كما قد يتبادر إلى الذهن، وقد قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الفروسية أربعة أنواع: ركوب الخيل والكر والفر بها، والرمي بالقوس، والمطاعنة بالرماح، والمداورة بالسيوف» اهـ، وانظر: «الفروسية المحمدية» (ص٨٢).

(٣) انظر «صحيح البخاري» (١٦٠٢)، و«صحيح مسلم» (١٢٦٦).

راكضًا، فكان أسرع من إبلهم وخيولهم، وبعد أن أرهقهم رماهم بسهمه وكان راميًا، فغنم منهم أكثر مما أخذوا وأرجع إبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

- وعن عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرتميان، فمَلَّ أحدهما فجلس، فقال له الآخر: كسلت؟ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو وسهو، إلا أربعَ خصال: مشي الرجل بين الغرضين[٢]، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلُّمَ السباحة**»[٣].

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قويًّا معتدِلَ الخَلْقِ[٤] بادنًا متماسكًا[٥] سواءَ البطن والصدر[٦]، وكان إذا التفت التفت جميعًا.

وعن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة عن أبيه: «أن ركانة صارع النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصرعه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٧].

---

(١) انظر «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٢٦-٣٣١).

(٢) أي: تبختره في القتال بين الصَّفَّين، أو رواحه بين الهدفين أثناء التدريب.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨١٤٣)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٣١٥): «سنده صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير عبد الوهاب بن بخت، وهو ثقة اتفاقًا».

(٤) **معتدل الخلق**: أي كل شيء من بدنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناسب ما يليه في الحسن والتمام.

(٥) **البادن**: التام اللحم، **والمتماسك**: الممتلئ لحمًا، غير مُسْتَرْخٍ.

(٦) وهذا نفي للسمنة التي هي «أم الأمراض»، فليس بطنه مرتفعًا، ولكنه مساوٍ لصدره.

(٧) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وضعفه، والحاكم (٣/ ٤٥٢)، وحسَّنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» رقم (١٥٠٣)، وقال: «وللحديث شاهد مرسل صحيح أخرجه البيهقي (١٠/ ١٨) من طريق موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير: =

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. ألا إن القوةَ الرميُ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»(١).

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفرٍ من أسلم ينتضلون، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**» الحديث(٢).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من عَلِمَ الرميَ ثم تركه؛ فليس منا**»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تعلم الرمي ثم نسيه، فهي نعمة كفرها**»(٤).

= «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالبطحاء، فأتى عليه يزيد بن ركانة، أو ركانة بن يزيد، ومعه أعنز له، فقال له: يا محمد هل لك أن تصارعني؟ فقال: «**ما تُسْبِقُني؟**» قال: شاة من غنمي، فصارعه، فصرعه، فأخذ شاة. قال ركانة: هل لك في العود؟ قال: «**ما تُسْبِقُني؟**» قال: أخرى، ذكر ذلك مرارًا. فقال: يا محمد، والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض، وما أنت الذي تصرعني، فأسلم، ورد عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنمه» اهـ. من «إرواء الغليل» (٥/ ٣٢٩).

(١) رواه مسلم (١٩١٧)، والترمذي (٣٠٨٣).

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٩)، (٣٥٠٧).

(٣) رواه مسلم (١٩١٩).

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١٨٩)، وقال الحافظ المنذري: «رواه البزار والطبراني في (الصغير)، و(الأوسط) بإسناد حسن»، «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٢)، وانظر «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٦٩، ٢٧٠).

إن الاحتساب في ممارسة الرياضة النافعة والتدريب عليها يرقى في الإسلام إلى حد العبادة، وتأمل في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد آداب المتدرب على الرمي، إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ينبغي للعاقل بأن يعدَّ رواحه إلى المرمى كرواحه إلى المسجد، واجتماعه بمن هناك كاجتماعه برؤساء الناس وأكابرهم، ومن ينبغي احترامه منهم، ولا يَعُدَّ رواحَهُ لهوًا باطلًا ولعبًا ضائعًا، بل هو كالرواح إلى تعلُّم العلم، فيذهبُ على وضوء، ذاكرًا الله عَزَّوَجَلَّ، عامدًا إلى روضة من رياض الجنة، وعليه السكينة والوقار، فإذا وصل إلى الموضع دخل بأدب وسلَّم..

فإذا رمى رسيله[1] لم يبكِّته على خطأ، ولم يضحك عليه منه، فإن هذا من فعل السُّفَّل، وقلَّ أن أفلح من اتَّصف به، ومن بكَّتَ بُكِّت به، ومن ضحك من الناس ضُحِكَ منه...

فإذا وقع على علَّة الخطأ تجنَّبها، وسمَّى الله عند كلِّ رمية، فإن أصاب حمد الله وأثنى عليه...

ولا يفتُّ في عضده ما يرى من إصابة غيره وحذقه وعدم وصوله هو إلى تلك المرتبة، فإن هذا ليس بنقص، بل النقص كلُّ النقص أن تتقاصر همَّته عن البلوغ إلى درجة ذلك»[2]...

---

(١) **الرسيل**: الرفيق في ساحات النضال، والخصم المنافس في لعبة من الألعاب.

(٢) «الفروسية المحمدية» (ص٣٩٩-٤٠٣) بتصرف.

فصل
«وبِضدِّها تَتَبيَّنُ الأشْياءُ»

شرح هذا الشَّطْرَ للمتبني قولُ الشاعر:

فالوجه مثل الصبح مُبْيَضٌّ والشَّعْرُ مثل الليلِ مسودُّ

ضِدَّانِ لما استجمعا حَسُنا والضد يُظهر حُسْنَه الضِّدُّ

وإن عِظَمَ نعمة الصحة والعافية يُظهِرُ ضِدَّها الذي هو البلاء والأسقام.

وقد قيل: «أحسن الأشياء وأطيبها العافية، ولولا مرارةُ البلاء، لما وُجِدَتْ حلاوةُ الرَخاء»[(١)].

(١) وفي ظل جائحة الكورونا التي عصفت بالبشرية في كل دول العالم، وأصابت حتى الآن أكثر من ١٨٦ مليونًا، مات منهم ما يزيد على ٤ مليون، وانهارت بسببها المنظومة الصحية في أغنى وأقوى دول العالم، ولا سيما دول المركز كإيطاليا وفرنسا وأمريكا وغيرها، لأنهم عجزوا عن توفير أجهزة التنفس في الحالات الحرجة مما تسبب في موت عدد هائل من المرضى، وإذا علمتَ أن استعمال هذه الأجهزة -في بلدنا- يكلف المريض الذي يُعالج في مستشفى خاصة ما بين عشرة آلاف جنيه إلى خمس عشرة ألف جنيه يوميًّا على الأقل، حينئذٍ يتعين علينا أن نستحضر هذه النعمة العظيمة، وهي أننا نتنفس -بفضل معافاة الله وحده إيَّانا- مجانًا منذ خلقنا الله إلى اليوم، وصدق الله العظيم القائل في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٣].

وقد جاء في بعض الآثار: قال داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: رب أخبرني ما أدنى نعمتك عليَّ؟ فأوحى الله إليه: «يا داود تنفس»، فتنفس، فقال: «هذا أدنى نعمتي عليك» رواه البيهقي في «الشعب» (٤٣٠٣)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٦) (ص١٣٩).

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردتَ أن تعرفَ الشيءَ بفضله؛ فاقلِبْه بضده، فإذا أنت عرفت فضلَ ما أُوتيتَ، فاقلب العافية بالبلاء؛ تعرفْ فضلَ العافية».

قال بعض الفضلاء:

«إذا تضايقت وتململتَ من مرضك؛ فاعلم أن هناك مرضى يتمنون ما أنت فيه لِعِظَمِ ما أصابهم من الأمراض! فاصبر على ما أصابك.

تذكَّر أن حصيرة بالية تنام عليها وأنت صحيح البدن، خير من سرير ذهبي تُلقى عليه وأنت مريض.

وإذا أردتَ أن تعرف نِعَم الله عليك؛ فأغلق عينيك وأذنيك وتخيَّل ماذا لو فقدتَ نعمتَي السمع والبصر؟

ماذا لو مُنع عنك الماء بكم تشتري شربة ماء؟! ثم إذا حُبِسَتْ بداخلك هذه الشربة ولا تستطيع إخراجها... فكم تدفع لتُخْرِجَ هذه السمومَ من جسمك؟! والله لو تملك كلَّ كنوزِ الأرضِ لدفعتَها مقابلَ شربة ماء، فتذكر نعم الله عليك!».

- دخل ابن السماك على الرشيد في عظة، ثم دعا بماء في قَدَحٍ فقال: «يا أمير المؤمنين، لو مُنِعتَ هذه الشربةَ إلا بالدنيا وما فيها، أكنتَ تفديها بها؟» قال: نعم. قال: «فاشرب رِيًّا بارك الله فيك»، فلما شرب، قال له: «يا أمير المؤمنين أرأيتَ لو مُنِعْتَ إخراجَ هذه الشربةِ منك إلا بالدنيا وما فيها، أكنتَ تفتديها؟» قال: نعم. قال: «ما تحزن لشيءٍ شربةُ ماء خيرٌ منه؟».

وقال ابن الرومي:

إذا جُـدِّدَتْ نعمةٌ لامرئٍ ... فتكميلُها جِدَّةُ العافيهْ

وبالشكر قُدِّرَ تجديدُها ... ولله بعدُ يدٌ شافيه

ولو صُفِّيَتْ كان أصفى لها ... ولكنَّ دُنيا الفتى جافيه

ولولا مُكَدَّرَةٌ رَنْقَةٌ[1] ... لما قُدِّرَتْ قدرَها صافيه

ولابدَّ للمرءِ من محنةٍ ... لفتنةِ نَعْمائهِ نافيه

وعن محمد بن خلف التيمي قال: سمعت أبي يقول: دخلت مع محمد بن السماك على مريضٍ مُدْنِفٍ[2]، فسأله عن حاله، ثم انصرف وهو يقول:

ما يعرفُ المرءُ إذا لم يُصَبْ ... بنكبةٍ ما موقعُ العافية[3]

وقال رجُلٌ لصاحبِه الحكيمِ وهو يَتأمَّلُ في قُصورِ الأغنياءِ والأُمراءِ: «أين نحنُ حين قُسِّمَتْ هذه الأموالُ؟!»، فاصطحبه الحكيمُ إلى المستشفى، وقال له: «وأين نحنُ حين قُسِّمتْ هذه الأمراضُ؟!». فلا يُدرِكُ قيمةَ العافيةِ إلَّا مَن فقَدَها في دِينِه أو دُنياهُ؛ «فالصِّحَّةُ تاجٌ على رُؤوسِ الأَصِحَّاء، لا يراهُ إلَّا المرضى».

وقيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح[4] فيكم؟

---

(١) الرَّنْقَة: الماء القليل الكَدِر يبقى في الحوض، وصار الماء رَنْقَةً: غلب عليه الطين.

(٢) مُدْنِف: دَنِفَ المريض: اشتد مرضه، ودنا من الموت، وأدنف المرض فلانًا: أضناه، وأتعبه، وأثقله.

(٣) «تاريخ بغداد»، ط. دار الغرب، (٣/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٤) الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم المكي أدرك مئتين من أصحاب رسول الله ﷺ، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٧٨).

قالوا: «كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلُها حتى تُفْقَدَ»، وكان عطاء أفطس أسود أشل أعرج، ثم عمي، وأمه سوداء تُسمَّى بركة[١].

وقال بعضهم: «لا يعرفُ طعمَ العافية إلا من نالته يدُ العلة، ولا طعمَ الرخاء إلا من مسَّتْه يدُ البلاء».

ومن كلام أبي إسحاق الصابئ: «أعرفُ الناس بقدر العافية مَن وجدها بعد فقدها».

وقال محمد بن سلام الجمحي: «الإنسان في غفلةٍ حتى يُوقَظ بعلة»[٢].

وعن حميد بن هلال قال: قال مطرف بن الشخير: «نظرتُ ما هو خيرٌ لا شرَّ فيه، فإذا هو أن يُعافى العبدُ فيشكر»[٣].

وعنه قال: «لَأن أُعافَى فأشكر أَحَبُّ إليَّ من أن أُبْتَلى فأصبر، ونظرتُ في النعمة التي لا يَشُوبُها كَدَرٌ، فإذا هي العافية»[٤].

وعن عمرو بن السكني قال: كنت عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف: «لأن أُعافى فأشكر، أحب إليَّ من أن أُبتلى فأصبر»، أهو أحب إليك أم قول أخيه أبي العلاء: «اللهم رضيتُ لنفسي ما رضيتَ لي»؟

(١) «العقد الفريد» (٣/ ١١٥).
(٢) «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠١).
(٣) «الزهد» للإمام أحمد (٢٣٩، ٢٤٠).
(٤) «نفسه» (ص١٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٥٠)، «الحلية» (٢/ ٢٠٠-٢١٢).

قال: فسكت سكتةً، ثم قال: «قول مُطَرِّف أحبُّ إليَّ»، فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟

قال سفيان: إني قرأتُ القرآنَ، فوجدتُ صِفةَ سليمان مع العافية التي كان فيها: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، ووجدتُ صفةَ أيوبَ مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، فاستوت الصفتان، وهذا مُعافى، وهذا مُبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقامَ الصبر، فلما اعتدلا كانت العافيةُ مع الشكرِ أحبَّ إليَّ من البلاء مع الصبر»[(١)].

وعن سفيان بن عيينة قال: قال عون بن عبد الله: «الخير الذي لا شر فيه: الشكر مع العافية، فكم من مُنعَمٍ عليه غير شاكرٍ، وكم من مُبتلًى غير صابر»[(٢)].

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٢)، (٧/ ٢٨٣).
(٢) «نفسه» (٤/ ٢٥٤).

فصل
لا يُنْسِيَنَّك بلاءٌ واحدٌ أضعافَ أضعافه مِن العافيةِ

إن المؤمن إذا ابتُلي ببلية صبر عليها واحتسب، ولا يزلزله الجزع للمصيبة حتى يعمى عن رؤية ما أبقاه الله تعالى لديه، وأقره من سائر مظاهر العافية في دينه ودنياه، وهو -وإن صبر على بلاء- ثابت على شكر العافية والنعماء التي لم ينزعها الله عنه، لأن بلاءً واحدًا لا يجتاح أضعافَ أضعافِه من صور العافية التي لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

وقال الحسن بن أبي الحسن في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات:٦]: «يُعَدِّدُ المصائبَ، وينسى النِّعَمَ»[1].

يا أيها الظالم في فعله والظلمُ مردودٌ على مَن ظَلَمْ
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيباتِ وتنسى النِّعَمْ

وقد روى أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**انظروا إلى مَن أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا**[2] **نعمةَ الله**»[3].

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٤٣٠٩)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص٢٥).
(٢) أي هو أحق، وتزدروا: تحقروا.
(٣) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣)، والترمذي (٢٥١٥).

وروى مسلم أيضًا: «**إذا نظر أحدُكم إلى مَن فُضِّلَ عليه في المالِ والخَلْقِ؛ فلينظر إلى من هو أسفلَ منه**[١] **مِمَّن فُضِّل عليه**»[٢].

وقد رُوي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرًا صابرًا: من نظر في دينه إلى مَن هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دُنياه إلى من هو دونَه فحمِدَ الله على ما فضَّله الله به عليه؛ كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومَن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دُنياه إلى مَن هو فوقه، فأسِف على ما فاته منه؛ لم يكتُبْه الله شاكرًا ولا صابرًا**»[٣].

وقد ضرب لنا سلفنا الصالحون أعظم الأمثلة في مواطن البلاء، ونُقِلَتْ إلينا صورٌ رائعة جمعوا فيها بين الصبر الجميل والرضا بقدر الله، وبين شكر الله على ما أقره فيهم من عافية.

قال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلتُ على رجل مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟ قال: «أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نِعَمَه عليَّ أكثر من أن أُحْصِيَها»[٤].

---

(١) لأنه إذا نظر إليه يشكر الله على ما أنعم عليه، ويقل حرصه، وإذا نظر إلى من هو أعلى منه في النعمة؛ استصغر ما عنده، وحرص على ازدياده.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣).

(٣) والحديث ضعفه المناوي في «الفيض» (٣/ ٢٤٤)، والألباني في «الضعيفة» (١٩٢٤).

(٤) «الصبر والثواب عليه» لابن أبي الدنيا (ص٨٠).

ومن شعر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد ما عَمِي:

إن يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُما ... ففي لساني وقلبي منهما[١] نُوْرُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخَلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مَأْثُورُ[٢]

ولما شقَّ على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سقوطُ مَقادِم فيه، قال له يزيدُ بن معن السالمي: «والله ما بَلَغَ أحدٌ سِنَّك إلا أبغضَ بعضُه بعضًا، ففوك أهونُ عليك من سمعك وبصرك»، فطابت نفسه[٣].

- وعن هشام أن أباه عروة وقعت في رجله الأكلة، فقيل: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: «إن شئتم». فقالوا: نسقيك شرابًا يزول فيه عقلك؟ فقال: «امض لشأنك! ما كنتُ أظن أن خلقًا يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف به». فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سمعنا له حسًّا، فلما قطعها جعل يقول: «لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ». وما ترك جزءه بالقرآن تلك الليلة[٤].

- وعنه أيضًا: أن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القُرى وجد في رجله شيئًا، فظهرت به قرحة، ثم ترقى به الوجع، وقدم

---

(١) معنى (مِن) هنا البدلية والعِوَض كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف:٦٠] أي: بدلًا منكم، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة:٣٨]، وانظر: «التحرير والتنوير» (١٢/ ٢٤٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٧).

(٣) «عيون الأخبار» (٣/ ٥٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٣٠).

على الوليد وهو في محمل، فقال: يا أبا عبد الله اقطعها، قال: دونك. فدعا له الطبيب، وقال: اشرب المُرَقِّدَ، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حَسٍّ، حَسٍّ. فقال الوليد: ما رأيتُ شيخًا قط أصبرَ من هذا. وأصيب عروة بابنه محمدٍ في ذلك السفر، ركضتْهُ بغلةٌ في إصطبل فلم يُسمَعْ منه في ذلك كلمة، فلما كان بوادي القُرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٣] اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طرفًا وأبقيتَ ثلاثة، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ، ولئن أخذتَ لقد أبقيتَ»[(١)].

وقال هشام بن عروة: «سقط أخي محمد -وأمه بنت الحكم بن أبي العاص- من أعلى سطح في إصطبل الوليد، فضربته الدوابُّ بقوائمها فقتلته، فأتى عروةَ رجلٌ يعزيه، فقال: إن كنت تعزيني برِجْلي فقد احتسبتُها. قال: بل أعزيك بمحمدٍ ابنك؛ قال: وما له؟! فأخبره، فقال: «اللهم أخذتَ عضوًا، وتركتَ أعضاء، وأخذت ابنًا، وتركت أبناء». فلما قدم المدينة أتاهُ ابن المنكدر فقال: كيف كنت؟ قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[(٢)] [الكهف:٦٣].

قال الزبير بن بكَّار: حدثني غيرُ واحد أن عيسى بن طلحة جاء إلى عُرْوة حينَ قَدِم، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعَمِّكَ رِجلي، ففعل، فقال عيسى:

(١) «نفسه» (٤/ ٤٣٠، ٤٣١).
(٢) «نفسه» (٤/ ٤٣٣، ٤٣٤).

إنا والله يا أبا عبد الله ما أعدَدْناك للصراع، ولا للسباق، ولقد أبقى الله منكَ لنا ما كنا نحتاج إليه، رأيَكَ وعِلمَك. فقال: «ما عزَّاني أحدٌ مثلُك»[١].

وقال ابن خَلِّكان: «كان أحسنَ مَن عزاه -أي: عروة بن الزبير لما قُطِعَتْ ساقُه- إبراهيمُ بن محمد بن طلحة- فقال: «والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أَرَبٌ في السعي، وقد تقدَّمَك عضوٌ من أعضائك، وابنٌ من أبنائك إلى الجنة، والكل تبعٌ للبعض إن شاء الله، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء من علمِك ورأيِك، والله وليُّ ثوابِك والضَّمينُ بحسابك»[٢].

- وجاء رجل إلى يونُسَ بنِ عُبيد فشكا إليه ضِيقًا من حاله ومعاشه، واغتمامًا بذلك، فقال: «أيسرك ببصرك مئة ألف؟» قال: لا، قال: «فبسمعك؟»، قال: لا، قال: «فبلسانك»، قال: لا، قال: «فبعقلك؟»[٣]، قال: لا، في خِلالٍ، وذكَّره

(١) «نفسه» (٤/ ٤٣٤).

(٢) «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٥٦).

(٣) قوله: «فبعقلك؟» إرشاد له ومواساة، وتذكير بنعمةٍ عُظمى لا يُقادر قدرها، وهي نعمة العقل، والعافية من الجنون، قال أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم يترقَّى من ذلك إلى بقاء نعمة العقل، التي بها يتميز الإنسانُ من سائر الحيوان، فإنها نعمةٌ تفضلُ جميعَ الحواس إذا فُرِضَ فقدُها.

قال بعضهم: ولولا العقل الذي بان به ذوو التمييز من ذوي الجهل لما كان بين الإنسان وبين سائر الحيوان فرقٌ في تولد ولا نموٍّ ولا حركةٍ ولا هدي ولا أكلٍ ولا شرب ولا تصرّفٍ ولا تقلب، لأن البهائم شركاؤه في ذلك، فبالعقل تُنال الفضيلة، وهو عند الله أقرب الوسيلة، والعقل سرٌّ من الله في خليقته، ووديعته العظمى في بريّته، والموهبة الجليلةُ مِن عنده، والمعنى الذي من أجله تولّى خَلْقَ آدم بيده، وأحمدُ الناس عند الحكماء أصحّهم عقلًا» اهـ بتصرف من «جنة الرضا» (٣/ ٤٤، ٤٥).

نعم الله عليه، ثم قال يونس: «أرى لك مِئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة؟»[١].

- وقال التنوخي: حدثنا جعفر بن ورقاء الأمير قال: «اجتزتُ بابن الجصاص وكان مصاهري، فرأيته على حوش داره حافيًا حاسرًا، يعدو كالمجنون، فلما رآني استحيا، فقلت: ما لك؟! قال: يحقُّ لي، أخذوا مني أمرًا عظيمًا! فسلمتُه وقلت: ما بقي يكفي، وإنما يقلق هذا القلق من يخافُ الحاجة؛ فاصبر حتى أبين لك غناك. قال: هات. قلتُ: أليس دارك هذه بآلتها وفرشها لك؟ وعقارك بالكرخ وضياعك؟ قال: بلى. فما زلتُ أحاسبُه حتى بلغ قيمة سبعمائة ألف دينار، ثم قلت: واصدقني عما سلم لك، فحسبناه فإذا هو بثلاثمائة ألف دينار، قلت: فمن له ألف ألف دينار ببغداد؟! هذا وجاهك قائم، فلِمَ تغتم؟ فسجد لله وحمده وبكى وقال: أنقذني الله بك، ما عزَّاني أحد بأنفعَ من تعزيتك، ما أكلتُ شيئًا منذ ثلاث، فأقم عندي لنأكل ونتحدث. فأقمتُ عنده يومين»[٢].

ورأى بعضُهم في يد محمد بن واسع قُرْحَةً، فقال له: «هذه من نِعَمِ اللهِ، حيث لم يجعلها في حَدَقَتِي».

وقال بعض الصالحين: «أكثروا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتدَّ بلاؤه؛ لا يأمن ما هو أشد منه».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٩٢).
(٢) «نفسه» (١٤/ ٤٧١، ٤٧٢).

وقال أحدهم: «ما شكوتُ الزمانَ، ولا سئمت ما حلَّ بي إلا عندما حَفيتْ قدماي ولمْ أستطع شراءَ حِذاء، فدخلتُ مسجدَ الكوفة وأنا ضَيِّقُ الصدر، فوجدتُ رجلًا بلا رِجْلين، فحمدتُ الله وشكرتُ نعمته عليَّ».

قال الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان الصبرُ والتسلِّي مطلوبًا ومُجْديًا في فَوْتِ النفْس الذي ليس منها عِوَض، فأحرى أن يكون ذلك آكدَ طلبًا وأكثر فائدةً، في فقد عضو من الأعضاء، وقوةٍ من القوى، أو في المرض المُزْمِن ما كان، لما في الباقي مِن بعدِ الذاهب من العوض عنه، كالعمى مثلًا، فإن فيما أبقى الله من سمع ولمس وذوقٍ وشمٍّ، إذا تُؤمِّل بقاؤه -وقد كان من الممكن ذَهابُه كالعينين- وجد فيه من النعم ما لا يؤدّى شكرها، ولا يُستطاعُ حصرُها، وفوقَ الصبرِ وما بعدَه درجةُ الرضا.

يحكى أنه لما قدِم سعدُ بن أبي وقاص مكة، وقد كُفَّ بصرُه، أسرع إليه الناسُ يسألونه الدعاء، وكان مُجابَ الدعوة، فجعل يدعو لهذا ولهذا، فقيل له: أنت مُجابُ الدعوة، وأنت تدعو للناس، فلو دعوتَ لنفسك لردَّ الله عليك بَصَرَكَ. فتبسَّم، وقال: «قضاءُ اللهِ عندي أحسنُ مِن بصري»[(١)].

وقال شُرَيحٌ: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفَّقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني»[(٢)].

(١) «جنة الرضا» (٣/ ٤٢، ٤٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٠٥).

وقوله: «وأحمد -اللهَ- إذ لم يجعلها في ديني»، لأن مصيبة الدين فوق كل مصيبة[١]، قال أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد عَدَّدَ مراتبَ الفقد والابتلاء في الحواس، ثم ترقى إلى العقل، ثم ترقى إلى الدين، فقال:

«ثم يترقى من ذلك إلى بقاء نعمة الإسلام، فهنالك يخِفُّ كل ثقيل من الآلام، ويصغُرُ كل عظيم من الأسقام، إذا كانت الحياةُ الدنيا زائلةً مضمحِلة وكلُّ ما فيها من ألم وإنْ أوجع، أو رُزْء وإن أفْزَعَ، فإن ذلك كله ينتهي إلى أمدٍ قريب وأجلٍ غير بعيد، وإنما الرزيّةُ كل الرزيّةُ مَنْ سُلِبَ حِلْيَةَ الإيمانِ، وكان -والعياذ بالله- على غير الإسلام، فإذا عظُمَتِ المصائب، وترادفَتِ النوائبُ، فلن يُوجَدَ في التسلية عنها كالاستمساك من الإيمان بالعروة الوثقى، واللجأ مِن مِنَّةِ التوحيدِ إلى المعتصَمِ الأوْقَى، لأن في فقده -والعياذُ بالله- الخيبةَ التي لا فوز فيها، والهلاكَ الذي لا منجاة وراءه، وفي طموس نُوره الظلمةُ التي لا يَعْقُبُها صباح، والخسارةُ التي لا يمكن بعدها رَباح. قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:١١١]، مع قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]»[٢].

(١) راجع (ص١٨).

(٢) «جنة الرضا» (٣/ ٤٤، ٤٥).

وقال الضحاك بن سليمان:

ما أنعم الله على عبده ... بنعمةٍ أوفى من العافيهْ

وكل من عُوفي في جسمه ... فإنه في عيشةٍ راضيه

والمال حُلْوٌ حسنٌ جيدٌ ... على الفتى لكنه عارِيه

وأسعدُ العالم بالمال مَن ... أعطاه للآخرةِ الباقيه

ما أحسنَ الدنيا ولكنها ... مع حسنها غَدَّارةٌ فانية[1]

وقال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن كلامه في علاج الابتلاء: «ومن علاجه أن ينظر إلى ما أُصِيب به، فيجد ربه قد أبقى عليه مثلَه، أو أفضلَ منه، وادَّخر له -إن صبر ورضي- ما هو أعظمُ من فوات تِلك المصيبةِ بأضعافٍ مُضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي»[2].

(١) «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٣/ ٤٢٥).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٠).

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]

قال عبيد الله بن أبي نوح: قال لي رجل على بعض السواحل: «كم عاملتَه تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟»، قلت: ما أحصي ذلك كثرةً، قال: «فهل قصدتَ إليه في أمرٍ كَرَبَكَ فخذلك؟» قلت: لا والله، ولكنه أحسن إليَّ وأعانني، قال: «فهل سألتَه شيئًا فلم يُعْطِكه؟» قلت: وهل منعني شيئًا سألتُه؟ ما سألته شيئًا قطُّ إلا أعطاني، ولا استعنتُ به إلا أعانني، قال: «أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك بعضَ هذه الخِلال، ما كان جزاؤه عندك؟»، قلت: ما كنت أقدر له مكافأة ولا جزاء، قال: «فربك أحق وأحرى أن تدأبَ نفسُك له في أداء شكره، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك، واللهِ لَشُكْرُه أيسرُ من مكافأة عبادِه، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى رضي من العباد بالحمد شكرًا»[(١)].

- وعن سفيان في قوله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ [الأعراف:١٨٢] و[القلم:٤٤]، قال: «نُسبغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكرَ»[(٢)].

- وسئل المرتعش: أي العمل أفضل؟ قال: «رؤية فضل الله»[(٣)].

- وقال ابن عيينة: «كان لمحمد بن المنكدر جارٌ مبتلى، فكان يرفع صوته بالبلاء، وكان محمد يرفع صوته بالحمد»[(٤)].

(١) «عدة الصابرين» (ص١٧٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٥٨).
(٣) «نفسه» (١٥/ ٢٣١).
(٤) «نفسه» (٥/ ٣٥٥).

فصل

عافية الله أوسع من عقوبته

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل عند النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اللهم إنْ لم تعطني مالًا فأتصدق به، فابتَلِني ببلاء يكون -أو قال:- فيه أجر، فقال:

«سبحان الله، لا تُطِيقُه! أَلَا قلتَ: اللهمَّ آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذابَ النَّار؟».

وفي رواية عنه قال: دخل -قلت: لحُميد: النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم- على رجل قد جهد من المرض، فكأنَّه فرخ منتوف، قال:

«ادع الله بشيءٍ أو سَلْه».

فجعل يقول: اللهم ما أنت مُعَذِّبي به في الآخرة، فعجِّلْه في الدنيا.

قال: **«سبحان الله، لا تستطيعه -أو- لا تستطيعوا! ألا قلتَ: اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النَّار؟»! ودعا له فشفاه الله** عَزَّوَجَلَّ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٧)، ومسلم بنحوه (٢٦٨٨)، والإمام أحمد (١٢٠٤٩)، والترمذي (٣٤٨٧)، وابن حبان (٩٣٦، ٩٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٥٩).

وهذا الحديث يدل على ضررِ قِلَّةِ الفِقهِ بأحكامِ الدُّعاءِ، وألفاظِه، وآدابِه، وشروطِه، فالَّذي يدعو مِثلَ هذه الدَّعوةِ بتعجيلِ العِقابِ في الدُّنيا، يمكنُه باللِّسانِ نفْسِه أن يَدْعوَ بالعافيةِ فيُعافيَه الله، والرَّبُّ واحدٌ، إذا استجابَ لك في البلاء؛ فهو يَقدِرُ على أن يَستجيبَ لك في رفعِ البلاءِ، والعفوِ عنك، بل تبديلِ سيِّئاتِك حسناتٍ؛ كرمًا منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وفضْلًا.

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: فقدتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةً من الفِراش، فالتمستُه، فوقعت يَدِي على بطنِ قدميه وهُو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سَخَطِك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك**»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما خلق اللهُ الخلقَ كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»، وفي رواية: «**غلبت غضبي**»، وفي رواية: «**سَبَقَتْ غضبي**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَتَمَنَّيَنَّ أقوام لو أكثروا من السيئات**»، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: «**الذين بَدَّل اللهُ سيئاتِهم حسناتٍ**»[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٥).

(٢) رواه البخاري (٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٥٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٧٧).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يُؤتَى بالرجلِ يومَ القيامةِ فيُقالُ: اعرِضوا عليه صغارَ ذُنُوبِهِ. فتُعرَضُ عليه، ويُخَبَّأُ عنه كبارُها، فيُقالُ: عملتَ يومَ كذا وكذا؛ كذا وكذا، وهو مُقرٌّ لا يُنكرُ، وهو مُشفِقٌ مِنَ الكبارِ، فيُقالُ: أَعطُوهُ مكانَ كُلِّ سيئةٍ عَمِلَها حَسَنةً. قال: فيقولُ: إنَّ لي ذنوبًا ما أراها هَهُنا».

قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلقد رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتى بدت نواجذُه[(١)].

وقد رُوي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دعا الله لما آذاه أهلُ الطائف:

«إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكنَّ عافيتَك هي أوسع لي»[(٢)].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤٩٣)، ومسلم (٣١٥)، والترمذي (٢٥٩٦)، وابن حبان (٧٣٧٥)، وانظر «تعليق الألباني على متن الحديث في الصحيحة» (٣٠٥٢).

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (ص٣١٥)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١١)، والبغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٢٧٥)، وغيرهم.
وقال الهيثمي: «رواه الطبراني (١٤/ ١٣٩)، (١٤٧٦٤)، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات»، «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥)، وضعَّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٩٣٣)، واستشهد به شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٤).

فصل

النهي عن تمني البلاء

إن العبد الذي يُحجِّر رحمة الله الواسعة، ويبادر باستدعاء البلاء، ويستعجل حلوله به في الدنيا ثقةً بصبره إذا حصل، واغترارًا بنفسه، يشبه بفعله هذا حال من يتمنى لقاء العدو الذي نهى عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا أيها الناس، لا تتمنَّوْا لقاء العدو**[1]**، واسألوا الله العافية، فإذا لَقِيتُموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**[2]» الحديث.

قال العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي حفظه الله في شرح هذا الحديث: «يستفاد من الحديث بيان النهي عن تمني لقاء العدو، وقال بعض العلماء: حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال الله عَزَّوَجَلَّ

(١) وهذا النهي محمول على أن يتمنى لقاء العدو افتخارًا ومباهاة على وجه الوثوق بالنفس والإعجاب، أما إذا تمناه على وجه الرغبة في الخير والنكاية في العدو والغيرة لله عَزَّوَجَلَّ وإعلاء كلمته؛ فلا بأس كما قال أنس بن النضر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع» رواه البخاري (٢٨٠٦)، ومسلم (١٩٠٣)، لما فاتته غزوة بدر، وهذا فيه نوعُ تَمَنٍّ، كما يتمنى المسلم الشهادة، وكما قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البخاري (١٨٩٠).
وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: يقول الرجل: «اللهم إنِّي أعوذ بك من جهد البلاء»، ثم يسكت، فإذا قال ذلك فليقل: إلَّا بلاء فيه عَلاء» رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٩)، وقال الألباني في «صحيح الأدب» (٥٦٠): «صحيح الإسناد».

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٣)، والبخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٧٤٢).

العافية من الفتن، وقد قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلاء وما أعد الله لصاحبه من جزيل الثواب إذا هو صبر، وذكر العافية وما أعد الله عَزَّ وَجَلَّ لصاحبها من جزيل الثواب إذا هو شكر، فقلت: يا رسول الله، لأَن أُعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ورسول الله يُحِبَّ معك العافيةَ**»(١)؛ فالإنسان لا يدري ما تكون حاله، فمقابلة العدو للقتال فيها بذل النفس، والأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة، ثم قد يتمنى الإنسان لقاء العدو ويخالف ما وعد به نفسه؛ فيكون فيه صفة من صفات المنافقين الذين تمنوا ما حكاه القرآن: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة:٧٥، ٧٦]، فالإنسان يسأل ربه العافية، فإذا ابتُلي فإن عليه الصبرَ؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»(٢).

ورُوي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع رجلًا يقول: اللهم استنفِقْ مالي وولدي في سبيلك، فقال عمر: «ألا يسكتُ أحدُكم؟ فإن أُعطِي شكر، وإن ابتُلي صبر».

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٦٥)، (٣١٠٢)، وأبو نعيم في «الطب» (١١٢)، وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٢١): «حديث منكر»، وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٩٨٢): «موضوع»، والصحيح أنه من قول مطرف بن عبد الله بن الشخير.

(٢) «منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن إسماعيل» (٦/ ٢٩٣، ٢٩٤).

وكان سفيان الثوري يقول: «نحن لا نخاف البلاء، وإنما نخاف مما يبدو منا حال البلاء من السخط والضجر»، ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ما أدري ماذا يقع مني لو ابتُليت؟ فلعلي أكفر ولا أشعر».

وقد يكون في تمني البلاء نوع من الإعجاب بالنفس والاغترار بقوته، ووثوقه بها، وترك الاستعانة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إلهي بِرَّني بنعمائك فإنك لطيف، ولا تبرني ببلواك فإني ضعيف»[(١)].

وقال أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الملقب: سمنون المحب، ت: ٢٩٨هـ، وكان هو يسمى نفسه «سمنون الكذاب»)، وقصة ذلك:

أنه قال يومًا:

فليس لي في سواكَ حَظٌّ ... فكيفما شِئْتَ فامْتَحِني

إن كان يرجو سواك قلبي ... لا نِلْتُ سُؤلي ولا التَّمَني

فابتُلي بعسر البول[(٢)]، فكان يطوف على المكاتب، ويقول للصبيان: «ادعوا لعمكم الكَذَّاب»[(٣)].

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٦٧).

(٢) عُسْر التبول (Dysuria): حالة يبدأ فيها الجهاز البولي بتخزين البول بدلًا من التخلص منه بشكل طبيعي، ويعجز الشخص عن إفراغ مثانته بالكامل عند التبول، ويشعر بألم أثناء التبول، وقد يعجز فجأة عن التبول (Acute urinary retention).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٠).

فصل

لا تَتَمَنَّيْنَّ مَحْضَرًا غَيَّبَكَ اللهُ عنه

روى الإمام مسلم بسنده إلى إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كُنَّا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلتُ معه وأبليت[١]. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك[٢]؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ الأحزاب، وأَخَذَتْنا ريحٌ شديدة وَقَرٌّ[٣]. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فسكتنا، فلم يجبه مِنا أحد. ثم قال: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فسكتنا، فلم يجبه منا أحد. ثم قال: «**ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟**»، فسكتنا، فلم يُجِبْه منا أحد، فقال: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فلم أجد بُدًّا، إذ دعاني باسمي، أن أقومَ[٤]. قال: «**اذْهَبْ، فَأْتني**

(١) أي: بالغت في نُصرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأغنيت.

(٢) كأن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهم من كلام الرجل أنه قام بباله أنه كان يفعل أكثر مما كانت تفعله الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ويأتي بأبلغ مما أَتَوْه، فأخبره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بخبره في ليلة الأحزاب، وقصد زجره عن ظنه أنه يفعل أكثر مِن فعل الصحابة رضوان الله عليهم.

(٣) **القُرُّ:** البرد.

(٤) قال القاضي: «ولشدته -أي: البرد- لم يجبه أحد حين دعا من يأتيه بخبرهم، وتواكل الناس بعضهم لبعض لعله يكفى، فلما عَيَّنَهُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة وجبت عليه الإجابة» اهـ. من «إكمال المعلم» (٦/ ١٦٠)، ط. دار الوفاء.

بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلا تَذْعَرهُمْ عَلَيَّ»[١]، فلما وليتُ من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حَمَّام[٢]، حتى أتيتُهم، فرأيتُ أبا سفيان يَصْلِي ظهرَه بالنارِ[٣]، فوضعتُ سهمًا في كَبِدِ القوسِ[٤]، فأردتُ أن أرمِيَه، فذكرتُ قولَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، ولو رميتُه لأصبتُه، فرجعتُ وأنا أمشي في مثل الحَمَّام، فلما أتيتُه فأخبرتُه بخبرِ القوم، وفرغتُ، قُرِرْتُ[٥]، فألبسَني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فَضْلِ عَباءةٍ[٦] كانت عليه يُصَلِّي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحتُ. فلما أصبحتُ قال: «قُمْ يَانَوْمَانُ[٧]»[٨].

---

(١) **لا تذعرهم عليَّ**: أي لا تفزعهم.

قال النووي: «والمراد: لا تحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررًا عليَّ، لأنك رسولي وصاحبي» اهـ. من «شرح النووي» (٦/ ٣٨٦)، ط. دار أبي حيان.

(٢) قوله: (فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم) يعني: أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا؛ بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذهابه فيما وجهه له، ودعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رجع ووصل؛ عاد إليه البرد الذي يجده الناس، وهذه من معجزات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولفظة الحمام عربية، وهو مذكر مشتق من الحميم، وهو: الماء الحار.

(٣) قوله: (فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره) هو بفتح الياء وإسكان الصاد، أي: يدفئه ويدنيه منها، وهو الصَّلا بفتح الصاد والقصر، والصِّلاء بكسرها والمد.

(٤) قوله: (كبد القوس) هو: مقبضها، وكبد كل شيء وسطه.

(٥) **قُرِرْتُ**: أي أصابني البرد الذي كان يجده الناس.

(٦) **العباءة**: الكساء فيه خطوط.

(٧) **نومان**: كثير النوم، وأكثر ما يستعمل في النداء، كما هنا.

(٨) رواه مسلم (١٧٨٨).

وعن جُبَيْر بن نُفَير قال:

جَلَسْنا إلى المِقْدَاد بنِ الأَسودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا، فمَرَّ به رجلٌ، فقال: طُوبَى لِهَاتينِ العَيْنينِ اللَّتَينِ رأَتَا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللهِ لَوَدِدْنا أَنَّا رأينا ما رأيتَ، وشَهِدْنا ما شَهِدتَ. فاستُغضِبَ، فجعلتُ أَعجَبُ، ما قال إلَّا خيرًا، ثم أَقبَلَ إليه، فقال: ما يَحمِلُ الرجلَ على أن يَتمنَّى مَحْضَرًا غَيَّبَه الله عنه، لا يدري لو شَهِدَه كيف كان يكونُ فيه، والله لقد حَضَرَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقوامٌ كَبَّهم اللهُ على مَناخِرِهم في جهنَّم لم يُجِيبُوه ولم يُصَدِّقُوه، أَوَلَا تَحمَدُون اللهَ إذ أَخرَجَكم لا تَعرِفونَ إلا ربَّكم، مُصَدِّقِين لِما جاءَ به نبيُّكم، قد كُفِيتُم البَلاءَ بغَيرِكم، واللهِ لقد بَعَثَ اللهُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أَشدِّ حالٍ بُعِثَ عليها فيه نبيٌّ من الأنبياءِ في فترةٍ وجاهليةٍ، ما يَرَوْنَ أنَّ دِينًا أفضلُ من عبادةِ الأَوْثان، فجاءَ بفُرْقانٍ فَرَقَ به بين الحقِّ والباطلِ، وفَرَّقَ بين الولد ووالِدِه حتى إنْ كان الرجلُ لَيَرى والدَه وولدَه أو أَخاه كافرًا، وقد فَتَحَ الله قُفْلَ قلبه للإيمان، يَعلَمُ أنه إنْ هَلَكَ دخل النارَ، فلا تَقَرُّ عينُه وهو يعلمُ أنَّ حبيبَه في النار، وإنها لَلَّتي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤][(١)].

(١) رواه الإمام أحمد (٢٣٨١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧)، وابن حبان (٦٥٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٤) رقم (٦٠٠)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح» (٣٩/ ٢٣٠).

والحكمة في النهي عن تمني حضورِ مَشْهَدٍ غَيَّبَنَا الله عنه، هو أن هذا غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو سبحانه -وحده- الذي يعلم ما لم يكن، لو كان كيف يكون.

قال الإمام المحقق ابن القيم في نونيته:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون مِن سِرٍّ ومن إعلانِ

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نِسيانِ

وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كان والموجود في ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لو كا ... ن كيف يكون ذا إمكان[1]

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسع كل شيء علمًا، ومن سَعَةِ علمِه أنه يعلم ما كان وما هو كائن، وما سوف يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والدليل:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أولاد المشركين، فقال: «**اللهُ إذ خَلَقَهُم أعلمُ بما كانوا عاملين**»[2].

(١) «القصيدة النونية» (ص١٤٦، ١٤٧) ط. دار المعرفة - بيروت.

(٢) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٦٨٥٦)، (٢٦٥٩)، وانظر: «فتح الباري» (٤/ ١٧٧-١٨٦) طبعة دار طيبة - الرياض.

إن الله يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، كما يعلم لو أن فرعون آمن، كيف يكون حال إيمانه، وماذا سيكون مآله، وهذه الجزئية يَدخل فيها ما لا يكاد يُحصى من التفاصيل، وعامَّةُ ما جاء في القرآن بلفظ (لو) أو (لولا) فهو من هذا الباب.

فصل

إذا ابتلى اللهُ سبحانه العبدَ، وقَدَّرَ عليه؛ أعانه، وإذا تعرَّضَ العبدُ بنفسِهِ إلى البلاءِ، وَكَلَهُ اللهُ إلى نفسِه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «... ولهذا كان يونس بن عبيد يُوصي بثلاثٍ يقول: (لا تدخلْ على سلطانٍ، وإن قلتَ: آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة، وإن قلتَ: أعلمُها كتابَ الله، ولا تُصْغِ أذنُك إلى صاحبِ بدعةٍ، وإن قلتَ: أردُّ عليه).

فأمره بالاحتراز من (أسباب الفتنة) فإن الإنسان إذا تعرض لذلك فقد يُفْتَتَنُ ولا يَسْلَم.

فإذا قُدِّرَ أنه ابتُلي بذلك بغير اختياره، أو دخل فيه باختياره، وابتُلي؛ فعليه أن يتقيَ الله، ويصبرَ ويُخْلِصَ ويُجاهَد، وصبره على ذلك وسلامته مع قيامه بالواجب من أفضل الأعمال، كمن تولى وِلايةً وعَدَلَ فيها. أو رَدَّ على أصحاب البدع بالسنة المحضة ولم يَفْتِنُوه، أو عَلَّم النساءَ الدينَ على الوجه المشروع من غير فتنة.

لكن الله إذا ابتلى العبدَ وقَدَّرَ عليه أعانه، وإذا تَعَرَّضَ العبدُ بنفسه إلى البلاء وَكَلَه الله إلى نفسه، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن سمرة: **(لا تسألِ الإمارةَ فإنك إن أُعْطِيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أُعْطِيتَها عن**

غيرِ مسألةٍ أُعِنْتَ عليها)، وكذلك قال في الطاعون: **(إذا وقع ببلدٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فِرارًا منه، وإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه)**، فمن فعل ما أمره الله به، فَعَرَضَتْ له فتنةٌ من غيرِ اختيارِه؛ فإن الله يُعِينُه عليها بخلاف مَنْ تَعَرَّضَ لها.

لكن باب التوبة مفتوح؛ فإن الرجل قد يسأل الإمارة فيوكَل إليها، ثم يندم فيتوب مِن سؤاله فيتوب الله عليه ويعينه؛ إما على إقامة الواجب، وإما على الخلاصِ منها؛ وكذلك سائر الفتن، كما قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الآية [الزمر:٥٣]» اهـ[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«المصائب التي تجري بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله، إنما يثاب على الصبر عليها لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها»[(٢)].

وقال في موضع آخر:

«وقد جاءت شواهد السنة: بأن من ابتُلِي بغيرِ تعرضٍ منه أُعِينَ، ومن تعرض للبلاء خِيف عليه، مثل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن سمرة:

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٧٧، ٥٧٨).
(٢) «نفسه» (١٠/ ١٢٤).

(لا تسأل الإمارةَ فإنك إن أُعطِيتَها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإن أُعطِيتَها عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عليها)، ومنه قوله: (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا). وفي السنن: (من سأل القضاء واستعان عليه بالشفعاء وُكِل إليه، ومن لم يسأل القضاء، ولم يستعن عليه أنزل الله عليه مَلَكًا يسدده -وفي رواية-: وإن أكره عليه)[1]، وفي الصحيحين أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الطاعون: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه؛ وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه)، وعنه أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نهى عن النذر)، ومنه قوله: (ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه. وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم)»[2].

(١) الحديث رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أبو داود (٣٥٧٨)، والترمذي (١٣٧٢)، وابن ماجه (٢٣٠٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٦٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٢١، ٥٢٢).

فصل

إنما يُسْتَحَبُّ الدعاءُ بالصبر بعد وقوع البلاء لا قبلَه

الصبر أنواع: فصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وكلاهما واجب مأمور به، وصبر على البلاء، والكلام هنا على النوع الثالث، أي الصبر على البلاء.

فقبل البلاء نسأل الله تعالى العافية (على سبيل الوقاية).

فإذا نزل البلاء:

- فإن كان بلاءً يُرْجَى زواله، سألنا الله عنده العافية والصبر.
- وإن كان بلاءً لا يُرْجى زواله، كمصيبة الموت، سألنا الله الصبر واسترجعنا.

عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: مرَّ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ برجلٍ وهو يقول: اللهمَّ إني أسألُك الصَّبْرَ. فقال: «**قد سألْتَ البلاءَ فسَلِ اللهَ العافِيةَ**»[(١)].

قال المباركفوري رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال: (سَأَلْتَ اللهَ الْبَلَاء)، أي؛ لأنه يترتب عليه. (فَاسْأَلْهُ الْعَافِيَةَ)، أي: فإنها أوسع، وكل أحد لا يقدر أن يصبر على البلاء، ومحل

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٥)، والترمذي (٣٥٢٧)، وحسَّنه، والإمام أحمد (٢٢٠١٧) وغيرهم، وحسَّنه محققو «المسند» (٣٦/ ٣٤٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٤١٦)، (٤٥٢٠).

هذا إنما هو قبل وقوع البلاء، وأما بعده فلا منع من سؤال الصبر بل مستحب؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [البقرة:٢٥٠]، [الأعراف:١٢٦]»[(١)].

وجاء في دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأسألك الرضى بعد القضاء**»[(٢)]، أي: القضاء الذي يكرهه الإنسان، وإلا فكل الناس يرضى بما يحبه ويلائمه.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله إذا قضى قضاءً أحَبَّ أن يُرْضَى به».

وقال سفيان الثوري: اشتكى بعض أولاد محمد الباقر فجزع عليه، ثم أُخِبر بموته فسُرِّيَ عنه، فقيل له في ذلك، فقال: «ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره؛ لم نخالف الله فيما أحب»[(٣)].

وعن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اللهم ارزقني حُبَّك، وحُبَّ من ينفعُني حبُّه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحِب، فاجعله قوةً لي فيما تُحِبُّ، وما زويتَ عني مما أُحِبُّ، فاجعله فراغًا لي فيما تحب»[(٤)].

وعن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اشتكيتُ، فأتاني النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أقول: اللهمَّ إن كان أجلي قد حضر فأرِحْني[(٥)]، وإن كان متأخرًا فاشفني

---

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٠/ ١٢٩).

(٢) انظر تخريجه (ص٨٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠٧).

(٤) رواه موقوفًا ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٥٤)، وصححه الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ في «تبييض الصحيفة» (١/ ٣٥)، وانظر: «فيض القدير» (٢/ ١٠٩).

(٥) **فأرحني**: أي: خَلِّصني من تعب المرض.

-أو عافني-، وإن كان بلاءً[١] فصبرِّني. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيفَ قُلْتَ؟**» قال: فأعدتُ عليه، قال: فسمح بيده، ثم قال: «**اللهمَّ اشْفِهِ، أَو عافِهِ**» قال: فما اشتكيتُ وجعي ذاك بعدُ[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«والرضا والتوكل يكتنفان المقدورَ، فالتوكلُ قبلَ وقوعِهِ، والرضا بعد وقوعه؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الصلاة: «**اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصدَ في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت؛ وأسألك لذة النظر إلى وجهك؛ وأسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**» رواه أحمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر[٣].

وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا؛ ولهذا كان طائفة من المشائخ[٤] يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء؛ فإذا وقع انفسخت

---

(١) **بلاءً**: أي: مرضًا مُمْتَدًّا.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٠٥٧)، (٦٣٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤٦)، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن».

(٣) رواه الإمام أحمد (١٨٣٥٢)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٢٢٩)، وغيرهم، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح» (٣٠/ ٢٦٥)، وصححه الألباني في «تحقيق الكلم الطيب» (١٠٦)، و«صحيح النسائي» (١/ ٢٨١).

(٤) جمع شيخ: شيوخ وأشياخ ومشيخة، وجمع الجمع: مَشايخ.

عزائمهم، كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٢-٤] نزلت هذه الآية لما قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه. فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آية الجهاد، فكرهه من كرهه.

ولهذا كُرِهَ للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجِبَ على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك، أو يطلب وِلاية، أو يقدم على بلد فيه طاعون...

وأمثال ذلك مما يقتضي أن الإنسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء، ويُحرِّم عليه أشياء فيبخل بالوفاء؛ كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهودًا على أمور، وغالب هؤلاء يُبْتَلَوْنَ بنقض العهود.

ويقتضي أن الإنسان إذا ابتُلي فعليه أن يصبر ويثبت ولا ينكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات، ولابد في جميع ذلك من الصبر؛ ولهذا كان الصبر واجبًا باتفاق المسلمين على أداء الواجبات، وترك المحظورات. ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه»[(١)].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٧-٣٩) بتصرف.

الباب الثالث

حال المؤمن عند الابتلاء

فصل

الابتلاء سنة حتمية

«لا راحة للمؤمن دون لقاء الله»

[عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

لقد أخبرنا الله العليم الخبير بحكمته من خلق الخَلْق فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

فكل إنسان يُبتلى، والمؤمنون يُبْتَلَوْنَ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢، ٣].

قال عبد الملك بن أبجر: «ما من الناس إلا مبتلًى بعافية، لينظر كيف شكره، أو مبتلًى ببلية لينظر كيف صبره».

وسنة الابتلاء أشد انطباقًا على صفوة الله من خلقه: الأنبياء والمرسلين:

- فقد اقترن خبر ميلاد الدعوة الإسلامية بحتمية وقوع الابتلاء لصاحب الدعوة ﷺ.

فحين انطلقت خديجة رضي الله عنها برسول الله ﷺ -لما نزل عليه الوحي في غار حراء- إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقالت له خديجة: «يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبرَ ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ اللهُ على موسى. يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجُك قومُك. فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟**». قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركْني يومُك أنصُرْك نصرًا مُؤزَّرًا».

وعن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بُرْدَةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس مُحمارًّا لونُه أو وجهُه، فقال لنا: «**لقد كان من قبلكم يُؤخَذ الرجلُ، فيُحفَر له في الأرض، ثم يُجاءُ بالمنشار، فيُجعَل فوقَ رأسِه، ثم يجعل بفرقتين ما يصرفُه عن دِينه، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديد ما دون لحمِهِ مِن عظمٍ وعَصَبٍ ما يصرفُه عن دينه، ولَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ منكم من صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخشى إلا الله، ولكنكم تعجلون**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٣٦١٢)، (٣٨٥٢)، (٦٩٤٣).

فتأمل كيف عدل عن الدعاء لهم إلى تسليتهم بأن البلاء سنة ماضية لابد منها، كما جاء في حديث خباب أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شكونا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّ الرَّمضاء فلم يُشْكِنا»(١).

والمشهور في تفسيره أنهم أرادوا الإبراد بالظهر في شدة الحر، وقيل: إنهم شَكَوْا إليه أنهم كانوا يُعَذَّبون في حَرِّ الرمضاء في مكة قبل الهجرة، وطلبوا منه أن يدعو لهم ويستنصر، فأمرهم بالصبر في الله.

وفي قصة أصحاب الأخدود أن الراهب قال للغلام: «أي بني، أنت أفضل مني، وإنك ستُبتلى» الحديث(٢).

وسأل رجل الإمامَ الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل أن يُمكَّن أو يُبْتَلَى؟ فقال الشافعي: «لا يُمَكَّنُ حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكَّنهم، فلا يظنَّ أحدٌ أن يخلص من الألم البتة»(٣).

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا راحة للمؤمن دون لقاء الله».

- وسأل رجل أبا بكر بن عبد الله فقال: ما تمام النعمة؟ قال: «أن تضع رِجْلًا على الصراط ورِجلًا في الجنة».

---

(١) رواه مسلم (٦١٩)، وابن ماجه (٦٧٥).
ومعنى (لم يُشكنا): لم يُزلْ شكوانا، ولم يجبهم إلى ما سألوا.
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٩٣١)، ومسلم (٣٠٠٥)، وابن حبان (٨٧٣).
(٣) «الفوائد» (ص٢٦٩).

- وقال محمد بن حسنويه: حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وجاءه رجل من أهل خُراسان، فقال: يا أبا عبد الله، قصدتُك من خراسان أسألك عن مسألة، فقال له: «سل»، قال: متى يجد العبدُ طعمَ الراحةِ؟ قال: «عند أول قَدَمٍ يَضَعُها في الجنة»[(١)].

طُبِعتْ على كَدَرٍ وأنت تُريدُها ... صَفْوًا من الأقذارِ والأكدارِ
وَمُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نارِ[(٢)]

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن كلامه في علاج الابتلاء: «ومن علاجه أن يُطفئ نارَ مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم **أنه في كل وادٍ بنو سعد**[(٣)]، ولينظر يَمنة، فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يَسرة، فهل يرى إلا حسرة؟، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرورَ الدنيا أحلامُ نوم أو كظل زائلٍ، إن أضحكت قليلًا، أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا، ساءت دهرًا، وإن متَّعت قليلًا، منعت طويلًا، وما ملأتْ دارًا خيرةً إلا ملأتها عَبْرة، ولا سرته بيومِ سرور إلا خبأت له يومَ شرور، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لكل فرحةٍ ترحةٍ، وما مُلئ بيتٌ فرحًا إلا ملئ ترحًا)، وقال ابن سيرين: (ما كان ضحك قطُّ إلا كان من بعده بُكاء)»[(٤)].

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٣).
(٢) من قصيدة الشاعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي (قُتِل سنة ٤١٦هـ) التي رثى فيها ابنه الصبي.
(٣) مقتبس من المثل للأضبط بن قريع: «في كل وادٍ سعد بن زيد».
(٤) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٠).

فصل

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]

قوله تعالى: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ أي: في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

- وقال الحسن: «يُكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة».

وعنه: «يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء، لأنه لا يخلو من أحدهما».

وقال يَمانٌ: «لم يخلق الله خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم؛ وهو مع ذلك أضعف الخلق».

وما أحسن ما قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها:

«قال علماؤنا: أولُ ما يكابد قطعُ سُرَّتَه، ثم إذا قُمِطَ قِماطًا، وشُدَّ رِباطًا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نَبْتَ أسنانِه، وتحرُّكَ لسانِه، ثم يكابدُ الفِطامَ، الذي هو أشدُّ من اللِّطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المُعَلِّم وصَولَته، والمؤدبَ وسياسته، والأستاذَ وهيبته، ثم يكابد شغل التَّزْويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شُغْل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكِبَرَ والهَرَم، وضعفَ الركبة والقدم، في مصائبَ يكثر تَعدادها، ونوائبَ يطول إيرادُها، مِن صُداعِ الرأس، ووجع الأضراس، ورَمَدِ العينِ، وغَمِّ الدَّين،

ووجعِ السن، وألمِ الأذن. ويكابد محنًا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموتُ بعدَ ذلك كله، ثم مساءلةَ المَلَك، وضغطةَ القبر وظلمته؛ ثم البعثَ والعرضَ على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. ودلَّ هذا على أن له خالقًا دَبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره» اهـ[١].

إن الدنيا هي دار الابتلاء والنوائب، فإما أن يعاني الإنسان أذى المصائب والكوارث، فإن سلم منها عانى من أذى الخلق، وإن سلم منهم وبقيت نفسه أصيب في أعضائه، وإن عوفي في أعضائه امتُحِن بفقد أحبائه، وإن سلم من كل ذلك فالهَرَم من ورائه.

ما أنت إلا كزرع عند خضرته ... بكل شيء من الآفات مقصودُ

فإذا سلمت من الآفات أجمعها ... فأنت عند تمام الزرع محصود

وحال الناس في الدنيا كما قال أحدهم:

فَيَوْمٌ لنا ويَومٌ علينا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ

إن الابتلاء قاسمٌ مشترك بين الخلق، كما قال الأول:

وأعلم أني لم تُصبني مصيبة ... من الله إلا قد أصابت فتًى قبلي

ولو سلِم منه أحدٌ لسَلِمَ الأنبياء والمرسلون، ولكن الله تعالى لحكمةٍ بالغة ينوّع على عباده البلاء؛ فمنهم من يُبْتلى بالسراء، ومنهم من يُبتلى بالضراء...

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٦٢، ٦٣).

منهم من يُبتلى بالفقر، ومنهم من يُبتلى بالمرض، وآخرون بفقد الأحبة، وغيرهم بالسجن أو القتل.

فالله تعالى -كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «يربي عبدَه على السراء والضراء، والنعمة والبلاء؛ فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال، فإن العبد على الحقيقة مَن قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عَبْدُ السراء والعافية؛ الذي يعبد الله على حرفٍ، فإن أصابه خيرٌ اطمأن به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه؛ فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته، فلا ريبَ أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمانُ النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبدَ ويبلّغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمانٌ يثبت على البلاء والعافية»[(١)].

«ومن رحمة الله: أن نَغَّص على عباده الدنيا وكدَّرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فَمَنَعَهُم لِيُعْطِيَهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليُحييهم»[(٢)].

إن الله سبحانه «يُحبّ من عباده تكميلَ عُبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عُبوديةٌ بمقتضى تلك الحال، لا تحصلُ إلا بها، ولا يستقيم

(١) «طريق الهجرتين» (ص٢٧٧).
(٢) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩١٧).

القلب بدونها، كما لا تستقيمُ الأبدان إلا بالحر والبَرْد، والجوع والعطش والنَّصب وأضدادها، فتلك المِحَنُ والبلايا شرطٌ في حصول الكمال الإنساني، والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنعٌ»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لولا مِحَنُ الدنيا ومصائبها، لأصاب العبدَ -من أدواء الكِبْرِ والعُجْبِ والفرعنة وقسوة القلب- ما هو سببُ هلاكه عاجلًا وآجلًا، فمِن رحمةِ أرحم الراحمين أن يتفقَّده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حِمية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عُبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحانَ من يرحمُ ببلائه، ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد يُنعِمُ اللهُ بالبَلْوى وإنْ عَظُمَت ... ويَبْتَلي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

فلولا أنه سبحانه يُداوي عبادَه بأدوية المحن والابتلاء، لطغَوْا، وبَغَوْا، وعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرِغُ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه، أهَّلَه لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديتُه، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيتُه وقربه» اهـ[٢].

(١) «نفسه» (٢/ ٩٣٧).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٥).

فصل

أشد الناس بلاءً

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى العبد على حسب دينه. فإن كان في دينه صُلبًا اشتدَّ بلاؤهُ. وإن كان في دينه رقة ابتُلي على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة**»[(١)].

وعن أبي بردة عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحسبها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرضًا اشتد منه ضجرُه أو وجعُه. قالت: فقلت: يا رسول الله إنك لتجزع أو تضجر، لو فعلته امرأة منا عجبتَ منها، قال: «**أو ما علمتِ أن المؤمن يُشَدَّدُ عليه ليكون كفارةً لخطاياه**»[(٢)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٤٨١)، والدارمي (٢٧٨٣)، والحاكم (١/ ٤١)، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).
وقوله: «**الأمثل فالأمثل**»، قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٢٩٦): أي الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى في الرُّتبة والمنزلة، يقال: هذا أمثلُ من هذا، أي: أفضلُ وأدنى إلى الخير، وأماثلُ الناس: خِيارُهم.

(٢) رواه ابن سعد (٢/ ٢٠٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١١٠٣): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وعن عبد الرحمن بن شيبة أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرقه وجع، فجعل يشتكي، ويتقلب على فراشه، فقالت عائشة: لو صَنَعَ هذا بعضُنا لوجدتَ عليه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الصالحين يُشَدَّدُ عليهم، وإنه لا يُصِيبُ مؤمنًا نكبةٌ من شوكةٍ فما فوق ذلك إلا حُطَّتْ بها عنه خطيئة، ورُفع بها درجةً**»(١).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت أحدًا الوَجَعُ عليه أشدُّ مِن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ المؤمنِ كَمَثَل خَامَةِ الزَّرْع يَفِيءُ وَرَقُه من حيث أتتها الريحُ تُكَفِّئُها، فإذا سكَنَتْ اعتدلتْ، وكذلك المؤمنُ يُكَفَّأُ بالبلاءِ، ومَثَلُ الكافرِ كمثل الأَرْزَةِ صَمَّاءَ معتدِلةً حتى يقصِمَها اللهُ إذا شاء**»(٣).

فشبَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن بالخامة من الزرع، وهي الغصنةُ الغضَّةُ الطرية منه، تميلها الريح مرة وتعدلها أخرى، وشبَّه المنافق بـالأَرْزَة، وهو شجر معروف، يقال له: الأَرزَن، يُشبه شجر الصنوبر، وقيل: هو شجر الصَّنَوْبَر، وهو الشجر الذي يُعمَّرُ طويلًا، ويكون انجعافُها -أي انقلاعُها- مرة واحدة،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٦٠)، وابن حبان (٧٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٢٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٦١٠): «وهو كما قالا».
(٢) رواه البخاري (١٠/ ٩٦)، ومسلم (٢٥٧٠).
(٣) رواه البخاري (٧٤٦٦)، ومسلم (٢٨٠٩).

ووجه التشبيه أن المؤمن من حيث إنه إن جاءه أمرُ الله انصاع له ورضي به؛ فإن جاءه خيرٌ فرح به وشكر، وإن وقع به مكروهٌ صبر، ورجا فيه الأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرًا، والناس في ذلك على أقسام، منهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، ومنهم من يرى أن هذا من تصرف المالك في ملكه فيُسَلِّم، ولا يعترض، ووجه التشبيه عند المنافق: أن المنافق لا يتفقده الله باختباره، بل يجعل له التيسير في الدنيا ليتعسَّر عليه الحالُ في المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكَه قصَمَهُ فيكون موته أشد عذابًا عليه وأكثر ألمًا في خروج نفسِه[١].

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تُميلُها الريحُ مرةً هكذا، ومرةً هكذا، ومثل المنافق كمثل الأُرُزَّةِ المجذية[٢] على الأرض حتى يكون انجِعافُها[٣] مرة**»[٤].

إن الرياح إذا عصَفْن فإنما ... تُولِي الأذية شامخَ الأغصانِ

آخر:

إن الرياح إذا اشتدتْ عواصفُها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجرِ

وعن أنس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المؤمنِ مَثَلُ السُّنْبُلَة، تميلُ أحيانًا، وتقومُ أحيانًا**»[٥].

---

(١) انظر: «غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع» للحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) **المُجذِيَة**: القائمة الثابتة.
(٣) **الانجعاف**: الانقلاع.
(٤) رواه البخاري (٥٦٤٣)، ومسلم (٢٨١٠).
(٥) انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٤).

إذا أحب الله قومًا ابتلاهم

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عُظْمَ الجزاءِ مع عُظْمِ البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رَضِي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السَّخَط**»(١).

عن عبد الله بن المغفل قال: أتى رجل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: والله يا رسول الله إني أحبك، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن البلايا أسرعُ إلى مَن يُحبني من السيل إلى منتهاه**»(٢).

وقال الفضيل: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ليتعاهد عبدَه المؤمنَ بالبلاء كما يتعاهد الرجلُ أهلَه بالخير».

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٣٩٦)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٤٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٠٥ - موارد)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٨٦).

قد يكون البلاء عقوبة على الذنوب[١]

قال الله تعالى في قصة أُحُد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

وقال: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشورى:٤٨].

وقال: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم:٣٦].

وقال: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٤].

وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

---

(١) وقد فصَّل ذلك بما لا مزيد عليه الإمامُ المحقّق ابن القيم في كتابه النافع «الداء والدواء».

ذكر بعض ما ورد من الآثار في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠]

- عن أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أَذْنَبَ في الدنيا ذَنْبًا، فعُوقِبَ به، فالله أعدلُ من أن يُثَنِّيَ عقوبَتَه على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا، فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرمُ من أن يعود في شيءٍ قد عفا عنه**»(١).

- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وَفَى منكم فأجرُه على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعُوقِبَ في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٧٧٥)، والترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٥)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

- وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -من طريق أبي جحيفة- أنه قال: أحدِّثكم بحديثٍ حقٌّ على كل مسلم أو على المسلمين أن يعُوه؟ قلنا: بلى. فحدَّثنا به أول النهار، ونسيناه آخر النهار، فأتيناه، فقلنا له: الحديث الذي حدَّثتنا به أنه حق على المسلمين أن يعوه قد نسيناه، فأعِدْه علينا، قال: «**ما من عبدٍ مسلم يذنب ذنبًا فيأخذه الله به في الدنيا فيعاقبه به إلا كان الله عَزَّوَجَلَّ أكرم من أن يعود في عقوبته يوم القيامة، وما من مسلمٍ يذنب ذنبًا فيغفر الله عنه في الدنيا إلا كان الله أكرم من أن يعود في عقوبته يوم القيامة فيما عفا عنه**». ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[(١)].

- وعن عمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -من طريق الحسن-: أنه دخل عليه بعضُ أصحابه، وكان قد ابتُلي في جسده، فقال: إنا لنبتئس لك لِما نرى فيك. قال: فلا تبتئس لما ترى، فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر. ثم تلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[(٢)].

- وعن الضحاك بن مزاحِم -من طريق ابن أبي روّاد- قال: ما تعلَّم أحدٌ القرآن ثم نسيَه إلا بذنب يُحدِثه. ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾. وقال: وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ من نسيان القرآن؟![(٣)].

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٤٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥، ٤٤٦)، والبيهقي (٩٨١٣، ٩٩٧٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٦١٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٦٥).

- وعن ابن أبي مُلَيْكَة: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق كانت تُصْدَع، فتضع يدها على رأسها، وتقول: «بذنبي، وما يغفرُ الله أكثر»[(١)].

- وعن مُرَّة الهَمْدانِيّ، قال: رأيتُ على ظهر كفّ شُرَيْح قُرحة، قلت: يا أبا أمية، ما هذا؟ قال: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

- عن أبي بكر بن أبي زهير، قال: أخبرت أن أبا بكر قال: يا رسول الله، كيف الصلاحُ[(٢)] بعد هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، فكلُّ سوءٍ عملنا جُزينا به؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تمرضُ؟ ألستَ تنصبُ؟ ألستَ تحزنُ؟ ألستَ تصيبُك اللَّأواءُ؟**[(٣)]»، قال: بلى، قال: «**فهو ما تُجْزَونَ به**»[(٤)]، وفي رواية: «**فإن ذاك بذاك**»[(٥)].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٢٥٢)، وحسَّنه الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٤٨٨).

(٢) قوله: كيف الصلاح؟ يعني صلاح الآخرة، وهو النجاة، أو صلاح الدنيا على وجهٍ يؤدي إلى نجاة الآخرة.

(٣) **اللَّأواء**: الشدة وضيق المعيشة، ثم لابُدَّ من تقييد هذه الآية، أي: إذا لم يغفر له بسبب كالحسنات، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، أو بلا سبب، لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.
ويمكن أن يقال: إن المغفرة بسبب من باب المجازاة، إذ لولا الذنبُ، لازداد درجة بالحسنات، فعدم الازدياد من المجازاة، وبلا سبب هو أن يخلص من النار بنحو الأمراض، وهو من باب المجازاة كما في الحديث، فرجع الأمرُ إلى المجازاة، فليتأمَّل، والله تعالى أعلم.

(٤) رواه الإمام أحمد (٦٨) وغيره، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين أبي بكر بن أبي زهير وبين أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١/ ٢٣٠).

(٥) «المسند» رقم (٦٩).

- وعن عبيد بن عمير عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلًا تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، قال: إنا لنُجزى بكل عملِنا؟ هلَكْنا إذًا؟ فبلغ ذاك رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**نعم، يُجزى به المؤمنون في الدنيا في مصيبة في جسده فيما يؤذيه**»(١).

- وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما اختلج عِرْقٌ ولا عينٌ إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر**»(٢).

- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا أراد الله بعبده الخيرَ عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عليه بذنبِهِ حتى يوافيَه به يومَ القيامةِ**»(٣).

- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: أقبل علينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا معشر المهاجرين! خمسٌ إذا ابتُلِيتُم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تُدرِكُوهُنَّ:**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٣٦٨)، وصححه الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة» (٥/ ٣٤٥).

(٢) رواه الطبراني في «الصغير» رقم (١٠٥٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٤٧)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٢٢١٥).
قوله: «وما يدفع الله عنه» أي عن ذلك العرق أو عن تلك العين، ويحتمل: وما يدفع الله عن ذلك الإنسان المذنب، على حد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢]، وقوله: «**أكثر**»: كأنه تعالى يقول: قاصصتك بشيء من ذنوبك لتتنبه من رقدتك، وأعفو عن الكثير الباقي، فوعد العفو عن ذلك الجم الكثير، كما في «فيض القدير» (٥/ ٤١٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وقال: «حسن غريب»، ووافقه الشيخ شعيب في تحقيق «شرح السنة» رقم (١٤٣٥).

لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ، حتى يُعلِنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضتْ في أسلافهمُ الذين مَضوْا.

ولم يَنْقُصُوا المِكيالَ والميزانَ، إلا أُخِذُوا بالسِّنين وشِدَّةِ المَؤُونة وجَوْرِ السلطانِ عليهم.

ولم يمنعوا زكاةَ أموالِهم، إلا مُنِعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا.

ولم يَنْقُضوا عهدَ الله وعهدَ رسوله، إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عدوًّا مِن غيرِهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم.

وما لم تحكمْ أئمتُهم بكتابِ الله، ويتخيَّروا مما أنزل الله، إلا جعل اللهُ بأسَهُم بينهم»[(١)].

- وقال يونس بن محمد المكي: «زرع رجل من أهل الطائف زرعًا، فلما بلغ أصابتْه آفةٌ، فاحترق، فدخلنا عليه لنسليَه فيه، فبكى، وقال: والله ما عليه أبكي، ولكن سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٦)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٣٢٤٦).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا ابتُليتم**» على بناء المفعول، والجزاء محذوف، أي: فلا خير، أو: حل بكم من أنواع العذاب الذي يُذكَر بعدَه. «**وأعوذ بالله أن تدركوهن**» جملة معترضة، «**لم تظهر الفاحشة**» أي: الزنا. «**بالسنين**» أي: بالقحط. «**منعوا القطر**» أي: المطر. «**عهد الله**» هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب.

﴿قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُ﴾ [آل عمران:١١٧] فأخاف أن أكون من أهل هذه الصِّفَةِ، فذلك الذي أبكاني».

واستطال رجلٌ على أبي معاويةَ الأسودِ فقال له رجل كان عنده: مَهْ، فقال أبو معاوية: «دَعْه يشتفي»، ثم قال: «اللهم اغفر الذنبَ الذي سلَّطتَ عليَّ به هذا».

وكتبتْ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا إلى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ:

«أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله؛ عاد حامِدُه من الناس ذامًّا».

وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «لِيَحْذَر امرؤ أن تلعنه قلوبُ المؤمنين من حيث لا يشعر»، ثم قال: «أتدري مِمَّ هذا؟ إن العبدَ يخلو بمعاصي الله، فيُلقي الله بُغْضَه في قلوب المؤمنين، من حيث لا يشعر».

وعن عبيد الله بن السري قال: قال ابن سيرين: «إني لأعرف الذنب الذي حُمِل به عليَّ الدَّينُ ما هو؟ قلت لرجل منذ أربعين سنة: (يا مفلس)، قال عبيد الله: فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال: «قَلَّتْ ذنوبُهم فعرفوا من أين يُؤْتَوْن، وكثرت ذنوبي وذنوبك، فليس ندري من أين نُؤتَى».

وقال سليمان التيمي: «إن الرجل لَيُصيبُ الذنبَ في السرِّ، فيصبح عليه مَذَلَّتُه».

وقال سفيان الثوري: «والله إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خُلُق دابتي، وخُلُقِ امرأتي».

فصل

من فوائد المصائب والرزايا

معرفة عزِّ الربوبية وقهرها:

المـــوت ســـر الله في خـلـقِـه وحـكـمـةٌ دلـت عـلـى قَـهْـرِه

ومعرفة ذل العبودية وكسرها:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥، ١٥٦].

قال الإمام ابن القيم وهو يعدِّد حِكم ابتلاء المؤمنين بقهر عدوهم وغلبته:

«فمنها: استخراج عُبوديّتهم وذُلّهم لله، وانكِسارهم له، وافتقارهم إليه، وسؤالهم نصرَهم على أعدائهم، ولو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لبَطِروا وأشِرُوا، ولو كانوا دائمًا مقهورين مَغلوبين منصورًا عليهم عدوُّهم لما قامت للدِّين قائمةٌ، ولا كانت للحق دولةٌ. فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرّفهم بين غلبتهم تارةً، وكونهم مغلوبين تارةً، فإذا غُلِبوا تضرّعُوا إلى ربهم، وأنابوا إليه، وخضعوا له، وانكسروا له، وتابوا إليه، وإذا غَلَبوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وجاهدوا عدوّه، ونصروا أولياءه»[1].

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩٣٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ابتلاء المؤمن كالدّواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصَت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاءُ والامتحانُ منه تلك الأدواء، ويستعدُّ به لتمام الأجر وعلوّ المنزلة. ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه»(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما يصيب المؤمنَ في هذه الدار من إدالة عدوِّه عليه، وغلبته له، وأذاه له في بعض الأحيان، أمرٌ لازم لابد منه، وهو كالحَرِّ الشديد، والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حكمةُ أحكم الحاكمين.

فلو تجرّد الخير في هذا العالم عن الشرّ، والنفعُ عن الضر، واللَّذَّة عن الألم، لكان ذلك عالمًا غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تَفوتُ الحكمة التي مُزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة، والنافع والضار.

وإنما يكون تخليص هذا من هذا وتمييزه في دارٍ أخرى غير هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٧]»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) «نفسه» (٢/ ٩٣٥).
(٢) «نفسه» (٢/ ٩٣٦).

ومن فوائد البلاء:

رحمة أهل البلاء، ومساعدتهم على بلواهم، قال الشاعر:

يَلوم في الحبِّ من لم يدرِطعمَ الهوى   وإنما يَعْذُرُ العُشَّاقَ من عَشِقا

فلا يجد ذَوْقَ التعب إلا مَن نازله، ولا يعرف قدرَ الضرر إلا من واصله، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرِفُ الشوقَ إلا مَن يكابده   ولا الصبابةَ إلا من يُعانيها

وقيل إن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن يأكل حتى يأكل جميعُ المتعلقين به، فسئل عن ذلك، فقال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجائع».

وحُكي عن بشرٍ الحافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه دخل عليه رجل في الشتاء، فوجده جالسًا يرعد، وثوبه مُعَلَّق على المِشْجَب، فقال له: «في مثل هذا الوقتِ تنزع الثوبَ؟»، فقال: «يا أخي الفقراء كثير، وليس لي طاقةُ مواساتهم بالثياب، فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون».

روى الإمام مالك أنه بلغه: أن عيسى ابن مريم كان يقول: «لا تُكثِروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله فتقسُوَ قلوبُكم، فإن القلب القاسيَ بعيدٌ من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أربابٌ، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيدٌ، فإنما الناس مبتلًى ومعافًى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية»[١].

(١) «الموطأ» (٩٨٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١١/ ٥٤٨).

البلاء إيقاظٌ للمبتلَى وعِتاب

إن حال الشدة والبلاء مقبلة بالعبد إلى الله، وحال العافية والنعمة قد تصرفه عن الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ الآية [يونس:١٢].

والنعم قد تسبب الأَشَر، والبَطَر، والفخر، والخيلاء، والتكبر، والتجبر، فإن النمرود قد حمله البطر على أن حاجَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ربه، وقد علَّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محاجته بإتيانه الملك فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

ولو ابتلي فرعون بالمرض والسقم لما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة:٧٤]، ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦، ٧]، ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى:٢٧]، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ ﴾ [هود:١١٦]، ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن:١٦، ١٧]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ:٣٤].

- قال محمد بن سلَّام الجمحي: «الإنسانُ في غَفْلَةٍ حتى يُوقَظَ بعِلَّةٍ»[١].

- وعن علي بن الحسين قال: «إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر».

فمن فوائد البلاء والمرض أنه ينبه العبد إلى التوبة، ويوقظه من غفلته:

- قال الفضيل: «إنما جُعِلت العلل ليؤدَّبَ بها العباد، ليس كل من مرض مات».

- وعن صالح بن مسمار أنه دخل على مريض يعوده فقال له: «إن ربك قد عاتبك فاعتِبه».

- وكان الحسن إذا دخل على مريض قد عُوفي قال له: «يا هذا! إن الله قد ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره».

- وعن يزيد بن معاوية قال: «إذا مرض أحدكم مرضًا فأشفى ثم تماثل؛ فلينظر إلى أفضل عملٍ عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوإ عملٍ عنده فليدعه».

- وكانت أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تمرض المرضة، فتُعْتِقُ كلَّ مملوكٍ لها.

- وعن ثابت، قال: دخلنا على ربيعة بن الحارث نعُودُهُ وهو ثقيلٌ، فقال: «إنه من كان في مثل حالي هذه ملأتِ الآخرةُ قلبَهُ، وكانتِ الدنيا أصغرَ في عينيه من ذُبابٍ».

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠١).

وغالبًا ما يعزم المريض على التوبة النصوح إذا شفاه الله من مرضه شكرًا لنعمة العافية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ الآية [البقرة:١٧٧].

- وقد رُوي عن خوات بن جبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: مرضتُ، فعادني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**صحَّ الجسمُ يا خوَّاتُ!**» قلت: وجسمُك يا رسول الله! قال: «**فَفِ اللهَ بما وعَدتَهُ**» قلت: ما وعدتُ الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا، قال: «**بلى إنه ما من عبدٍ يمرض إلا أحدث الله عَزَّوَجَلَّ خيرًا، فَفِ اللهَ بما وعدتَهُ**»(١).

إذا مَرِضْنا نوينا كلَّ صالحةٍ ... فإن شُفِينا فمنا الزَّيْغُ والزَّلَلُ

نرجو الإلهَ إذا خِفْنا ونُسْخِطُهُ ... إذا أَمِنَّا فما يزكو لنا عملُ

آخر:

نحن ندعو الإلهَ في كل كربٍ ... ثم ننساه عند كشف الكروبِ

- وعن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «إن الهلكة كلَّ الهلكة؛ أن تعمل السيئاتِ في زمانِ البلاء»(٢).

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٨)، والحاكم (٣/ ٤١٣)، وسكت عنه هو والذهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩٠)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن إسحاق الهاشمي، ضعفه العقيلي». وقال الحافظ ابن حجر: «حديث غريب» (الفتوحات ٤/ ٩٣). (فِ الله): فِ: فعل أمر من وفى، مبني على حذف حرف العلة.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٦٨٠).

وليكن على بالٍ ممن لحقه الابتلاء، أو أدركه التمحيص، أنه على فرض سلامته مما ابتُلي به، ذاهب إلى الهَرَم، مرتحل مع الساعات إلى المشيب، الذي هو نذير الموت، قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا محمدُ، عِشْ ما شِئتَ فإنك ميت**» الحديث[١].

- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلُقًا**»، قال: فأيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم له استعدادًا؛ أولئك الأكياس**»[٢].

(١) جزء من حديث رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسّنه المنذري في «الترغيب» (٢/ ١١)، والألباني في «الصحيحة» (٨٣١) بمجموع طرقه.

(٢) رواه البيهقي في «الزهد الكبير»، وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٣٨٤).

فصل
في طَيِّ البلاءِ نِعَمٌ مَخْفِيَّة

قد تتنكر النعمة في زِيِّ البلاء، وتنطوي البلية على فوائد خفية، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]، وقال سبحانه: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طيّ تلك البلية والمصيبة أن أخدمها هاجر، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فكان في ذرية إسماعيل سيد المرسلين وخاتم النبيين، فأعظم بذلك من خير كان في طيّ تلك البلية[1]، وقد قال سعيد بن حميد:

ولِكُلِّ صافيةٍ قَذًى ... ولكلِّ خالصةٍ شوائبْ
كم فُرْجةٍ مطويةٍ ... لك بين أثناءِ النوائبْ
ومَسَرَّةٍ قد أقبَلَتْ ... لك بينَ أثناءِ النوائبْ

إن مَنْع الله -في حقيقته- عطاء، لأنه لا يمنع عن بخل، وإنما عن حسن اختيار لعبده، فالله ما منعك إلا ليعطيَك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك.

(١) رواه البخاري (١١١٣).

تعوَّدتُ مَسَّ الضر حتى ألِفتُه ... وأسلمني حسنُ العزاءِ إلى الصبرِ
وصيَّرني يأسي من الناس راجيًا ... بحُسْن صنيع الله من حيث لا أدري

وقال آخر:

رُبَّ مبغوضٍ كريهٍ ... فيهِ لله لطائف

آخر:

كم نعمةٍ لا تستقِلُّ بشكرِها ... لله في طَيِّ المكارهِ كامِنَهْ

آخر:

تجري الأمورُ على حُكْمِ القَضاءِ وفي ... طَيِّ الحوادثِ محبوبٌ ومكروهُ
ورُبما سرَّني ما كنتُ أحذرُهُ ... ورُبما ساءني ما بِتُّ أرجوهُ

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ منه**»[(١)]، معناه: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها إذا صبر واحتسب.

- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يُوعَكُ. فوضعت يدي عليه. فوجدت حَرّهُ بين يدي، فوق اللحاف. فقلت: يا رسول الله! ما أشدها عليك! قال: «**إنا كذلك. يُضَعَّفُ لنا البلاء ويُضَعَّف لنا الأجرُ**»، قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**»، قلت: يا رسول الله! ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون. إن كان أحدهم ليُبتلى بالفقر.**

(١) رواه البخاري (٥٦٤٥).

حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يُحَوِّيها. وإن كان أحدهم ليفرحُ بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»[(١)].

وإنما فرحوا بها؛ إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها، مع تجرعه لمرارتها.

- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤتى بأنعَم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبَغُ في النار صبغةً، ثم يقال له: يابنَ آدم، هل رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشدِّ الناس في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغُ في الجنة صبغةً، فيقال له: يابنَ آدم هل رأيتَ بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدةً قطُّ**»[(٢)].

- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حُفَّت الجنةُ بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات**»[(٣)].

والمعنى: أن النار حجبت وسترت بالشهوات، فلا يوصل إليها إلا بتعاطي الشهوات، إذ هي محجوبة بها، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب،

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٥٠)، و«الصحيحة» (١٤٤).
قوله: «وهو يوعك» الوعك: الحمى، وقيل: ألمها. وقد وعكه المرض وعكًا. ووُعِكَ فهو موعوك.
(يحويها) في النهاية: التحوية أن يدير كساء حول سنام البعير ثم يركبه. والاسم الحوية، والجمع الحوايا.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣١١٢)، ومسلم (٢٨٠٧)، وغيرهما.

(٣) رواه مسلم (٢٨٢٢).

وحجبت الجنة بالمكاره مما أمر المكلف به كالمجاهدة والصبر، واجتناب المنهيات، سماها مكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه.

وعن أبي زرعة قال: حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعملٍ، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبَلِّغَه إياها**»(١).

وقال بعض السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس».

ولذلك قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خَلَقَه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات»(٢).

إن الله تعالى يُنزل البلاء ليستخرج به أنواعًا من العبودية لم تكن لتخرج لولا البلاء، كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ربما كان فَقْدُ ما فقدتَه سببًا للوقوف على الباب واللَّجأ، فالحقُّ عَزَّوَجَلَّ علم من الخَلْقِ اشتغالهم بالبِرِّ عنه، فَلَذَعَهم في خلال النعم بعوارضَ تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، فهذا من النِّعَمِ في طَيِّ البلاء، وإنما البلاء المَحْضُ، ما يُشغِلك عنه، فأما ما يُقيمك بين يديه، ففيه جمالك»(٣).

---

(١) رواه ابن حبان (٢٩٠٨)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، وقال الشيخ شعيب في «تحقيق الإحسان»: «إسناده حسن» (٧/ ١٦٩).

(٢) «الفوائد» (ص٤٦).

(٣) «صيد الخاطر» (ص٦٩) طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.

فصل
من تلمَّح حلاوةَ العاقبة؛ هانت عليه مرارةُ الصبر

عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج علينا في الصُّفَّة وعلينا الحَوْتَكِيَّة[١] فيقول: «**لو تعلمون ما ذُخِرَ لكم؛ ما حزِنتم على ما زُوِيَ عنكم، ولَيُفْتَحَنَّ لكم فارِسُ والروم**»[٢].

وعن عمرو بن مالك أنه سمع فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى بالناس خرَّ رجال من قامتهم في الصلاة؛ لما بهم من الخصاصة، وهم من أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين، فإذا قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة انصرف إليهم، فقال: «**لَوْ تَعْلَمونَ ما لكُم عندَ الله** عَزَّوَجَلَّ؛ **لأَحْبَبْتُم لوْ أنَّكُم تَزْدادونَ حاجَةً وفاقَةً**»[٣].

---

(١) **الحَوْتَكِيَّة**: عمامة يتعمَّمُ بها الأعراب، مضافة إلى رجل يسمى حوتكًا، كان يتعمم بهذه العِمَّة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٨): «إسناده شامي صحيح».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٦٩) وقال: «حسن صحيح»، وابن حبان (٢٥٣٨)، والإمام أحمد (٦/ ١٨، ١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٩).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَودَّنَّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامة أنَّ جلودَهم قُرضَتْ بالمقاريض، مما يَرَوْنَ من ثواب أهلِ البلاء**»(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَودَّنَ**» أي: ليتمنين، «أهل العافية» في الدنيا، «يوم القيامة» ظرف ليودن، قائلين: ليت جلودنا كانت قرضت بالمقاريض، فلنا الثواب المعطى على البلاء.

«من ثواب» كثير أو بلا حساب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

«قُرضَتْ» بالتخفيف، ويحتمل التشديد للمبالغة والتأكيد، أي: قُطِّعَتْ قطعةً قطعة «بالمقاريض» جمع المقراض، وهو المِقَصُّ وكل ما يُقطع به الأشياء.

وذلك «مما يرون من ثواب أهل البلاء» لأن الله سبحانه طهَّرهم في الدنيا من موادهم الخبيثة بأنواع البلايا والرزايا فلقوه وقد خلصت سبيكة إيمانهم من الخبث في دار الخبث فصلحوا حينئذ لجواره ومساكنته في دار كرامته فيصب عليهم فيها الإنعام صبًا وأما من لم يتطهر من مواده الخبيثة في دار الخبث فتطهره النار، إذ حكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في دار كرامته

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٤٠٠)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٠٦).

وهو متلطخ بخبائثه ومن تحقق بعلم ذلك انفتح له باب الرضى والتسليم ومن ثم قال بعض العارفين: «لو كشف للمبتلى عن سر سريان الحكمة في البلاء لم يرض إلا به»[١].

- وقال شقيقٌ البَلْخِيُّ: «من يرى ثواب الشدة؛ لا يشتهي المخرجَ منها».

(١) انظر «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٣٩٩).

فصل
كلُّ أمرِ المؤمنِ خيرٌ له

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا للمؤمن! لا يقضي الله له شيئًا إلا كان خيرًا له**»[(١)].

عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعد مع أصحابه إذ ضحك، فقال: «**ألا تسألوني مم أضحك؟**»، قالوا: يا رسول الله، ومم تضحك؟ قال: «**عجبتُ لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابه ما يحب حمد الله، وكان له خير، وإن أصابه ما يكره فصبر؛ كان له خير، وليس كل أحد أمره كله خير إلا المؤمن**»[(٣)].

(١) رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (٢٠٢٨٣)، وابن حبان (٧٢٨)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (١٤٨)، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن» (٣٣/ ٤٠٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) رواه الدارمي (٢/ ٣١٨)، والإمام أحمد (٦/ ١٦)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٤٧): «سنده صحيح على شرط مسلم».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنتًا له تقضي، فاحتضنها فوضعها بين ثدييه، فماتت وهي بين ثدييه، فصاحت أم أيمن، فقيل: أتبكي عند رسول الله؟! قالت: ألستُ أراك تبكي يا رسول الله؟ قال: «**لستُ أبكي، إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خيرٍ، على كل حال، إن نفسه تخرج من بين جنبيه وهو يحمد الله** عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

قال أبو الفوارس جنيد بن أحمد الطبري:

العبدُ ذو ضَجَرٍ والربُّ ذو قَدَرٍ ... والدهرُ ذو دُوَلٍ والرزقُ مقسومُ

والخيرُ أجمعُ فيما اختار خالقُنا ... وفي اختيار سواه اللُّومُ والشُّومُ[(٢)]

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٧٥)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٨)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٢): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٢٥٣).

فصل
المرض يُكَفِّرُ الخطايا

«كان أحدهم إذا برئ قيل: لِيَهْنِكَ[١] الطُّهر»

[مسلم بن يسار]

إن الصبر على الأمراض يكفر الله به الخطايا، ويمحو به السيئات، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مصيبةٍ تُصيب المسلمَ إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما يصيب المسلمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى، ولا غَمٍّ حتى الشوكةُ يُشاكُها، إلا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خطاياه**»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وفي ولده، حتى يلقى الله يوم القيامة وما عليه من خطيئة**»[٤].

---

(١) يعني هنيئًا لك تطهرُك من ذنوبك بالمرض.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٥٦٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).
والنصب: التعب، **والوَصَب**: الوجع والمرض، وقيل: المرض اللازم. «الفتح» (١٣/ ١٠).

(٤) رواه الترمذي (٤/ ٦٠٢)، (٢٣٩٩)، وقال: حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣١٤)، صححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤).

وعن أم العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: عادني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا مريضة، فقال: «**أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»(١).

وعن عقبة بن عامر الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليسَ مِن عملٍ يومٍ إلَّا وهو يُخْتَمُ عليهِ، فإذا مَرِضَ المُؤْمِنُ قالتِ الملائكةُ: يا ربَّنا! عبدُكَ فلانٌ قد حَبَسْتَهُ، فيقولُ الرَّبُّ: اخْتِموا لهُ على مثلِ عملِهِ حتى يَبْرَأَ أو يموتَ**»(٢).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العَبْدَ إذا مَرِضَ أوحى الله إلى مَلائكتِه: يا ملائكتي أنا قَيَّدْتُ عبدي بِقَيْدٍ من قُيُودي، فإنْ أقبِضْهُ أغْفِرْ لَهُ، وإنْ أعافِهِ فحينئذ يَقْعُدُ ولا ذنب له**»(٣).

وعن أمير المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من شيء يصيب المؤمنَ في جسده يؤذيه، إلا كفَّر الله عنه من سيئاته**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٧١٤): «إسناده جيد، ورجاله ثقات، رجال البخاري».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٧٨٢)، وجَوَّد إسناده الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١٩٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣)، وصححه، وأورده الألباني في «الصحيحة» (١٦١١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٩٨)، والحاكم (١/ ٣٤٧)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «صحيح على شرط مسلم وحده»، وله شواهد كثيرة في «الصحيحين»، وغيرهما، كما في «الصحيحة» رقم (٢٢٧٤).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من عبدٍ يُصْرَعُ صَرْعَةً من مرضٍ؛ إلا بعثه الله منها طاهرًا**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَصَبُ المؤمنِ كفارة لخطاياه**»(٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد امرأة من الأنصار، فقال لها: «**أهي أم مِلْدَم(٣)؟**»، قالت: نعم؛ فلعنها الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسُبِّيها فإنها تغسل ذنوب العبد، كما يُذهِب الكيرُ خبث الحديد**»(٤).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: «**ما لكِ يا أم السائب أو يا أم المسيب تُزَفْزِفين(٥)؟**»، قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسُبي الحمى، فإنها تُذْهِبُ خطايا بني آدم كما يُذهِب الكيرُ خَبَثَ الحديد**»(٦).

---

(١) عزاه الألباني إلى الروياني في «مسنده»، وابن عساكر، وقال: «إسناده جيد»، كما في «الصحيحة» (٢٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، والحاكم (١/ ٣٤٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني على شرط مسلم كما في «الصحيحة» (٢٤١٠).

(٣) يقال: أخذته أم مِلدَم، وهي كنية الحمى، قال الشاعر:

مقيلَ العاثرينَ أَقَلَّ عِثاري ... وخذْ لي من بني زمني بثاري
وجَمِّلْني بعافيةٍ وعفوٍ مِن ... الأمراض والعِلَلِ الضواري
فغَمُّ البلغمِ استوفى نعيمي ... ومقدمُ أم مِلْدمَ لَفْحُ ناري

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٦)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٤٠، ٣٤١).

(٥) **زفزف الشخص**: أصدر أصواتًا كالخرير أو الحفيف.

(٦) أخرجه مسلم (٨/ ١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٦)، والبيهقي (٣/ ٣٧٧).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة»[(١)].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظَّه من النار»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه عاد مريضًا، ومعه أبو هريرة، من وعك كان به فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أبشر؛ إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، ليكون حظه من النار في الآخرة»**[(٣)].

وعن عبد الرحمن بن أزهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوَعْكُ أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار، فيذهب خَبَثُها، ويبقى طِيبها»**[(٤)].

وعن أبي عسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«الطاعون شهادة لأمتِي، ورحمة لهم، ورجسًا على الكافرين»[(٥)] الحديث.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، وابن عساكر، وقواه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (١٨٢١).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٢- ٢٦٤)، وصححه الألباني بطرقه كما في «الصحيحة» (١٨٢٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٧).

(٤) رواه الحاكم (١/ ٣٤٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، بل صححه بشواهده كما في «الصحيحة» (١٧١٤).

(٥) رواه الإمام أحمد (٥/ ٨١)، وابن حبان في «الثقات» (١/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٤١، ٣٤٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٦١).

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سألت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الطَّاعون، فقال: «**إنَّه كان عذابًا يَبْعَثُهُ اللهُ على مَن يشاءُ، فجَعَلَهُ اللهُ رحمةً للمُؤمنينَ، فليس مِنْ عبدٍ يَقَعُ الطاعون، فيَمْكُثُ في بلدِه صابرًا، يَعْلَمُ أَنَّه لن يصيبَهُ إلا ما كَتَبَ اللهُ له، إلا كان له مِثْلُ أَجْرِ الشَّهيدِ**»(١).

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: وقع الطاعون بالشام، فخطب الناسَ عمرو بن العاص فقال: «هذا الطاعون رجزٌ؛ ففرُّوا منه في الأودية والشعاب»، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة، فغضب وجاء يجرُّ ثوبه، ونعلاه في يده فقال: «صحبتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه رحمةُ ربكم، ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم». فبلغ ذلك معاذًا فقال: «**اللهم اجعل نصيبَ آلِ معاذٍ الأوفر**». فماتت ابنتاه، فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبد الرحمن فقال -يعني: لابنه لما سأله-: «**كيف تجدك؟**» قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠](٢).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن أبا عبيدة لما أُصِيبَ استخلف معاذَ بنَ جبل يعني: في طاعون عَمواس، اشتد الوجع، فصرخ الناس إلى معاذ: ادعُ الله أن يرفع عنا هذا الرجز، قال: «إنه ليس برِجز، ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يخص الله بها من يشاء منكم، أيها الناس، أربعُ

(١) رواه البخاري (٥٧٣٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٦).

خلالٍ من استطاع أن لا تدركه»، قالوا: ما هي؟ قال: «يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويأتي زمان يقول الرجل: والله ما أدري ما أنا، لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة»[١].

(١) «نفسه» (١/ ٤٥٧).

فصل

ومما يجب على المبتلى: الصبر الجميل

أصل كلمة الصبر هو المنع والحبس، فالصبر حبس النفسِ عن الجزع، واللسانِ عن التشكي، والجوارحِ عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

وقيل: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤]: «صبروا على ما أُمِروا به، وصبروا عما نُهوا عنه».

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

أما الصابرون فهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦، ١٥٧].

وهم الذين يحبهم الله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

إن الصبر من خصال أهل العزم الموفقين، وليس أوفى لبيان قَدْرِ الصبر من أنه لا يُعرف حَدٌّ لثوابه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠].

قال سليمان بن القاسم في تفسيرها: «كالماء المنهمر».

- وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«ما مِن مسلم تُصِيبُه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرْني في مصيبتي، وأخلِفْ لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها»**[(١)].

- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعطِي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر»** الحديث[(٢)].

- وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ الآية [البقرة:١٧٧]: أما «البأساء» فالفقر، وأما «الضراء» فالمرض، وأما «حين البأس» فهو حين القتال.

وعن يونس بن يزيد قال:

- سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟

قال: «أن يكون يومَ تُصيبه المصيبةُ مِثلَه قبلَها».

- وقال حسان بن أبي جبلة في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨]: «أي لا شكوى فيه».

- وعن قيس بن الحجاج قال في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]: «أن يكونَ صاحبُ المصيبة في القوم لا يُعرف من هو».

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٦٧٢٣)، ومسلم (٩١٨)، وانظر (ص١٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (١١٠٩١)، والبخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٢٥)، والنسائي (٥/ ٩٥).

والصبر المحمود الذي يتضاعف أجر صاحبه ما كان عند مفاجأة الصدمة، لأنه إذا طالت الأَيام وقع السُّلُوُّ طبعًا، فلم يؤجَر، ففي حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على امرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليكَ عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، قال: فقيل لها: إنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فأخذها مثلُ الموتِ، قال: فأتت بابَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفْك، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصبر عند الصدمة الأولى**»[(١)].

- وقال بعض الحكماء: «العاقل يفعل في أول يومٍ من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبرَ الكرام، سلا سُلوَّ البهائم».

- وقال بعض السلف: «كلنا يكره الموت وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر».

- وقال أبو سعيد الخراز: «العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال».

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على أم عبد الله بنت أبي ذباب عائدًا لها من شكوى فقالت: يا أبا هريرة! إني دخلت على أم سلمة أعودها من شكوى، فنظرت إلى قرحة في يدي، فقالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه البخاري (١٢٥٢)، ومسلم (٩٢٦).

يقول: «**ما ابتْلَى الله عَبْدًا بِبَلاءٍ وهو على طَريقةٍ يَكْرَهُهَا، إلَّا جَعَلَ الله ذَلكَ البَلاءَ لهُ كفَّارةً وطَهُورًا؛ ما لم يُنزِل ما أَصابَهُ منَ البلاءِ بغْيِر الله، أَو يدعُو غيرَ الله في كَشفِهِ**»[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدي المؤمنَ، ولم يَشْكُني إلى عُوَّاده أطلقتُه من أساري، ثم أبدلتُه لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل**»[(٢)].

- عندما سأل رجلٌ الإمام أحمد: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال: «بخيرٍ، في عافية»، فقال له: حُمِمْتَ البارحةَ؟ قال: «إذا قلت لك: أنا في عافية؛ فحسبُكَ، لا تُخْرِجْني إلى ما أكره».

ومما يخفف مرارةَ الصبر: اليقينُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا**» الحديث[(٣)].

وحقيقٌ أن يَخِفَّ على المُوقِنِ ثِقَلُ الصبر، إذا طوى عَقْدَه على أنه بعين الله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الكفارات»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٩)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٣٧٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٩٧)، وحسَّنه، وابن السني (٤٤٠)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ شعيب في «تحقيق شرح السنة» (٥/ ١٧٥).

- وعن إبراهيم التيمي، قال: «ما من عبد وهب الله له صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاء، وصبرًا على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد، بعد الإيمان بالله»[١].

وقال سفيان بن عيينة: «لم يُعْطَ العبادُ أفضلَ من الصبر، به دخلوا الجنة».

وعن مسلم البطين قال: قلت لسعيد بن جبير: الشكر أفضل أم الصبر؟ قال: «الصبر، والعافيةُ أحبُّ إليَّ».

أما الجزع فلا يُحيي ميتًا، ولا يَشفي مريضًا، ولا يُصْلِحُ فاسدًا، والمصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان، وإن فقد الصبر أدهى المصيبتين[٢].

وبعض المصائب فقد سرور، وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟!

- قال ابن المبارك: «من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع!».

- وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: «سحابة صيف ثم تنقشع».

- وكانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصائب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: «ما أُصابُ بمصيبة فأذكر معها النارَ، إلا صارتْ في عيني أصغرَ من الذباب».

---

(١) «الصبر» لابن أبي الدنيا (ص٢٨).
(٢) «العقد الفريد» (٣/ ٣٨).

- ويُروى عن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما شَرٌّ بعده الجنةُ بِشَرٍّ، ولا خيرٌ بعدَه النارُ بخيرٍ، وكلُّ نعيمٍ دُونَ الجنةِ حقير، وكل بلاءٍ دُونَ النارِ عافية».

وقال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علاجها -أي المصيبة- أن يعلم أن الجَزَعَ يُشمِتُ عدوَّه، ويسوءُ صديقَه، ويُغضِبُ ربه، ويَسُرُّ شيطانَه، ويُحبطُ أجرَه، ويُضعِف نفسَه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه، وردَّه خاسئًا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزَّاهم هو قبل أن يُعَزُّوه، فهذا هو الثباتُ والكمال الأعظم، لا لطمُ الخدودِ، وشقُّ الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يُعقبه الصبرُ والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصُل له ببقاء ما أُصيبَ به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه[(١)]، فلينظر: أيُّ المصيبتين أعظمُ؟ مصيبة العاجلة، أو مصيبة فواتِ بيت الحمد في جنة الخلد. وفي الترمذي مرفوعًا: **(يودُّ ناسٌ يومَ القيامةِ أنَّ جُلُودَهم كانت تُقرَضُ بالمقاريض في الدنيا لِمَا يَرَوْنَ من ثوابِ أهلِ البلاءِ)**[(٢)]»[(٣)].

---

(١) يشير إلى ما رواه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا ماتَ وَلَدُ العبْدِ قالَ الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤادِهِ؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسترجَعَ، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمُّوهُ: بيتَ الحمدِ**» رواه الترمذي (١٠٣٢)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٠٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٢٢).

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٢).

فصل

الرضا بقضاءِ الله وقَدَرِه

بعد الصبر تأتي منزلة أعظم منه وهي منزلة الرضا بقضاء الله وقدره، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن الخير كله في الرضا، فإن استطعتَ أن ترضى، وإلا فاصبر».

والفرق بين الرضا والصبر، أن الصبر كَفُّ النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكفُّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر وسَعَتُه بالقضاء، وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه ما يباشر القلبَ من رَوْحِ اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية(١).

والصبر واجب حتم على المؤمن، أما الرضا فمندوب إليه مستحب، ولم يوجبه الله على خلقه كالصبر لعزته على النفوس، وصعوبته عليها، ورحمةً بهم وتخفيفًا عنهم، لكنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ رغَّبهم فيه، وعظَّم ثوابَ أهله بأنَّ من رضي عن ربه رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨].

إن الرضا جنة الدنيا ونعيمها، فبه يُسَلِّم العبد أمره لله، ويرضى بقضائه وقدره، ويوقن أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص١٩٤).

لا مبدِّل لكلمات الله، ولا رادَّ لحكمه ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

لقد جُبلت النفوس على الفرح والرضا بما تهواه، لكن الشأن في الرضا بالقضاء المؤلم المنافر للطبع فيما يخالف هواها وطبيعتها، كفقد الأحباب، والإصابة بالأمراض، والفقر، ونحو ذلك مما يكون في ظاهره محنة، وربما كان في باطنه المنحة.

وقد رُوِيَ من دعاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أسألك الرضا بعد القضاء**» الحديث[(١)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية -قَدَّس الله روحه- يقول: «سأله الرضا بعد القضاء؛ لأنه حينئذ تبين حقيقةُ الرضا، وأما الرضا قبله فإنما هو عزم على أنه يرضى إذا أصابه، وإنما يتحقَّق الرضا بعده»[(٢)].

وكان عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما يدعو: «اللهم رضِّني بقضائك، وبارك في قدرك، حتى لا أحبَّ تعجيلَ شيء أخرَّته، ولا تأخير شيء عجَّلْتَه»[(٣)].

وقال: «ما أصبح لي هوًى في شيءٍ سوى ما قضى الله عَزَّوَجَلَّ»[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٦٦٦) عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والطبراني في «الكبير» (٤٨٠٣)، والحاكم (١/ ٥١٦، ٥١٧)، وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف لانقطاعه» (٣٥/ ٥٢١)، وانظر: (ص٨٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٧).

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٢٨).

وقال بعضهم في تعريف الرضا:

«الرضا: سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل، فيرضى به».

وقيل: «الرضا ارتفاع الجزَع عن أيِّ حكم كان».

وقيل: «سكون القلب تحت مجارى الأحكام».

وسمَّى بعض العارفين الرضا حُسْنَ الخُلُق مع الله، لأن يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه.

وفي دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك**» الحديث[(١)].

وقال علقمة بن قيس في تفسير قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، قال: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلِّم»[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خدمتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرَ سنين، فما قال لي لشيءٍ فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَه؟ ولا قال لي لشيءٍ كان:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٧١٢)، وضعفه محققو «المسند»، وصححه الشيخ شاكر (٥/ ٢٦٧)، والألباني في «الصحيحة» (١٩٩)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك**» سواء أكان قضاؤه بالذنب الذي هو عقوبة إعراضه عن ربه، أو عدله في قضائه بعقوبة الذنب.

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٢).

ليتَه لم يكن، ولا لشيء لم يكن: ليته كان، وكان بعضُ أهله إذا لامَني يقول: «**دَعُوه فلو قُضِي شيءٌ لكان**»(١).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ذِروة سَنام الإيمان الصبرُ للحكم، والرضا بالقدر**»(٢).

وقال جعفر بن سليمان لرابعة: متى يكون العبدُ راضيًا عن الله؟

فقالت: «إذا كان سروره بالمصيبة مثلَ سروره بالنعمة».

ومن معاني الرضا: الرضا بما قسم الله من المعيشة، وقد قيل: «من قرَّ عينًا بعيشه؛ نفعه».

وقال القاضي أبو القاسم بن المعافى:

رُزِقتُ كِفافًا لي وأمنًا وصحةً ... فما للهموم الطارقات ومالي؟!

وفي الناس مثلي غير أنْ ليس راضيًا ... وأحسنُ من حالي رضاي بحالي

ومن فضائل الرضا: أن الراضي بقضاء الله يحقق برضاه قول العبد المؤمن: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، والمُفَوِّض راضٍ بكل ما اختاره المفوَض إليه، لكمال حكمته ورحمته ولطفه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٣٤١٨)، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح»، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو قضي شيء لكان**» يتناول أمرين:

أحدهما: ما لم يوجد من مراد العبد.

والثاني: ما وجِد مما يكرهه.

وهو يتناول فواتَ المحبوب وحصولَ المكروه، فلو قضِيَ الأوّل لكان، ولو قضِي خلافُ الآخر لكان، فإذا استوَت الحالتان بالنّسبة إلى القضاءِ فعبوديَّة العَبد أن تستوِيَ عنده الحالتان بالنسبة إلى رضاه، وهذا موجب العبوديَّة ومقتضاها.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١/ ٢١٦).

وحُسْن اختياره له، وعلمه بعواقب الأمور، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وقال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الآية [البقرة:٢١٦].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبت للمؤمن، إن الله لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له**»(١).

ولذلك كان الرضا واليقين توأمين لا يفترقان، وكذلك الشك والسخط.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لما مات ابنُه إبراهيم: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون**»(٢).

وقال سهل: «حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر رغبتهم في الله».

وقيل للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن أبا ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة، فقال: «رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتَّكَلَ على حُسْنِ اختيارِ الله؛ لم يَتَمَنَّ غيرَ ما اختار الله له».

ولأن الراضي يفوض أمره إلى الله مُقَدِّمًا اختيارَه تعالى على اختيارِه لنفسه، قال الغرناطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأولى لمن ينزلُ به تمحيصٌ، أو يلحقُه ابتلاء، أن يدعُوَ

(١) تقدم تخريجه (ص١٢٤).
(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

الله تعالى بالأدعية الجامعة، التي لا تعيّنُ للعبدِ اختيارًا، ولا تخصِّصُ له اقتراحًا، فقد تأتي الفائدةُ من قِبَلِ المكروه، وقد تحصُلُ الراحةُ بسبب التعب، والاستقراء في الدعوات النبويّة يشهدُ لهذا المعنى كقوله: «**وأصلح لي شأني كُلَّه**»، وقوله: «**اللهمَّ إنَّا نسألُكَ من خيرِ ما سألك منه محمدٌ نبيُّك** ﷺ، **ونعوذُ بكَ من شرِّ ما استعاذَ منه نبيُّك محمّدٌ** ﷺ، **وأنْت المستعانُ وعليك التكلان**»، وقوله: «**اللهمَّ اصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي فيها معادي، واجعلْ الحياةَ زيادةً لي في كلّ خير، واجعلْ الموتَ راحةً لي من كلّ شر**»، وقوله ﷺ: «**اللهمَّ أحيني ما كانتَ الحياةُ خَيْرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**». وقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

فأنت ترى هذه الدعواتِ لم تتعرّضْ لتخيُّر وَجْهٍ بعينه، ولا تطلّبِ قصدٍ بخصوصه، ما لم يتعيّنْ كونُ القصدِ المطلوبِ صرفُه شرًّا مَحْضًا، كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥]، وقوله ﷺ: «**اللهمّ إني أعوذُ بك من الكُفْر والفَقْر والدَّيْن وغَلَبةِ الرجال**»، وقوله ﷺ: «**اللهمّ إنَّا نعوذُ بك من جهدِ البلاء، وَدَرْكِ الشقاء، وسُوءِ القضاء، وشماتَةِ الأعداء**»، وكقوله: «**اللهمّ إنّي أعوذُ بكَ من عِلْمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يَخْشَع، ونَفْسٍ لا تَشْبَع، ودعوةٍ لا يُستجاب لها**».

أو يكونُ القصد المطلوب خيرًا محضًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء:٨٥]. وأمثالُ ذلك في السنة كثير، وفيما ذكرته كفاية[(١)]. اهـ.

(١) «جنة الرضا بالتسليم لما قدر الله وقضى» (٣/ ٥٤).

ومن أعظم فضائل الرضا: أنه موجب لرضوان الله تعالى، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن رضي فله الرضا**»، فالجزاء من جنس العمل، ومن رضي عن الله في حالاته جميعها رضي الله تعالى عنه.

ورضوان الله تعالى أفضل من الجنة وما فيها؛ لأن الرضا صفة الله، أما الجنة فهي من مخلوقاته عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علاج المصيبة: «ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تُحدثه له، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر خيرَ الحظوظ أو شرَّها، فإن أَحْدَثَتْ له سُخْطًا وكُفْرًا، كُتِبَ في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعًا وتفريطًا في ترك واجب، أو فعل محرم، كُتِب في ديوان المفرِّطين، وإن أحدثت له شكايةً، وعدمَ صبر، كُتِبَ في ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضًا على الله، وقدحًا في حكمته، فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبرًا وثباتًا لله، كتب في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتب في ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمدَ والشكر، كتب في ديوان الشاكرين، وكان تحتَ لواء الحمد مع الحمَّادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقًا إلى لقاء ربه، كُتِبَ في ديوان المحبِّين المخلصين»[(١)].

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٢، ١٩٣).

فصل

بين «الرضا» و«التقبل»

كثيرًا ما يلهج المختصون بعلوم النفس والتنمية البشرية بلفظة «التقبل» (Acceptance).

وتنبني فكرة التقبل على أن مقاومة ما لا تريده في حياتك يزيده، ولذلك فإن التقبل والتسليم هو استجابة Response، وليس تفاعلًا reaction سريعًا مع الحدث.

- لما مشى عمر بن عبد العزيز ليلًا في المسجد فعثر برجل جالس، قال له الرجل؟ أعمى أنت؟

فأجاب عمر: «لا».

- لو أن لك صديقًا مخلافًا لمواعيده، ولابد لك من مصاحبته، وهو لا يستطيع تغيير هذا السلوك، فإن التوبيخ الدائم والتقريع لا يجدي، فهنا تقبله بعيبه، وتتغافل عن عيبه عامدًا.

وليس معنى تقبلك للشيء أنك تحبه وتريده، ولكنك تستوعبه بوعيك الكامل، ولا تنكره، ثم تقبله كما هو في اللحظة الحاضرة لأن التحكم فيه خارج حدود قدرتك، ولا يوجد ما تستطيع فعله لتغيير ذلك.

مثال: أنت تقود سيارتك والجو حار، والمرور مكتظ ومزدحم، فالمقاومة هنا والغضب والإحباط لا نفع فيها، وربما أضرت بك، أما لو تقبلت الموقف فإنك بهذا تحمي نفسك من الانفعالات السلبية.

إن الألم من الموقف سَهْمٌ يُصِيبك، فإذا انفعلت إزاءه وأخذت تنوح وتصيح فإنك بهذه المقاومة توجه سهمًا آخر نحو نفسك، ليصير الألم معاناةً مضاعفة، في حين أنك لو تقبلت الألم الأولَ لتجنبتَ حصوله، ولحميتَ نفسك من السهم الثاني.

مثال: لو أن السماء تمطر بغزارة، فيحتمل أن تتعارك مع مياه المطر وتظل تضرب مستنقعات المياه التي تكونت على الأرض، هذه (مقاومة)، لكن التقبل في هذه الحالة يصبح مظلة فوقك تحميك من المطر، وربما انقشعت السحب الممطرة. فالتقبل هو أن أحافظ على مشاعري محايدة (بدون رفض أو عصبية أو غضب) إلى أن أتمكن من تغيير الواقع وتحسينه إن كان قابلًا للتغيير، **فإن لم يكن فليس إلا الاستسلام له، والقَبول بالأمر الواقع.**

وهذا النوع الأخير من التقبل هو ما نقصد مقارنته بالرضا، وهو ما يكون في المصائب والأقدار التي لا نملك لها تغييرًا مثل: موت الأحبة ونحو ذلك، فالتقبل هنا يعني الإقرار بالأمر الواقع والتكيف معه والاستسلام له[1]، وهذا

(١) حكى أحد أساتذة الطب النفسي أنه حين توفي والده حزن عليه حزنًا شديدًا، ولم يخفَّ هذا الحزنُ إلا حينما واساه أحد زملائه ناصحًا إياه أن يظل يردد عبارة «اللي ييجي ييجي، واللي يروح يروح» حتى (يتقبل) الفقد، فامتثل نصيحة زميله، وظل يكررها كثيرًا، يقول: «حتى ذهب =

المعنى لو صدر ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا بالقدر لكان مفهومًا، لكن المنكر هو أن يردده هؤلاء (المختصُّون) من المسلمين دون أن يُرشِدوا الناسَ إلى عبادة (الصبر) و(الرضا عن الله)، واحتساب نية التقرب إليه بذلك، فصدق فيهم قول الشاعر:

ومن العجائب والعجائبُ جَمَّةٌ ... قُربُ الدواءِ وما إليه وُصولُ

كالعِيْسِ[1] في البيداءِ يقتُلُها الظَّما ... والماء فوقَ ظهورِها محمولُ

فإذا ما قارنَّا هذه العبادةَ العظيمة بموقف «التقبل» المادي، وأردنا أن نسميَ الأشياء باسمها، فإن أقربَ وصفٍ له هو «**سُلُوُّ البهائم**» التي يُلهِب ظهرَها سياطُ سائقيها، (فتتقبل) هذا الإيلامَ، ولا تعترض عليه، وتصبر عليه صبرًا خاويًا من النية والحِسبة لوجه الله، التي لا تكون إلا من المؤمن الذي يُحَوِّل مرارةَ الألم إلى عبادةٍ سامية هي الصبر، وربما يترقى إلى الرضا بقضاء الله وقدره، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من لم يصبر صبرَ الكرام؛ سلا سُلُوَّ البهائم»[2].

= عني الأسى»، فأين هذه العبارة «الباردة الميتة» مما أمر الله به المؤمنين، ووعد عليه صلواتِه ورحمتَه في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وقد كان يناسب هنا أن نستدل بحديث: «**ليسترجعْ أحدُكم في كل شيء؛ حتى في شِسْع نعله إذا انقطع؛ فإنه من المصائب**»؛ لولا أنه حديث ضعيف جدًّا كما في «الضعيفة» (٥٥٩٥)، وانظر (ص١٥٥).

(١) **العيس**: جمع أعيس وعيساء: إبلٌ بِيضٌ يخالط بياضَها شُقْرة، وهي كرائم الإبل.

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٩٣)، وقد أبدع الإمام ابن القيم في بيان هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج حَرِّ المصيبة وحزنها، فانظره في «زاد المعاد» (٤/ ١٨٨-١٩٦).

ما يمتاز به «الرضا» عن «التقبل»

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«إن ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتَهُم الرضا فمعَوَّلُهم على الصبر والاحتساب، وذلك يُخفِّف عنهم ثقلَ البلاء ومَؤُونته، فإنهم كلما شاهدوا العِوَضَ هان عليهم تحمُّلُ المشاقِّ والبلاء، **والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب، وإن صبروا فكصبر البهائم**، وقد نبَّه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤]. فاشتركوا في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزُّلْفَى من الله تعالى»[(١)].

قال أحمد بن أبي الحواري: ذاكرتُ أبا سليمان في الخبر المرويِّ: «أول ما يُدعَى إلى الجنة الحمَّادون»، فقال: «ويحكَ! ليس هو أن تحمده على المصيبة وقلبك يتعصَّر عليها، إذا كنت كذلك؛ فأرجو أن تكون من الصابرين، إنما الحمد أن تحمده، وقلبُك مُسَلِّمٌ راضٍ»[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للأشعث بن قيس: «إنك إن صبرتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأجور، وإن جَزِعْتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأزور».

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/ ٩٣٣، ٩٣٤).
(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٠).

لَعَمْري لئن غال ريبُ الزما ... نِ فساءَ فقد غال نفسًا حبيبهْ
ولكنَّ علمي بما في الثوا ... بِ عند المصيبة يُنسي المصيبهْ

- وعن عمرو بن قيس المُلائي: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨، ٨٣]، قال: «الرضا بالمصيبة، والتسليم»

تَعَزَّ إذا أُصِبتَ بكلِّ أمرٍ ... من التقوى أُمرتَ به مصابا
فكل مصيبة عظمتْ وجَلَّت ... تَخِفُّ إذا رجوتَ لها ثوابا

- وعندما قيل لبعض الصالحين: قُتِل ولدُك في سبيل الله! بكى، فقيل له: أتبكي وقد استُشهد؟ فقال: «إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله عَزَّوَجَلَّ حين أخذته السيوف».

- وقال علي بن الحسن: كان رجل بالمصيصة ذاهبٌ نِصفُه الأسفل لم يبق منه إلا رُوحُه في بعض جسده، ضريرٌ على سريرٍ مثقوب، فدخل عليه داخل، فقال له: كيف أصبحتَ يا أبا محمد؟ قال: «مَلِكَ الدنيا، منقطعٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ ما لي إليه من حاجةٍ إلا أن يتوفاني على الإسلام».

- وعن سعيد قال: كنت مع سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وعاد مريضًا في كِنْدَة- فلما دخل عليه قال: «أبشِرْ، فإن مرضَ المؤمن يجعله الله له كفارةً، ومُسْتَعْتَبًا، وإن مرض الفاجر كالبعير عَقَلَهُ أهلُه، ثم أرسلوه، فلا يدري لم عُقِل؟ ولم أرسل؟»[1].

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب» (٣٧٩).

- وعن أبي ميمون قال: «إن من شروط الصبر أن تعرفَ كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسبَ في ذلك، وتُحسِنَ النيةَ فيه، لعلك أن يخلُصَ لك صبرُك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاءُ، فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها، فحَمِدَتْ الله على ذلك وشَكَرَتْ»[١].

- وذُكِر عند عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأوجاع، فقال أعرابي عنده: ما اشتكيتُ قط، فقال عمار: «ما أنت منا -أو: لستَ منا-[٢]، إن المسلم يُبتلى ببلاءٍ فَتُحَطُّ عنه ذنوبُه كما تَحُطُّ الشجرةُ اليابسةُ ورقَها، وإن الكافر أو الفاجرَ ليُبتَلى ببلاء، فمثلُه مثلُ بعيرٍ أُطْلِقَ، فلم يَدْرِ لم أطلِق؟، وعُقِلَ، فلم يَدْرِ لِمَ عُقِلَ؟».

- وقال سليمان التيمي:

«إن المؤمن ليُبتلى ويُعافَى، فيكون بلاؤه كفارة واستعتابًا، وإن الكافر ليُبتلى ويُعافى، فيكون مثلَ بعيرٍ عُقل، لا يدري فيم عُقِل؟ ولا لِمَ أُرْسِل؟»[٣].

- وقال ابن المعتز: «أَمَرُّ المكارِهِ: ما لم يُحْتَسَبْ»[٤].

«فجزع المصيبة هو أن لا يحتسبها العبدُ عند الله، ولا يرجو ثوابها، ويرى أنه سوءٌ أصابه، فذلك الجزع، ويفعل ذلك وهو مُتَجَلِّد، لا يتبيَّنُ منه إلا الصبر»[٥].

ولا عار أن زالت عن الحُرِّ نِعمةٌ ... ولكنَّ عارًا أن يزولَ التَجَمُّلُ

(١) «الصبر» لابن أبي الدنيا (ص٢٩).
(٢) راجع: (ص١٠٠، ١٠١).
(٣) «بهجة المجالس» (١/ ٣٨٣).
(٤) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٤١).
(٥) «الصبر» لابن أبي الدنيا رقم (١٨٨).

فصل

ما يُسَلّي عند فقدِ الأحبةِ بالموت

مما يهوِّن خطبَ المصيبةِ بالموت أن الموت غاية كل حي، ومنتهى كل نفس، فتأمل هذه القضية المُسَوَّرة بـ «كل» فإنها توقظ من الغفلة، وتنبه لسلوك سبل السلوة، أعني قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٤، ٣٥].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فالموت ليس ببدع في الوجود، قال تعالى مخاطبًا خليله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠].

فالباقي للماضي تَبَع، قال أبو العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لِا تـأمَنَنَّ الـدهـرَ والبـس ... لـكـلِّ حـالٍ لِـبـاسـا
لَـيَـدْفِـنَـنَّـا أُنـاسٌ ... كـمـا دَفَـنَّـا أنـاسـا

– وقال أيضًا:

إن الـطـبـيـبَ بـطِـبِّـهِ ودوائـه ... لا يـسـتـطـيعُ دِفـاعَ مـكـروهٍ أتى

ما للطبيب يموتُ بالداءِ الذي ... قد كان يُبْرِئ جُرْحَه فيما مضى
ذهب المداوِي والمداوَى والذي ... جَلَبَ الدواءَ وباعَه ومَنِ اشترى

- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إني مُعَزِّيكَ لا أنِّي على ثقةٍ ... من الخلودِ ولكنْ سنةُ الدينِ
فما المعزَّى ببـاقٍ بعدَ ميته ... ولا المعزِّي وإن عاشا إلى حينِ

إن الثواب على قدر المشقة، وقد صح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقولُ الله تعالى ما لِعَبْدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهلِ الدنيا ثم احتسَبَهُ إلَّا الجنَّة**»(١). وهذه الموعدة من رب العزة كريمة، وهي على قدر هذه المشقة الفادحة التي سماها الله مصيبة.

وقال بعضهم في تعزية من جزع لوفاة ابنه: «أسَرَّكَ وهو عدوٌّ وفتنة، وأحزنك وهو صلاة ورحمة؟!».

عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم، فأخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله! فقال: «**يا بنَ عَوْف إنَّها رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبَعها بأُخْرَى، فقال: «**إن العَيْنَ تَدْمَعُ، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضى رَبَّنَا، وإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لَمحْزُونُونَ**»(٢).

(١) رواه البخاري (٧/ ١٧٢)، والإمام أحمد (٢/ ٤١٧).
(٢) تقدم تخريجه (ص١٤٢).

وإن في فقدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَه إبراهيمَ لسلوةً عن كل مفقود، وإن في وَجْدِه به لغنًى عن كل موجود، ولنا فيه الأسوة الحسنة، ولنا به السنة التي تُحَطُّ بها السيئة وتُضاعَفُ الحسنة.

قال أحدُهم يعزي أخاه في ابن له يُسمى محمدًا:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلَّدِ ... واعلم بأن المرء غيرُ مُخَلَّدِ

وإذا ذكرتَ محمدًا ومُصابَه ... فاذكر مُصابك بالنبيِّ محمدِ

وإن أبلغ ما يُتعزى به المؤمن في مصابه أن يتذكر المصيبة بفقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أظهر الأمة، وانقطاع الوحي والإمداد السماوي.

عن عطاء بن أبي رباح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أصيب أحدكم بمصيبة؛ فليتذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب**»[(١)].

ويشهد لهذا المرسل ما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بابًا بينه وبين الناس، أو كشف سِترًا، فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، ورجا أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال:

«**يا أيها الناس أيُّ ما أحد من الناس، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة**

(١) رواه ابن سعد (٢/ ٢٧٥)، والدارمي (١/ ٤٠)، وقال الألباني: «وهذا إسناد صحيح، ولكنه مرسل»، ولكنه صححه بشواهده المذكورة أعلى، انظر «الصحيحة» (١١٠٦).

فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»[(١)].

ويشهد له أيضًا ما رواه عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي**»[(٢)].

قال الغرناطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقٌ مَن نزلت به مصيبة من فقد مَنْ يَعزُّ عليه أن يتعزّى بالمصيبة في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا تأمّل ذلك حق التأمل، فإن مصيبته تخف عليه غاية الخفة، وإلا فكم بين المصيبة بأكرم الخلق على ربه، والرحمة المهداة إلى خلقه، الذي جعله الله للأنام هاديًا، وإلى داره داعيًا، وعلى نجاتنا حريصًا، وبنا رؤوفًا رحيمًا، وفينا يوم القيامة شفيعًا، وإلى كافتنا بشيرًا ونذيرًا، فهدانا الله به إلى الحق، وأخذ بحُجَزِنا عن النار، وبيّن لنا ما أحل الله لنا وما حرم، وأرشدنا إلى التي هي أقوم، وخلَف فينا كتاب الله العزيز، وقرآنه المبين، نورًا فارقًا بين الحق والباطل، شاهدًا بأنه منزل من عند الله، صادعًا إلى اليوم بمعجزته العظمى -وبين المصيبة بولدٍ أو زوجٍ، لعلهما ممن قال الله فيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] أو والدٍ أو أمٍّ أو أخٍ أو عمّ! وإن كانت سبقتهم ما عسى أن تكون، والمصلحة فيهم ما عسى أن تفرض، والمحبة لهم ومنهم منتهية

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٥)، وسنده ضعيف كما في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٩٨).
(٢) أخرجه مالك (١/ ٢٣٥)، وابن سعد (٢/ ٢٧٥)، وهو مرسل صحيح كما في «الصحيحة» (٣/ ٩٨).

إلى الغاية القصوى، ومتطابقة منهم العلانية والنجوى! فكم جاءت من أمثال هؤلاء عظائمُ من الآفات! وكم انقلبت منهم إلى عكسها صحيحُ المودات!

وفي هذا المعنى قال الشيخ أبو العباس بن العريف الصوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا حَلَّتْ بساحَتِكَ الرزايا ... فلا تَجْزَعْ لها جَزَعَ الصَبِيّ

فإنّ لِكُلِّ حادثةٍ عَزاءً ... بما قَدْ كان مِنْ فَقْدِ النَبِيّ[1]

* * *

معنى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وفي «المسند» عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرْني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها؛ إلا أجاره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**»[2].

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلَّى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله مِلْكٌ لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضًا فإنه

(١) «جنة الرضا بالتسليم لما قدَّر الله وقضى» (٣/ ١٧، ١٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٣).

محفوف بعَدَمَيْنِ: عدمٍ قبلَه، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه، حتى يكون ملكه حقيقةً، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير، ولا ملك حقيقي، وأيضًا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرُّفَ العبد المأمور المنهي، لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يُخلِّفَ الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أوَّل مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكُن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣].

ومن علاج المصيبة: أن يعلم أن فوات الصبر والتسليم، وهو الصلاةُ والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة» اهـ[١].

(١) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ١٨٨-١٩١).

الباب الرابع

من أسباب العافية البدنية الشرعية والطبية

أولًا: أسباب العافية من الوحي الشريف

فصل
أخص خصائص الطب الإسلامي
الاعتقاد الجازم في أن الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الشافي

«الشافي هو الله، والطبيب والأدوية هما وسائل الشفاء، من أخص خصائص الطب الإسلامي. والقرآن الكريم يقرر ذلك بوضوح حكاية عن أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، وهذه الحقيقة تضع كلًّا من الطبيب والدواء في مكانهما الصحيح، فالدواء يُبرئ الداء بإذن الله، والعلاج الصحيح مع دقة التشخيص لن يغني شيئًا إن لم يرد الله الشفاء، ومعرفة الطبيب وتيقنه أنه وسيلة من وسائل الشفاء وليس واهب الشفاء يعصم المجتمع الإسلامي من حرمان بعض فئات المجتمع من الرعاية الصحية الكاملة. ففي المجتمعات المادية يتصرف الطبيب كأنه واهب الحياة، فيصنف المرضى إلى مريضٍ مرضُه قابلٌ للشفاء، فهذا يُعطَى عناية فائقة، وآخر ميئوس من مرضه، إما لاستعصاء مرضه على العلاج أو لاستفحاله أو لكبر سنه[١]. فيُحرَم من العناية المركزة، وإذا شُفي المريض عندهم فالطبيب هو الذي شفاه، وإن كانت الأخرى فإن الطبيعة هي التي أخطأت!

(١) تحرص «الداروينية الاجتماعية» على منع الإجراءات التي من شأنها تأخير انقراض (غير الصالح)، =

وقد فقه أطباء المسلمين في العصور الإسلامية حقيقة أن الشفاء من الله فالرازي في كتابه: «أخلاق الطبيب» ينصح الطبيب أن يخرجَ من الحَوْلِ والطَّوْلِ ويسلِّمَ الأمر كله لله فيقول: ويتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى ويتوقع البرء منه ولا يحسب قوته وعمله، ويعتمد في كل أموره عليه فإن فعل بضد ذلك ونظر إلى نفسه وقوته في الصناعة وحذقه حرمه الله البُرْءَ»(١).

= وأن على الضعيف أن يموت؛ لأن وجوده يتعارض مع تطور الحضارة، وذلك لأنها طبقت قوانين «الانتخاب الطبيعي» -التي أشار إليها داروين في النباتات والحيوانات- على الأعراق البشرية، ولقد أعاد الأطباء في إيطاليا هذه الفكرة إلى الأذهان حينما أعلنوا أنهم مضطرون لترك إسعاف مرضى كورونا من كبار السن، وتقديم الأحدث سنًّا عليهم بسبب محدودية الإمكانيات في المستشفيات.

(١) «الطب الإسلامي» للدكتور أحمد طه (ص١٣٧)، ومن مظاهر الطغيان البشري واغترار الإنسان بنفسه ما يزعمه بعض أرباب «التنمية البشرية» من قدرات العقل الباطن الخارقة، حتى قال «وليام جيمس»: «أنا أستطيع، أنا قادر، أنا غني، أنا أجذب قدري»، وقال «چوزيف ميرفي»: «تستطيع هذه القوة المعجزة للعقل الباطن أن تشفيك من المرض»، أي أنه لا يقول كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] بل يقول المغرور: «وإذا مرضت فأنا أشفي نفسي»، وقد بينت بطلان هذا الغلو في «علو الهمة» (ص٢٥-٢٨) ط. دار الخلفاء الراشدين-٢٠٠٣م، وانظر: «الوفاء» للمؤلف (ص٦٥، ٦٦).

(١) من أسباب العافية:
التوسل إلى الله سبحانه باسمه الشافي

إن من أفضل ما يُتَوَسَّل به إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طلبًا للعافية والشفاء أن يُتَوَسَّلَ إليه باسمه «الشافي» تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه الشافي وهو الطبيب على الحقيقة، وهذان الاسمان «الشافي» و«الطبيب» عَدَّهما بعض المصنفين في الأسماء الحسنى من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وإليك بيانَ ذلك:

الشافي من أسماء الله الحسنى

اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «الشافي» لم يرد في القرآن الكريم اسمًا، ولكن ورد فيه فعلًا حيث قال إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يثني على ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، فهو وحده المتفرد بالشفاء، لا شريك له فيه. ووردت به السنة الشريفة اسمًا وفعلًا.

أما الاسم: ففي حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أتى مريضًا أو أتي به إليه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أذهب الباسَ، ربَّ الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سَقَمًا**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

فالله عَزَّوَجَلَّ هو الشافي من أمراض القلوب كالشكوك والشُّبَهِ والحسد والحقد، وأمراض الأبدان من الأسقام والآفات، لا يقدر على ذلك غيرُه، ولا شفاء إلا شفاؤه.

نقل البيهقي عن الحليمي قال: «قد يجوز أن يقال في الدعاء: (يا شافي يا كافي)؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يشفي الصدور من الشبَهِ والشكوك ومن الحسد والغِلِّ، والأبدان من الأمراض والآفات، ولا يقدر على ذلك غيره، ولا يُدْعى بهذا الاسم سواه، ومعنى الشفاءِ دفع ما يؤذي، أو يؤلم عن البدن»[(١)].

وقال الجوهري: «شفاه الله من مرضه شفاءً، ممدود. وأشفى على الشيء: أشرف عليه. وأشفى المريضُ على الموت. واستشفى: طلب الشفاء. وأشفيتك الشيء: أي أعطيتكه تستشفى به. ويقال: أشفاه الله عَسَلًا، إذا جعله له شفاءً. حكاه أبو عبيدة»[(٢)].

«فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا شافي على الإطلاق إلا الله وحده وقد بين ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: «**لا شافي إلا أنت**» فيعتقد أن الشفاء له وبه ومنه، ولو شاء ربُّك لخلق الشفاء دون سبب، ولكن لما كانت الدنيا دار أسباب جرت السُّنة فيها بمقتضى الحكمة على تعليق الأحكام بالأسباب، وإلى هذا المعنى أشار جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وإياه أوضح بقوله لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

(١) «الأسماء والصفات» للإمام البيهقي (١/ ٢١٩، ٢٢٠).
(٢) «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٩٤).

«**بسم الله أرْقيكَ، اللهُ يَشْفيكَ**» فبين أن الرقية منه وهي سبب لفعل الله وهو الشفاء»[(١)].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**يا محمد! اشتكيتَ؟**»، فقال: «**نعم**»، قال: «**باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسدٍ، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[(٢)].

فترى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأ من حوله وقوته فيقول: «**الله يشفيك**»، ثم يقول: «**باسم الله أرقيك**» فالرقية مني لكن الشفاء كله من الله وحده.

ومن أجل هذا قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة:١١٠].

وفي قصة أصحاب الأخدود أن الغلام كان يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان جليسٌ للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمعُ. فقال: «ما أنا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله عَزَّوَجَلَّ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك». فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من رَدَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا؟ قال: لا، ربي وربك الله. قال: ولك رب

(١) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ص٥٣٢، ٥٣٣).
(٢) رواه مسلم (٢١٨٦)، والترمذي (٩٧٢)، وابن ماجه (٣٥٢٣).

غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله. فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أيْ بُني، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: «ما أشفي أنا أحدًا، إنما يشفي الله عَزَّوَجَلَّ». قال: أنا؟ قال: «لا». قال: أَوَ لَكَ ربٌّ غيري؟ قال: «ربي وربك الله». فأخذه أيضًا بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب. الحديث[١].

تنبيه خطير:

حين نقول: «إن الله سبحانه هو وحده الشافي»، يلزم من قولنا أن أيَّ إلهٍ سواه باطل عاجز، وأنه لا يقوى على شفائنا، والقرآن العظيم مشحون بأدلة هذه الحقيقة، التي هي من مُسلَّمات الإيمان، لكن مما يتفطر له القلب أن نرى بعض المعالجين النفسيين يُردِّدُ دون وعي مفاهيم الثقافة الغربية حين يتعلق الأمر بنصيحة العميل (أو المريض) لأنه مخلوق ضعيف عاجز محدود القدرة، فعليه أن يستمد القوة من القوة العظمى، وهي «قوة الإله كما يفهمه كلٌّ منا»، وهذا واضح في برنامج الخطوات الإثني عشر في علاج المدمنين.

يقول أحد المعالجين: «يمكن أن تكون قوتنا العظمى متجلية في علاقتنا مع الله -بصرف النظر عن تصورنا له... وربما تكون قوتنا العظمى مستمدة من علاقة رُوحانية بمصدر هذا الوجود، بصرف النظر عن تسميته، وعن صِبغتنا الدينية، ونُسْخَتِنا من التمذهب، ولكننا بحقٍّ نحتاجها.. نعم إننا نحتاج إلى أن

(١) رواه من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا الإمام أحمد (٢٣٩٣١)، ومسلم (٣٠٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٦١)، وغيرهم.

نرمِّمَ علاقتنا بالقوة العظمى في حياتنا... بمصدر الحياة... بالله -**كما نتخيله وكما نفهمه- بصرف النظر عن المسميات والديانات**» اهـ.

«وإننا هنا لا نريد أن نتحول للوعظ، بأن نعرض حلًّا دينيًّا ولا نشير إلى (الله) بمعناه لدى دينٍ دون غيره؛ بل مقصدنا فقط هو تلك القوة العظمى التي يراها العموم مصدرًا للوجود، سواء جعلوها كيانًا منفصلًا عن الكون أو مندمجًا فيه، يجعلون بينهم وبينها نوعًا من التواصل (الصلاة / التأمل / الطقوس / الشعائر) لوجود هذا الاحتياج الإنساني الطبيعي إلى الخضوع والاستناد» اهـ.

إنه يمارس (الحياد) في أقبح مظاهره، ذلك النوع من الحياد الذي يَنْسِفُ العقائد، ويقتل المبادئ، ويُبطل دعوة جميع الرسل، ويسوِّي بين الإله الواحد الحق وبين ما عداه من الأنداد والآلهة المزيفة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

وهذا وأمثاله من الثمار المريرة لمبدأ «التعددية العقائدية» (Pleuralism) التي تروجها (العولمة الثقافية) كي تمحو أي خط فاصل بين الإيمان والكفر، بدعوى أن الحقيقة نسبية ومتعددة، وليس هناك حقيقة مطلقة، ولا معيارٌ ثابت يميز بين الحق والباطل[1]، فالعقائد الدينية والقِيم الخُلقية تتغير حسب اعتقاد الناس نحوها، حتى قال بعضهم: «إن جميع الأديان مرآة للحقيقة، وإنها جميعًا حق».

(١) وقد أجاد في تجلية موقف الإسلام من هذه القضية الخطيرة الباحث يوسف بن محمد القحطاني في أطروحته «التعددية العقائدية وموقف الإسلام منها» طبعة دار التدمرية بالرياض سنة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

وهذا أضرُّ شيءٍ على الجنس البشري، لأننا نعيش مرة واحدة، فلو قضينا عمرنا كافرين بالله واليوم الآخر فإننا مخلدون في عذاب جهنم -أعاذنا الله منها- وليس لدينا فرصة أخرى للاستدراك، في حين أن المحافظة على التمايز بين الإيمان والكفر سينقذ على الأقل قسمًا لا بأس به من البشرية التائهة، ممن سيبحثون عن الدين الحق، ويهتدون إليه.

إن الله عَزَّوَجَلَّ هو وحده الإله المستحق للعبادة؛ لأنه وحده الرب المتصرف في الكائنات، ولا يستحق أحد غيره أن يكون إلهًا يُعبد، لا على سبيل الانفراد، ولا على سبيل المشاركة له في إلهيته، وقد سُمِّيت «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق، وفائدة قولنا: (على الإطلاق) أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣] أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: إنَّ إلهنا واحد، فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا. فالله تعالى أزال هذا التوهم ببيان التوحيد المطلق، فقال بعد قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مباشرة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وكل ماعدا الله من الآلهة المزعومة التي يعبدها المشركون مجرد أسماء سمَّوْها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، فهي آلهة في نفوس المشركين بها، وليسوا آلهة في نفس الأمر، قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

ولا يصح لأحد إسلام إلا بأن يكفر بكل إله باطل يُعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهي: لا إله إلا الله.

الله عَزَّوَجَلَّ هو الطبيب

الطب: علاج الجسم والنفس، ورجل طَبٌّ وطبيب: عالم بالطب.
والطَّبُّ والطبيب: الحاذق من الرجال الماهر بعلمه[(١)].

عن أبي رِمْثَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبي، فرأى التي بظهره، فقال: يا رسول الله، ألا أعالجها لك فإني طبيبٌ، قال: «**أنت رفيقٌ، واللهُ الطبيب**» الحديث[(٢)].

قال السهارنفوري رَحِمَهُ اللَّهُ في «بذل المجهود»: «فيه كراهية تسمية المعالج طبيبًا، لأن العارف بالآلام والأمراض في الحقيقة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو العالم بأدويتها وشفائها، وهو القادر على شفائه دون دواء، وقوله: (بل أنت رجل رفيق)، أي: ترفق بالمريض وتتلطفه وقوله: (طبيبها الذي خلقها)، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكره»[(٣)].

والصحيح أنه لا يكره تسمية المعالج طبيبًا، فعن ذكوان عن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا به جُرْح، فقال رسول الله

(١) انظر «لسان العرب» (٤/ ٢٦٣٠).
(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٤٩٢)، وأبو داود (٤٢٠٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٧): «صحيح على شرط مسلم»، وصححه محققو «المسند» (٢٩/ ٣٩).
(٣) «بذل المجهود في حل أبي داود» (١٧/ ٩٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا له طبيبَ بني فلان**»، قال: فَدَعَوْه، فجاء، فقال: يا رسول الله، ويُغني الدواءُ شيئًا؟ فقال: «**سبحان الله! وهل أنزل الله من داءٍ في الأرض إلا جعل له شفاءً؟!**»[(١)] أي: دواءً يكون سببًا للشفاء بإذن الله.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد مريضًا، فقال: «**ألا تدعو له طبيبًا؟**»، قالوا: «يا رسول الله، وأنت تأمرنا بهذا؟!»، قال: فقال: «**إن الله** عَزَّوَجَلَّ **لم يُنزل داءً إلا أنزل معه دواءً**»[(٢)].

كما أن تماثل الأسماء لا يقتضي تماثل المسمَّيات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ومن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما يجوز أن يسمى بها المخلوق مع التباين بين الخالق والمخلوق في الحقيقة، فاسم الله (الطبيب) على ما يليق بجلاله وكماله سبحانه ليس كمثله شيء في ذلك، وكذلك (الطبيب) من البشر على ما يليق ببشريته ونقصه.

والله سبحانه هو الطبيب الذي يشفي القلوب والأبدان، وشريعته مصدر الخير والصلاح، وهي طب البشرية وعلاج أدوائها.

ونقل الإمام البيهقي عن الإمام الحليمي أنه قال:

«ومنها ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا تقولوا: الطبيب ولكن قولوا: الرفيق، فإن الطبيب هو الله**». قال: ومعنى هذا أن المعالج

(١) رواه الإمام أحمد (٢٣١٥٦)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح» (٣٨/ ٢٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٧).

(٢) عزاه الألباني إلى ابن الحمامي، وصححه في «الصحيحة» (٢٨٧٣).

للمريض من الآدميين، وإن كان حاذقًا متقدمًا في صناعته فإنه قد لا يحيط علمًا بنفس الداء ولئن عرفه وميَّزه فلا يعرف مقداره ولا مقدار ما استولى عليه من بدن العليل وقوته، ولا يقدم على معالجته إلا متطببًا عاملًا بالأغلب من رأيه وفهمه؛ لأن منزلته في علم الدواء كمنزلته التي ذكرتها في علم الداء، فهو لذلك ربما يصيب وربما يخطئ، وربما يزيد فيغلو، وربما ينقص فيكبوا، فاسم الرفيق إذًا أولى به من اسم الطبيب، لأنه يرفق بالعليل فيحميه مما يخشى أن لا يحتمله بدنه ويطعمه ويسقيه ما يرى أنه أرفق به، فأما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء والقادر على الصحة والشفاء، وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغي أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه، فأما صفة تسمية الله جل ثناؤه فهي أن يذكر ذلك في حال الاستشفاء مثل أن يقال: اللَّهم إنك أنت المصح والممرض والمداوي والطبيب، ونحو ذلك فأما أن يقال: يا طبيب كما يقال: يا رحيم أو يا حليم أو يا كريم فإن ذلك مفارقة لآداب الدعاء. والله أعلم. قلت: وفي مثل هذه الحالة ورد تسميته به في الآثار»[(١)].

والله عَزَّوَجَلَّ هو خالق الداء والدواء والمريض والطبيب، فعلى العبد أن يتوكل عليه، ويثق به، وينقطع إليه، ويعتصم به، مع أخذه بأسباب التداوي والطب التي أمر الشرع بها. والعلاج بالتداوي إن لم يوافق إذنًا من الله بالعافية والشفاء لا ينفع ولا يُجدي.

(١) «الأسماء والصفات» (١/ ٢١٦، ٢١٧)، ط. مكتبة السوادي.

ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك**» الحديث[(١)].

وعن ابن أبي مليكة قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَرِض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوضعتُ يدي على صدره، فقلت: أذهب الباسَ ربَّ الناسِ، أنت الطبيبُ وأنت الشافي. وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألِحقني بالرفيق الأعلى، وألحقني بالرفيق الأعلى**»[(٢)].

وقيل لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه:

ألا ندعو لك الطبيب، فقال: «**قد رآني الطبيب**»، قالوا: فأي شيء قال لك، قال: «**قال: إني فعال لما أريد**».

ودخل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه الذي قُبِضَ فيه، فقال له عثمان: ما تشتكي؟ قال: «ذنوبي»، قال: فما تشتهي؟ قال: «رحمة ربي»، قال: ألا أدعو لك طبيبًا؟ قال: «الطبيب أضجعني».

(١) انظر الحديث (ص١٦١).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٧٧٤)، والنسائي (٧٥٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٥١)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط البخاري» (٤١/ ٢٩١).

(٢) من أسباب العافية: التعرف إلى الله في الرخاء

«من عاش مع الله طيِّبَ النفس في زمن السلامة؛ خَفَّتْ عليه في زمنِ البلاء، فهناك المِحَكُّ... فالعاقل من أعدَّ ذُخرًا، وحصَّل زادًا، وازدادَ من العُدد للقاء حرب البلاء، ولابد من لقاء البلاء»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من سَرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد، فليُكثر الدعاء في الرخاء»**(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنتُ رديف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«يا غُلامُ -أَو يا غُلَيِّم- أَلا أُعلِّمُكَ كلماتٍ يَنْفَعُكَ الله بهنَّ؟»** فقلت: بلى. فقال: **«احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمامَكَ، تَعَرَّفْ إليه في الرَّخاءِ، يَعْرِفْكَ في الشِّدةِ، وإذا سأَلتَ، فاسأَلِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ، فاستَعِنْ بالله، قد جَفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ، فلو أَن الخَلْقَ كلَّهم جميعًا أَرادُوا أَن يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لم يَكْتُبْه الله عليك، لم يَقْدِرُوا عليه، وإن أَرادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لم يَكْتُبْهُ الله عليكَ، لم يَقْدِرُوا عليهِ، واعْلَمْ أن في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خيرًا كثيرًا، وأَن النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وأَن الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»**(٣).

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص١٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٢)، وقال: «غريب»، والحاكم، وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٩٣).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٨٠٣)، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح» (٥/ ١٩).

قوله ﷺ: «**تعرف إليه**»، قال السندي: هو بتشديد الراء، أي: تحبَّب إليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته؛ لأن المعرفة سبب المحبة، والرخاء: مقابل الشدة، ويعرِفْك -بالجزم- على أنه جواب الأمر، أي: يُعنك في الشدة.

وقال سلمانُ الفارسي رضي الله عنه: إذا كان الرجلُ دَعَّاءً في السرَّاء، فنزلت به ضرَّاءُ، فدعا الله تعالى، قالت الملائكة: صوتٌ معروف فشفعوا له، وإذا كان ليس بدَعَّاءٍ في السَّرَّاء، فنَزلت به ضرَّاءُ، فدعا الله تعالى قالت الملائكة: صوتٌ ليس بمعروف، فلا يشفعون له»[(١)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّه قال: ادعُ الله في يوم سرَّائك، لعله أنْ يستجيب لك في يوم ضرَّائك[(٢)].

وقال له رجل: أوصِني، فقال: «اذكر الله في السَّرَّاء يذكرْك عز وجل في الضَّرَّاء»[(٣)].

وقد قال الله تعالى في حق نبيه يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٢-١٤٤]، قال الضحاك وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغيرهم: «لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء»، واختاره ابن جرير.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (١/ ٣١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٧١٨)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٩).

وقال محمد بن إسحاق بن يسار، عمن حدثه، عن عبد الله بن رافع -مولى أم سلمة سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما أراد الله حَبْسَ يونس في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت أن خذه، ولا تخدش له لحمًا ولا تكسر عظمًا، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حسًّا، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه، وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر. قال: فَسَبَّح وهو في بطن الحوت، فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة؟ قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم، فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل، كما قال الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٥]»[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب، حدثنا عمي: حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه قال: سمعت أنس بن مالك -ولا أعلم إلا أن أنسًا يرفع الحديث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أن يونس النبي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت، قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك، إني كنت من الظالمين، فأقبلت هذه الدعوة تحف العرش، فقالت الملائكة: يا رب، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة؟ فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: لا، يا رب، ومن هو؟ قال: عبدي**

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٤)، وقال الهيثمي في «المجمع»: «رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح» (٧/ ٩٨١).

يونس. قالوا: عبدك يونس الذي كان لم يزل يُرفَع له عَمَلٌ مُتَقبَّل، ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: يا رب، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيَه من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه في العراء»[(١)].

وقال السيوطي في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات:١٤٣]: «فيه بيان فضل التسبيح والعمل في الرخاء»[(٢)].

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرَّخاء، يذكركُم في الشِّدَّة، وإن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يذكُرُ الله تعالى، فلمَّا وقعَ في بطن الحوت، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق، قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١][(٣)].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

«قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعرف إلى الله في الرخاء؛ يعرفك في الشدة**» يعني أن العبد إذا اتَّقى الله، وحَفِظَ حدودَه، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وصار بينه وبينَ ربه معرفةً خاصة، فعرفه ربَّه في الشدَّة،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٢)، والطبراني في «الدعاء» (٤٧)، وعبد الرزاق (٢٥٥٨)، وابن جرير (١٩/ ٦٢٨)، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، ضعفه الحافظ في «التقريب» (٧٦٨٣).

(٢) «الإكليل» (ص٢١٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٨٠١) (١٢/ ٢٧٠).

ورعى له تَعَرُّفَهُ إليه في الرَّخاء، فنجَّاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قربَ العبدِ من ربِّه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.

*** فمعرفة العبد لربه نوعان:**

أحدُهما: المعرفة العامة، وهي معرفةُ الإقرار به والتَّصديق والإيمان، وهذه عامةٌ للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميلَ القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكينُ أهلُ الدُّنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيبَ ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفةُ الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال أحمدُ بنُ عاصم الأنطاكيُّ: أحبُّ أن لا أموتَ حتى أعرف مولاي، وليس معرفتُه الإقرارَ به، ولكن المعرفة التي إذا عرفته استحييتُ منه.

*** ومعرفة الله أيضًا لعبده نوعان:**

معرفة عامة، وهي علمه سبحانه بعباده، واطِّلاعه على ما أسرُّوه وما أعلنوه، كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦]، وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم:٣٢].

والثاني: معرفة خاصة، وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبَه إليه، وإجابةَ دعائه، وإنجاءَه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يحكى

عن ربِّه: «**ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِل حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصُر به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، فلئن سألني، لأُعطِيَنَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»، وفي رواية: «**ولئن دعاني لأجيبنَّه**»[(١)].

وقيل لمعروف: ما الَّذي هيَّجك إلى الانقطاع والعبادة؟ -وذكر له الموت والبرزخ والجنة والنار- فقال معروف: «إن مَلِكًا هذا كله بيده إن كانت بينك وبينه معرفةٌ كفاك جميع هذا».

وفي الجملة، فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدَّته»[(٢)] اهـ.

«وأعظمُ الشدائد التي تنْزل بالعبد في الدنيا الموتُ، وما بَعده أشدَّ منه إنْ لم يكن مصيرُ العبد إلى خير، فالواجبُ على المؤمن الاستعدادُ للموت وما بعده في حال الصحة بالتقوى والأعمال الصالحة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٨، ١٩] فمن ذكر الله في حال صحته ورخائه، واستعدَّ حينئذ للقاء الله بالموت وما بعده، ذكره الله عندَ هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولَطَف به، وأعانه، وتولَّاه، وثبته على التوحيد، فلقيه وهو عنه راضٍ، ومن

(١) رواه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٦٥٠٢).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٧٢-٤٧٤).

نسيَ الله في حال صحته ورخائه، ولم يستعدَّ حينئذ للقائه، نسيه الله في هذه الشدائد، بمعنى أنَّه أعرض عنه، وأهمله، فإذا نزل الموتُ بالمؤمن المستعدِّ له، أحسن الظنَّ بربه، وجاءته البُشرى مِنَ الله، فأحبَّ لقاءَ الله، وأحَبَّ الله لقاءه، والفاجرُ بعكس ذلك، وحينئذٍ يفرحُ المؤمنُ، ويستبشر بما قدمه مما هو قادمٌ عليه، ويَنْدَمُ المفرطُ، ويقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]»[(١)].

(١) «نفسه» (١/ ٤٧٦).

(٣) من أسباب العافية: ذكر الله تعالى

لإدمان ذكر الله تعالى أثر عميق في تقوية البدن ونشاطه، وقد قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما أخبر الله عنه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود:٥٢]، وهذه القوة تشمل جميع القوى، فيَزيد الله عابديه قوة في دينهم وإيمانهم ويقينهم وتوكلهم، وغير ذلك مما هو من جنس ذلك، ويَزيدهم قوة في أسماعهم وأبصارهم وأجسادهم وأموالهم وأولادهم وغير ذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

وقد عَلَّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمة وعليًّا رضي الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبِّرا أربعًا وثلاثين، لما سألتْهُ الخادم، وشَكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْن والسعي والخدمة، فعلَّمها ذلك، وقال: «**هو خيرٌ لكما من خادم**»(١).

فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومِهِ مُغْنِيةً عن خادم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قَدَّس الله روحه-: «بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياءٌ فيما يعانيه من شُغْلٍ وغيرِه»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦١)، (٥٣٦٢)، ومسلم (٢٧٢٧).
(٢) «الكلم الطيب» (ص٧٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سمعتم بمدينة جانبٌ منها في البر، وجانب منها في البحر؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**لَا تقوم الساعةُ حتى يغزوَها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يَرْمُوا بِسَهْم، وإنما قالوا: لا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ؛ فيسقُط أحدُ جَانِبَيْهَا** -قال ثور بن يزيد: لا أَعْلَمُهُ إلا قال:- **الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ، فيسقُط جَانِبُهَا الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فَيُفَرَّجُ لهم فيدخُلُونها فَيَغْنَمُون، فبينما هم يَقْتَسِمُون الغنائمَ؛ إذ جاءهم الصَّريخُ فقال: إن الدَّجَّالَ قد خرجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شيءٍ، ويرجعون**»[(١)].

وكان حبيب بن مَسْلَمةَ يستحب إذا لقي عدوًّا، أو ناهض حِصنًا قول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، وإنه ناهض يومًا حصنًا للروم، فانهزم، فقالها المسلمون وكبَّروا، فانْصَدَعَ الحِصْنُ[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إن الذكر يُعطي الذاكرَ قوةً، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطيقُ فِعْلَه بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّسَ اللهُ رُوحَه- في مِشْيَته، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكرُ من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا» اهـ[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٠).

(٢) «أخرجه البيهقي» في «الدلائل» (٦/ ١١٣)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٢/ ٧٧).

(٣) «الوابل الصيب» (ص١٨٥) ط. دار عالم الفوائد.

وقال أيضًا: «وحضرتُه مرةً صَلَّى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريبٍ من انتصافِ النهار، ثم التفت إليَّ، وقال: «هذه غَدْوَتي، ولو لم أَتَغَدَّ الغَداء، سقطت قوتي»، أو كلامًا قريبًا من هذا».

وقال وهب بن منبه: «من يتعبد يزدد قوة، ومن يتكسل يزدد فترة».

وقد قال بعض السلف لما تبع صلَةَ بن أشيم حين دخل تلك الغيضة، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح، قال: «فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبي من الكسل والفتور ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال عطاء الخراساني: «قيام الليل محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البصر والأعضاء كلها، إن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحًا مسرورًا، وإذا نام عن حزبه أصبح حزينًا مكسور القلب كأنه فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعًا».

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعَةً في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق».

ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسانيد عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأس أحدِكم إذا**

هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب على كل عقدةٍ مكانَها: (عليك ليلٌ طويل فارقد)، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلت عُقَدُهُ كلُّها، فإن صلى انحلَّت عُقَدُه كلُّها، فأصبح نشيطًا طيبَ النفس، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلانَ»[1].

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٤) ومن أسباب العافية: الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية [غافر:٦٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]: والأواه: الدَّعاء.

والدعاء قرين السعادة، قال زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤] أي: ولم أعهد فيك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردَّني قط فيما سألتُك.

وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤].

وعن سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن ربكم حَيِيٌّ كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفرًا خائبتين**»[(١)].

(١) «صحيح الترمذي» (٢٨١٩)، «صحيح ابن ماجه» (٢٣١٧).

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يَزيد في العمر إلا البر**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعجز الناس من عَجَزَ عن الدعاء**» الحديث(٢).

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرأة التي كانت تُصْرَعُ: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافِيَكِ**» الحديث(٣).

فالدعاء والالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ يكشف المرض، ويعافي البدن بإذن الله تعالى.

ومن الدعاء المستجاب: دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:

- عن صفوان بن عبد الله بن صَفوان، قال: وكانت تحتَه الدرداءُ قال: أتيتُ الشام فدخلتُ على أبي الدرداء فلم أَجِدْه ووجدتُ أمَّ الدرداء، فقالت: تريدُ الحجَّ العامَ؟ قال: قلت: نعم، فقالت: فادع لنا بخير، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**إن دعوةَ المسلم مستجابةٌ لأخيه بظهرِ الغيب، عند رأسِه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال: آمين، ولك بمثل**»، فخرجتُ إلى السوق، فألقى أبا الدرداء، فقال لي مثلَ ذلك، يأثرُه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٧٧)، وابن ماجه (٩٠)، وصححه ابن حبان (١٠٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وأقرّه الذهبي، وحسّنه الشيخ شعيب في تحقيق «شرح السنة» (١٣/ ٦).

(٢) صدر حديث رواه عبد الغني المقدسي في «كتاب الدعاء»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٠١).

(٣) رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٧٠٧)، ومسلم (٢٧٣٢)، وأبو داود (١٥٣٤)، وابن حبان (٩٨٩).

ويستحب أن يدعوَ لأخيه المريض إذا عاده:

- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عادني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**اللهم اشْفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا**»(١).

- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضره أَجَلُه**(٢)**، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيمَ، ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَشْفِيَك: إلا عافاه الله من ذلك المرض**»(٣).

- وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) أما إذا كان مرضه مرض الموت، فقد روى أبو سعيد وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما شهدا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر صدَّقه ربه، فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تَطْعمه النار**»، أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وحسنه الحافظ، وصححه ابن حبان، والحاكم (١/ ٥، ٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٧)، (٢١٣٨)، وأبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٤٨)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر، وصححه الحاكم (١/ ٣٤٢)، ووافقه الذهبي، وصححه محققو «المسند» (٤/ ٤٠)، وانظر: «مختصر النصيحة» (ص١١١-١١٦).

قال الحافظ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: «أي: إذا كانوا في الشدائِدِ وَدَعَوْنا مُنِيبين إلينا، ولاسيَّما إذا دَعَوْا بهذا الدعاءِ في حالِ البلاء».

ثمَّ أوردَ قولَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوةُ ذي النُّون إِذْ دَعا ربه وهو في بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لَم يَدْعُ بها رجلٌ مسلم في شيءٍ قطُّ إلا استجابَ له**»[(١)].

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فما دُفِعَتْ شدائِد الدُّنيا بِمثل التَّوْحيد، ولذلك كان دُعاء الكَرْبِ بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد»[(٢)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء شفاءَ، والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦)، وأبو يعلى (٧٧٢)، وحسنه الحافظ، وصححه الحاكم (١/ ٥٠٥)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٨٥).

(٢) «الفوائد» (ص٧٣).

(٣) «الداء والدواء» (ص٩).

ومن أدعية الكرب والأمور المهمة:

- لا إلهَ إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلا الله رَبُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلا اللهُ، رَبُّ السماواتِ والأرضِ، لا إلهَ إلا اللهُ، رَبُّ العرشِ الكريم.

- لا إلهَ إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ، لا إلهَ إلا اللهُ العَليُّ العَظيمُ، لا إلهَ إلا الله رَبُّ السماواتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ العرشِ الكريم.

- يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ.

وليكن أَكْثَرَ دعائه أن يقول:

«رَبَّنا آتِنا في الدنيا حَسَنَةً، وفي الآخرة حَسَنَةً، وَقِنَا عذابَ النَّارِ».

- اللهُ اللهُ رَبِّي، لا أُشْرِكُ بِهِ شيئًا.

- اللهم رحمتكَ أرجو فلا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لي شأني كُلَّهُ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ.

- اللهم إني أعوذ بك من جَهْدِ البلاءِ[1]، وَدَرْكِ الشقاءِ[2]،

---

(١) **جَهد البلاء:** بفتح الجيم: كل ما أصاب الإنسان من شدة المشقة، وبالضم: ما لا طاقة له بحمله، ولا قدرة له على دفعه، استعاذ ﷺ من جهد البلاء؛ لأن ذلك مع ما فيه من المشقة على صاحبه، يحصل به التفريط في بعض أمور الدين، وقد يضيق صدره بحمله، فلا يصبر، فيكون سببًا في الإثم.

(٢) **درك الشقاء:** بفتح الراء وإسكانها، والدرك هو الإدراك واللحاق، والشقاء: هو الهلاك، أو سببه المؤدي إليه، والمقصود بدرك الشقاء: أعوذ بك أن يدركني شدة المشقة في أمور الدنيا وضيقها عليه، وحصول الضرر البالغ في بدنه أو أهله أو ماله، وقد يكون باعتبار الأمور الأخروية: وذلك بما يحصل عليه من التبعة والعقوبة بسبب ما اكتسبه من الوزر، واقترفه من الإثم.

وَسُوءِ القضاءِ[١]، وشماتَةِ الأعداءِ[٢].

- اللهم إني عبدُك، وابنُ عبدِكَ، وابنُ أمَتِكَ، في قَبْضَتِكَ، ناصيتي بِيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألُك بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ، أو أنزلتَهُ في كِتابِكَ، أو عَلَّمْتَهُ أحدًا من خلقِكَ، أو استأثَرتَ بِهِ في عِلْمِ الغيبِ عِنْدَكَ، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدرِي، وجِلاءَ حُزْني، وَذَهَابَ هَمِّي.

ومن الأدعية الموظفة التي تحفظ من الشرور والبلايا:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من رأى مُبتلى فقال: (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفَضَّلَني على كثيرٍ مِمَّن خَلَقَ تفضيلًا)؛ لم يُصِبْهُ ذلك البلاء**»[٣].

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من رأى صاحب بلاء فقال: (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا)، إلا عُوفي من ذلك البلاء كائنًا ما كان ما عاش**»[٤].

---

(١) **سوء القضاء:** هو ما يسوء الإنسان، ويحزنه من الأقضية المقدرة عليه، في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد، فهو عام في دينه ودنياه، والمراد بالقضاء هنا: المَقْضِيُّ؛ لأن حكم الله كَلَّه حسن لا سوء فيه، وهذا التعوذ لا يخالف الرضا بالقضاء، فإن الاستعاذة من سوء القضاء هي من قضاء الله سبحانه، ولهذا شرعها لعباده، ومن هذا ما ورد في دعاء القنوت: «**وقني شر ما قضيت**».

(٢) **شماتة الأعداء:** هي فرح الأعداء بما يقع على الشخص من المكروه، وما يحل به من المحنة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٧٣)، وقال «حسن غريب من هذا الوجه»، وقواه الألباني في «الصحيحة» (٦٠٢)، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٣٢٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأورده في «الصحيحة» (٢٧٣٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٧٢)، وابن ماجه (٣٨٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٢٨).

قال الترمذي عقبه:

وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: «إذا رأى صاحب بلاء يتعوذ، يقول ذلك في نفسه، ولا يُسمع صاحب البلاء».

فإذا رأيتَ أخا البليةِ فاستعِذْ   باللهِ من شرِّ البلاءِ النازلِ

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون أن يسألوا اللهَ العافيةَ بحضرة المبتلَى».

٢- عن أَنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا خرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فقالَ: (بِسْمِ اللهِ، تَوكَّلْتُ على اللهِ، لا حوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ)** -قال:- **يُقالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيقُولُ لَهُ شيطانٌ آخَرُ: كيفَ لك بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وُكَفِيَ ووُقِيَ؟**»[(١)].

٣- عن أبان بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ ولَا في السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وإنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ**»[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٢٤٩).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٩)، والترمذي (٣٣٨٨)، وصححه، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٦)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وابن حبان (٨٥٢)، (٨٦٢)، وصححه الشيخ شعيب في تحقيق «الإحسان» (٣/ ١٣٢-١٤٤)، والألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥١٣).

وكان أبان أصابه طرف من الفالِج[١]، فجعل ينظر إليه، ففطن له، فقال: «إن الحديث كما حدثتُك، ولكني لم أقله ذلك اليوم، ليمضي قدرُ الله».

وعند أبي داود والترمذي وابن حبان: وقد كان أصابه الفالِج، فقيل له: أين ما كنت تحدثنا به؟ قال: «إن الله حين أراد بي ما أراد أنسانِيها».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الحديث: «هذا خبَرٌ صحيحٌ وقولٌ صادق علمنا صِدقَه دليلًا وتجربة، فإنِّي منذ سمعته عملت به فلم يضرَّني شيءٌ إلى أن تركته، فلدغتني عقربٌ بالمدينة ليلًا، فتفكرتُ فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات»[٢].

٤- وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ، قَالَ: **أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ**»[٣].

وفي رواية للترمذي: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ**»[٤].

---

(١) **الفالِج**: هو الشلل النصفي (Hemiplegia) وفيه يحدث شلل تام لأحد جانبي الجسم طولًا (الوجه، والذراع، والأرجل) وقد يكون كاملًا أو جزئيًا.

(٢) انظر «الفتوحات الربانية» لابن علان (٣/ ١٠٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٠٤)، وصححه الشيخ شعيب في تحقيق «الإحسان» (١٠٢٢)، (٣/ ٣٠٠).

والحُمَةُ: لدغةُ كلِّ ذي سمٍّ كالعقرب ونحوها.

وقد أورد الترمذي عقب الحديث عن سُهيل بن أبي صالح -أحد رواته- أنَّه قال: «كان أهلُنا تعلَّموها، فكانوا يقولونَها كلَّ ليلةٍ، فلُدغت جارِيَةٌ منهم، فلَم تَجِدْ لَها وجَعًا».

وعند ابن حبان: وكان إذا لُدِغ إنسان من أهله قال -أي أبو هريرة-: «أما قال الكلمات؟!».

٥- وعن عبد الله بن خُبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجنا في لَيْلَةِ مَطرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْتُهُ، فقَالَ: «**قُلْ**». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»[(١)].

٦- وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَوَّذوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وشَماتَةِ الأعداءِ**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وَسُوءِ القضاءِ، وشَماتَةِ الأَعدَاءِ**»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٨٢٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٢٤١)، و«صحيح الترمذي» (٢٨٢٩).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧)، وتقدم شرحه (ص١٨٧).

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧)، والنسائي (٥٤٩٢)، والإمام أحمد (٧٣٥٥)، وابن حبان (١٠١٦).

(٥) ومن أسباب العافية

قيـام الليل:

رُوي عن بِلالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عليكُمْ بِقيامِ اللَّيْلِ؛ فإنَّهُ دَأبُ الصَّالِحينَ قَبلكُم، وإنَّ قَيامَ اللَّيلِ قُربَةٌ إلى الله، ومَنْهاةٌ عنِ الإثْمِ، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، ومَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عنِ الجَسَدِ**»[(١)].

ومنها الصدقة:

عن رافع بن مكيث -وكان ممن شهد الحديبية- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**... والصدقة تمنع مِيتةَ السوء**» الحديث[(٢)].

وقد رُوي في حديث ضعيف عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا:

«**صنائع المعروف تقي مصارعَ السوء، والصدقة خَفِيًّا تُطفئ غضبَ الرب**» الحديث[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٠٠) وقال: «لا يصح مِن قِبَل إسناده»، وضعفه الألباني في «إرواء الغليل» (٤٥٢)، و«ضعيف الترمذي» رقم (٧٠٩)، وأصل الحديث حسَّنه الألباني عن أبي أمامة دون زيادة «ومطردة للداء عن الجسد».

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦٠٧٩)، وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف» (٢٥/ ٤٨٧).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٨٦)، (٦/ ٢٣٣)، وضعفه الألباني عليه الرحمة في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٤٩٣)، (٣/ ٢٧٠).

وقد رُوي في حديث ضعيف أيضًا: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[١].

واستحسن بعض العلماء معناه -مع ضعفه- لأنه ثبت في أدلة الشرع دفعُ البلاء بالصدقة.

ومن ذلك: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكسوف: «**فإذا رأيتم ذلك؛ فادعوا الله، وكبِّروا، وصلوا، وتصدقوا**»[٢] الحديث.

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف، لاستدفاع البلاء المحذور»[٣].

وقد سأل رجل عبد الله بن المبارك، فقال: يا أبا عبد الرحمن! قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجتُ بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به، فقال: «اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس إلى الماء، فاحفِرْ هناك بئرًا، فإني أرجو أن تنبع هناك عين، ويُمْسَكَ عنك الدمُ»، ففعل الرجل، فبرأ[٤].

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة» (٣٤٩٢).

(٢) رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٣) «إحكام الأحكام» مع «حاشية العدة» (٣/ ١٩٤).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٣١٠٩)، وقال عقبه:
«وفي هذا المعنى حكاية قرحة شيخنا الحاكم أبي عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه قرح وجهُه، وعالجه بأنواع المعالجة، فلم يذهب، وبقي فيه قريبًا من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له، وأكثرَ الناسُ في التأمين، فلما كانت الجمعة الأخرى؛ ألقت امرأةٌ في المجلس رُقعةً بأنها عادت إلى بيتها، واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه يقول لها: «قولوا لأبي عبد الله: يُوَسِّع الماءَ على المسلمين». فجئت بالرقعة إلى الحاكم أبي عبد الله، فأمر بسقاية الماء بُنيت على باب داره، وحين فرغوا من البناء أمر بصب الماء فيها، وطرح الجَمَدَ (أي: الثلج) في الماء، وأخذ الناسُ في الشرب، فما مرَّ عليه =

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء سببٌ يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سببُ البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويُضْعِفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة»(١).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومِنْ أَعْظَمِ عِلاجات المرضِ: فِعْلُ الخيرِ والإِحسان، والذِّكْرُ، والدُّعاءُ، والتَّضَرُّعُ، والابتهالُ إلى الله، والتَّوبةُ، ولهذه الأمور تأثيرٌ في دَفْعِ العِلَل، وحُصُولِ الشِّفاءِ؛ أعظمُ مِنَ الأدوية الطَّبِيعِيَّةِ، ولكن بحَسَبِ استعدادِ النَّفْس، وقَبُولِها، وعَقِيدتها في ذلك ونفعِه»(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصَّتهم وعامَّتهم، وأهل الأرض كلهم مُقِرُّون به لأنهم جرَّبوه»(٣).

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعليك بالدعاءِ فاللهُ يَشْفي ... ليس شافٍ سواه من كل داءِ

نِعْمَ عَوْنُ العليلِ توبةُ صِدْقٍ ... وكذا البِرُّ جالبٌ للشفاءِ(٤)

= أسبوع حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان، وعاش بعد ذلك سنين» اهـ من «الجامع لشعب الإيمان» (٥/ ٥٧٣) ط. وزارة الأوقاف - قطر، وانظر: «فيض القدير» (٣/ ٥١٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٩٦).

(٢) «الطب النبوي» (ص١١٤).

(٣) «الوابل الصيب» (ص٦٩).

(٤) «بهجة المجالس» (١/ ٣٩١) ط. دار عالم الفوائد.

(٦) ومن أسباب العافية

شرب ماء زمزم بنية الشفاء

ماء زمزم المبارك هو سيد المياه وخيرها، وأشرفها وأجَلُّها، تفجَّر في أطهر بقاع الأرض غياثًا لإسماعيل ابن الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وأمه هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ[١]، بواسطة أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢]، ولبركته وشرفه غُسِلَ به قلبُ سيد الخلق رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وزادت زمزم بركة على بركة حين مجَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ريقه الشريف، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

«جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زمزم، فنزعنا له دلوًا، فشرب، ثم مَجَّ[٣] فيها، ثم أفرغناها في زمزم» الحديث[٤].

---

(١) وكان ماء زمزم هو السبب في عمران مكة لما مرت رُفقة من جُرْهم بهاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ، فاستأذنوها أن ينزلوا عندها من أجل الماء فأذنت.

(٢) ولذلك يسمى رَكْضَة وهَزْمَة ووطأة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه ضرب الأرض بجناحه فانفجر ماؤها، انظر «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢٥٩).

(٣) **مَجَّ فيها:** أي رمى بما بقي في فيه من الماء.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٢٧)، والطبراني (١١١٦٥)، وصححه الحافظ ابن كثير على شرط مسلم في «البداية والنهاية» (٥/ ١٩٣)، وكذا صححه الشيخ أحمد شاكر في «شرح المسند» (٥/ ١٧٧)، وصححه محققو «المسند» على شرط مسلم (٥/ ٤٦٧).

وماء زمزم من الآيات البينات في حرم الله التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران:٩٦، ٩٧].

وهو من أعظم المنافع المشهودة عند بيت الله الحرام، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ الآية [الحج:٢٨].

ولبئر زمزم بسبب شرفها وفضلها وبركتها أسماء كثيرة، كما قال الشاعر:

واعلم بأن كثرة الأسامي ... دلالة أن المسمَّى سامِ

آخرُ:

لزمزم أسماءٌ منها زمزمُ ... طعام طُعم وشِفا من يَسْقَمُ

مُغْذِية عافيةٌ وكافيه ... سالمة وعصمة وصافيه

فمن أسمائها: كافية، حيث تكفي حاجة من شربها لحاجته.

ومنها: نافعة: لكثرة منافعها التي لا تُحصر.

ومنها: «شفاء سقم»، و«عافية».

فمن شربها يستشفي بها بدت عليه العافية من العلل والبلايا، «فكم أبرأ الله بها من الأمراض ما عجز عنه حُذاق الأطباء».

«وكم من مبتلى قد عُوفي بالمُقام عليه، والشرب منه، والاغتسال به»[(١)].

(١) «الإعلام الملتزمَ بفضيلة زمزم» للغزي الشافعي (ص٧).

وقد وردت جملة من الأحاديث في فضل ماء زمزم:

- منها ما رواه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ماءُ زمزم لما شُرِبَ له**»[(١)].

زاد الحاكم في «المستدرك» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «فإن شربتَه تستشفي به شفاك الله، وإن شربتَه مستعيذًا أعاذك الله، وإن شربتَه ليقطع ظمأك قطعه الله»[(٢)].

قال الإمام المُناوي في شرح هذا الحديث:

«ماء زمزم لما شُرِبَ له؛ لأنه سقيا الله وغِياثه لولد خليله، فبقي غِياثًا لمن بعده، فمَن شَرِب بإخلاص وَجَدَ الغوث.

قال الحكيم -الترمذي-: هذا جارٍ للعِبَاد على مقاصدهم وصِدْقهم في تلك المقاصد والنيَّات؛ لأن الموحِّد إذا رابَه أمرٌ فشأنه الفَزَع إلى ربه، فإذا فَزِع إليه، واستغاث به وَجَد غِياثًا، وإنما يناله العبد على قدر نيته»[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٤٨٤٩)، وابن أبي شيبة (٨/ ٩٥)، وابن ماجه (٣٠٦٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٣)، (٩٠٢٣)، وغيرهم، وقال الحافظ ابن حجر في «جزئه» عن حديث: «**ماء زمزم لما شرب له**»: «مرتبة هذا الحديث عند الحفاظ باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به»، وقال في «تخريج الأذكار»: «الصواب أنه حسن لشواهده»، وحسنه ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٣٩٣)، وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: «حديث محكم ثابت» كما نقله عنه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٢٨)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١١٢٣)، وقال محققو «المسند»: «حديث محتمل للتحسين» (٢٣/ ١٤٠).

(٢) «المستدرك» (١/ ٤٧٣)، وصحَّحه.

(٣) «فيض القدير» (٥/ ٤٠٤).

ولفظ: (ما) في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما شرب له**» من صيغ العموم، فتعمّ أيَّ حاجة دنيوية أو أخروية[١].

«فالشارب لزمزم إن شَرِبه لشِبَعٍ أشبعه الله، وإن شربه لِرِيٍ أرواه الله، وإن شربه لشفاءٍ شفاه الله، وإن شربه لسوءِ خُلُقٍ حسَّنه الله، وإن شربه لضيقِ صدرٍ شرحه الله، وإن شربه لانغلاقِ ظلماتِ الصدرِ فَلَقَها الله، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله، وإن شربه لحاجةٍ قضاها الله، وإن شربه لأمرٍ نابه كفاه الله، وإن شربه لكُربةٍ كشفها الله، وإن شربه لنُصْرةٍ نَصَره الله، وبأية نيةٍ شربها من أبواب الخير والصلاح، وَفَّى الله له بذلك؛ لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غِياثًا»[٢].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت الحرام فقال له: «**متى كنت هاهنا؟**»، قال: قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: «**فمن كان يُطعمك؟**»، قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسَّرت عُكَن[٣] بطني، وما أجد على كبدي سُخْفَةَ[٤] جوع، قال: «**إنها مباركة، إنها طعامُ طُعْمٍ**[٥]» الحديث[٦].

---

(١) «نيل الأوطار» (٥/ ١٧٠).
(٢) «نوادر الأصول» (ص٣٤١).
(٣) **عُكَن**: جمع عُكْنَة: وهي ما انطوى وتثنَّى من لحم البطن سِمَنًا.
(٤) **سُخْفَة**: أي رقة الجوع وهُزاله.
(٥) **طعام طعم**: أي: تغني شاربها ومتطعِّمَها عن الطعام.
(٦) رواه مسلم (٤٥٢٤)، وانظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٥٨٥).

وفي رواية البزار بلفظ: «**زمزم: طعام طعم، وشفاء سقم**».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**خير ماءٍ على وجه الأرض ماءُ زمزم؛ فيه طعام من الطُّعْم، وشفاء من السُّقْم**» الحديث[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنا نسمِّيها شَبَّاعة، نعم العونُ على العيال**»[(٢)].

- ومن المواطن التي يُرجى فيها إجابة الدعاء: الدعاء عند الشرب من ماء زمزم.

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يدعو عند الشرب منها:

«اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء»[(٣)].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «رأيت أبي غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه»[(٤)].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١١١٦٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥٦): «إسناده حسن على أقل الدرجات».
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شفاء من السقم**» يشمل بعمومه الأسقام الحسية والمعنوية، كما قال الهيثمي في «تحفة المحتاج» (٤/ ١٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ١١٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٨٦): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات»، وصححه ابن الهمام في «فتح القدير» (٢/ ٣٩٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ١١٣)، والدارقطني في «سننه» (٢/ ٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٧٣)، وانظر «المتجر الرابح» للدمياطي (ص٣١٨)، و«الترغيب والترهيب» (٢/ ٢١٠).

(٤) «مسائل أحمد بن حنبل» رواية ابنه عبد الله (١/ ٤٤٩)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال الشافعي والأصحاب وغيرهم: يُستحب أن يشرب من ماء زمزم، وأن يكثر منه، وأن يتضلَّع منه -أي يمتلي- ويُستحب أن يشربه لمطلوباته من أمور الآخرة والدنيا، فإذا أراد أن يشربه للمغفرة، أو الشفاء من مرض ونحوه، استقبل القبلة، ثم ذكر اسم الله تعالى، ثم قال: «اللهم إنه بلغني أن رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»، اللهم إني أشربه لتغفر لي، اللهم اغفر لي، أو اللهم إني أشربه مستشفيًا من مرضي، اللهم فاشفني»، ونحو هذا[(١)].

ويستحب أن يَصُبَّ ماء زمزم على رأسه ووجهه:

فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَلَ ثلاثة أطواف من الحَجَر إلى الحَجَر، وصلى ركعتين، ثم عاد إلى الحَجَر، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصبَّ على رأسه...»[(٢)] الحديث.

فائدة:

فضيلة ماء زمزم حاصلة بإذن الله سواء كان في موضعه بمكة المكرمة، أو في موضع آخر منقولًا إليه، فإن فضله لِعَيْنِهِ، لا لأجل البقعة التي هو فيها.

---

(١) «المجموع» (٨/ ١٩٨) ط. دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٥٢٤٣)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط مسلم» (٢٣/ ٣٩٩).

وقد صح أن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تحمل من ماء زمزم، وتخبر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقِرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم»[١].

وأرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بالمدينة، قبل أن تُفتح مكة، إلى سهيل ابن عمروٍ: «أن أهْدِ لنا من ماء زمزم، ولا يترك، فبعث إليه بمزادتين»[٢].

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«مَرَّ بي وقت بمكة، سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها -يعني الفاتحة- آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد على ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع».

وقال أيضًا: «قد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمور عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت -بإذن الله- وشاهدتْ من يتغذى به الأيام ذوات العدد، قريبًا من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مرارًا»[٣].

---

(١) روى الترمذي صدره: «كان يحمل ماء زمزم» (٩٦٣)، ورواه بالزيادة البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٨٩) (٦٣٩)، والبيهقي (٥/ ٢٠٢)، وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (٨٨٣).

(٢) قال الألباني: «إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات» اهـ. من «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٧٣).

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ١٧٩)، ط. مؤسسة الرسالة.

قال الإمام ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «قد اجتزأ أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بماء زمزم ليالي أقام بمكة ينتظر لقاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستمع منه. قال: «**حتى سمنتُ وتكسَّرت عُكَنُ بطني**»، وكان لا يجترئ على السؤال، ولا يمكنه الظهور، ولا التكشف، فأغناه الله بماء زمزم عن الغذاء، وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن هذا موجود فيه إلى يومه ذلك، وكذلك يكون إلى يوم القيامة لمن صحت نيته، وسلمت طويته، ولم يكن به مكذبًا ولا شربه مُجَرِّبًا، فإن الله مع المتوكلين، وهو يفضح المجربين[(١)]، وقد كنتُ بمكة مقيماً في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمئة، وكنتُ أشرب ماءَ زمزم كثيرًا، وكلما شربتُه نويتُ به العلمَ والإيمانَ، حتى فَتَحَ الله لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم، ونَسيتُ أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربتُه لهما، حتى يفتحَ الله عليَّ فيهما، ولم يُقدَّر، فكان صَغوي إلى العلم أكثرَ منه إلى العمل، ونسأل الله الحفظَ والتوفيقَ برحمته»[(٢)].

تنبيه:

قد يتخلف الشفاء عن بعض من يشربون زمزم لأجله لمانعٍ قام بمن يستعمله تجريبًا أو لضعف يقينه بأنه شفاء، أو لعدم إخلاصه في الدعاء، أو لأكله المالَ الحرام، أو استعجال الإجابة.

---

(١) ومن لطيف ما يُروى في ذلك: أن الإمام المحدث الفقيه الزاهد حَيْوة بن شريح التُّجِيبي شيخ الديار المصرية (ت: ١٥٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:
«كان يأخذ عطاءه في كل سنة ستين دينارًا، وكان إذا أخذه لم يأت منزله حتى يتصدَّق به، ثم يجيء إلى منزله، فيجدها تحت فراشه، وكان له ابن عم، فلما بَلَغَه ذلك، أخذ عطاءه فتصدق به، ثم جاء يطلبه تحت فراشه، فلم يجد شيئًا، فشكا إلى حيوة، فقال له حيوة: أنا أعطيتُ ربي بيقين، وأنت أعطيتَ ربك تجربة» اهـ. من «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨٥)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٣٧).

(٢) «أحكام القرآن» (١/ ١١٢٤).

وأيضًا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلا آتاه الله إياها، أو صَرَفَ عنه من السوء مثلها، ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم**»، فقال رجل من القوم: إذًا نُكْثِر. قال: «**الله أكثر**»[(١)].

عن أبي سعيد مرفوعًا: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّلَ له دعوتُه، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»، قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً مِن قلبٍ غافلٍ لاهٍ**»[(٣)].

وفضل الذكر لا يناله إلا المُتَّقون، فهذا هو الصَّحابي الجليل فضالة بن عبيد من أهل بيعة الرضوان يقول: «لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقالَ حبة أَحَبُّ إلي من الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٤)] [المائدة:٢٧]».

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١١١٤٩)، والبخاري في «الأدب»، «صحيح الأدب المفرد» (٥٥٠)، والحاكم (١/ ٦٧٠) وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) رواه الترمذي (٣٧٢٥)، وقال: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٩٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١١٦).

فلَا يَحْسَبَنَّ أحدٌ أن هذه الأذكار قولٌ باللسان دون عمل القلب والأبدان قال أحد العلماء الأجلاء: «والفَضَائل الواردة في التَّسبيح والتَّحميد ونحو ذلك إِنَّما هي لأهل الشَّرف في الدِّين والكمال كالطَّهارة من الحرام وغيره فلا يَظُنُّ ظان أَنَّ مَنْ أدمن الذكر وأَصَرَّ على ما شاء من شهواته وانتهك دِينَ الله وحُرُماته أن يلتحقَ بالمُطَهَّرين المُقَدَّسين ويَبْلُغَ منازلَ الكاملين بكلام أَجْرَاه على لسانه ليس معه تَقْوى ولا عمل صَالح»[(١)].

فائدة:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نزل الحجرُ الأسودُ من الجنة، أشدَّ بياضًا من الثلج، فسَوَّدَتْهُ خطايا بني آدم**»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لولا ما مَسَّه من أنجاس الجاهلية؛ ما مَسَّه ذو عاهةٍ إلا شُفِي، وما على الأرض شيء من الجنة غيرُه**»[(٣)].

(١) هو العلامة ابن بطال كما في «فيض القدير» (٦/ ١٩٠)، وانظر كلام ابن القيم (ص٢٤٠، ٢٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وقال: «حسن صحيح»، وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦١٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن» (٥/ ٧٥)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٢٦١٩).

(٧) ومن أسباب العافية:
تغطية الأواني، وإيكاء الأسقية

تحث العلوم الطبية على تغطية أواني الطعام والشراب كي لا تلوثها الميكروبات المسببة لبعض الأمراض، وجاءت السنة الشريفة بذلك مع بيان أمور لا يدركها الطب الطبائعي، ولا تُعلَم إلا بنور الوحي.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**غَطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاء**[١]**، وأغلِقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يَعْرُضَ**[٢] **على إنائه عُودًا، ويذكر اسم الله فليفعل**»[٣].

وفي رواية: «**وأوكوا قِرَبَكم، واذكروا اسم الله، وخَمِّروا**[٤] **آنيتَكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تَعْرُضوا عليها شيئًا**».

---

(١) **أوكوا**: أي شدوا رؤوسها بالوكاء، وهو الخيط الذي تُشَدُّ به القِربة ونحوها، لئلا يسقط فيها شيء، **والسقاء**: إناء من جلد يُتخذ للماء واللبن.

(٢) **عَرَض العود على الإناء**: أي وضعه عليه بالعرض، وهو خلاف الطول.

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٠، ٣٣٠٤، ٥٦٢٣)، ومسلم (٢٠١٢، ٢٠١٤)، والإمام أحمد (٣/ ٣٥٥).

(٤) **التخمير**: التغطية.

وفي رواية: «**غَطُّوا الإِناءَ، وأَوكُوا السِّقاءَ، فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً**[١] **يَنْزِلُ فيها وباءٌ؛ لا يَمُرُّ بإِناءٍ ليسَ عليهِ غِطاءٌ، أو سِقاءٍ ليس عليه وِكاءٌ إلا نَزَل فيه مِنْ ذلك الوَباءِ**».

قال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا مما لا تناله علومُ الأطباء ومعارفهم»[٢].

(١) لم يحدد الحديث الشريف تلك الليلة، فصار الاحتياط اعتياد التغطية دائمًا.
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٢٣٢).

(٨) ومن أسباب العافية: الرقيا

مدخل إلى فقه الرقيا

خاطب الله خليله ورسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦].

فهذه وظيفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقصودة، ومع ذلك جاءت أمور تتعلق بمداواة الأبدان في هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبعًا لا قصدًا، ومع أن طب الأبدان من المصالح الدنيوية غير أن الشرع الشريف متى ما تعرض لشيء منه بأمر أو نهي أو فعل أو تقرير فقد أصبح من أمور الدين؛ لأن الله قال في حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤].

وإن أعظم مصادر المعرفة في الإسلام هو الوحي الإلهي الشريف، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٤]، ولا شك أن العلم هنا يراد به الوحي، ولقد تفطن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لهذه الحقيقة حين افتتح جامعه الصحيح بكتاب «بدء الوحي»؛ لأنه مصدر المعرفة المقدم على سائر مصادرها في الإسلام وهي العقل، والحس، والفطرة.

أما المعرفة في الغرب فقد قامت على الحِسِّ والعقل، ولم ترفع بالوحي رأسًا، فصارت علومهم تستند إلى خلفية مادية لا تقبل الإيمان بالغيبيات، ووراء ذلك قصة الصراع الطويل المرير بين الكنيسة والعلم (Science)، وكيف أن رد فعل العالم الغربي كان رفض الدين برمته، وتحويله إلى علاقة شخصية بين الإنسان وربه، وبدلًا من أن يبحث عن الدين الحق، رفض الأديان كلها، انطلاقًا من تجربته المريرة مع الكنيسة التي عمَّمها على كل الأديان بما فيها الإسلام، مع أن تاريخ الإسلام لم يشهد تصادمًا بين عقيدته وبين أي حقيقة علمية، ولقد كان العلم ولا يزال وسيبقى من أعظم مؤيدات هذا الدين الحق.

وإذا كان العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه في الحقيقة، فإن حقائق الوجود لا تنحصر في المُحَسَّات، ولكن وراء هذه المحسات التي ندركها بحواسنا في عالم الشهادة، حقائق عظيمة هي أضعاف ما ندركه بالحس، ألا وهي حقائق عالم «الغيب».

وقد امتدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مفتتح سورة البقرة المتقين وصدَّر صفاتهم بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة:٣].

وإن أركان الإيمان الستة كلَّها غيب كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى**».

وهذا الغيب لن يكون له معنى إذا حاولنا معرفته بالحس أو العقل، فالخوض فيه عبث وجهالة وإهدار لطاقة العقل، وخروج عن مقتضى الإيمان،

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وأمر سبحانه سيد ولد آدم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يقول: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام:٥٠].

أما «علماء الغرب» ومفكروه فما أبعدهم عن الاهتداء إلى الإيمان بالغيب، وما أوتوه من العلم يقتصر على ظاهر الأشياء دون بواطنها:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال عَزَّ مِن قائل في سورة الروم: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بحكمته تعالى، في كونه وأفعاله المحكمة، الجارية على وفق العدل. لجهلهم وعدم تفكرهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو ما يوافق شهواتهم وأهواءهم ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ التي هي المطلب الأعلى ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي لا يُخطرونها ببالهم، فهم جاهلون بها، تاركون لعملها.

وقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة، أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامَه، ويَسُدُّ مَسَدَّه، ليُعْلِمَكَ أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ(١) جَوَّاظٍ(٢)، سَخَّابٍ في الأسواقِ(٣)، جيفةٍ بالليلِ(٤)، حِمارٍ بالنهارِ، عالمٍ بأمرِ الدنيا، جاهلٍ بأمرِ الآخرةِ(٥)**».

فما أشد انطباق هذا الحديث على هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون لآخرتهم، مع علمهم بأمور دنياهم، وفرحهم بما عندهم منه، كما قال تعالى فيهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧]، وقال: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠]، فهم يجتهدون في العلم بأمور دنياهم، ويُمعِنون في تحصيلها، مع جهلهم التام بأشرف العلوم، وهي علوم الآخرة التي هي شرف لازم لا يزول، دائم لا يُمَل، فجدير بمن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير أن يبغضه الله، ويمقته لشقاوته وإدباره، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كرَّمهم بنعمة العقل، وميزهم بها على العجماوات، فسخروها أعظم تسخير في كل شيء من أغراض الدنيا الخسيسة كالتأنق في الشهوات والمأكل والملبس والترفه، إلا الشيء الذي خُلقوا من أجله،

---

(١) **الجعظري**: الفظ الغليظ المتكبر، وقيل: هو الذي ينتفخ بما ليس عنده.

(٢) **الجواظ**: الجَمُوع الممنوع، وقيل: الكثير اللحم، المُختال في مشيته.

(٣) **السخاب**: السَّخَب والصَّخَب بمعنى الصياح، فالسخاب هو كثير الضجيج والخصام، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث المنافقين: (خُشُب بالليل، سُخُب بالنهار)، أي إذا جنَّ عليهم الليل سقطوا نيامًا كأنهم خُشُب، فإذا أصبحوا تساخبوا علي الدنيا شحًّا وحرصًا» اهـ.

(٤) **جيفة**: أي كالجيفة، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه، وينام طوال الليل كالجيفة التي لا تتحرك.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٩٥٧ - موارد)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٥).

وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢].

إن علوم الغرب تنحصر فيما يثبت بالمنهج القائم على التجريب والملاحظة ثم الاستنتاج، والاستقراء المادي الحسي، ولا ينشغلون بحقائق الغيب، إما تكذيبًا بها، أو إعراضًا عنها.

إن العلم والغيب ليسا نقيضين، والقاعدة العقلية تنص على أن عدم العلم بشيء لا يعني العلمَ بعدمه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

وقُصارَى ما للعلم المادي أن يقوله عن حقائق الغيب: «لا أدري»، أما تمسح منكري الغيبيات في العلم بدعوى أنه ينكرها؛ فهي فرية بلا مرية، لأن العلم والعقل لا يملكان أن ينفيا ما لم تدركه الحواس، وإلا تطفَّلا على عالم الغيب الذي يجهلانه.

يقول د. كامل عياد مجسدًا هذا المنهج المادي الذي يتنكر للغيبيات:

«إن طريقة البحث العلمي جعلتنا لا نتقيد إلا بالواقع الذي تدركه الحواس، وأن نتحرر من العقائد الغيبية»[(١)].

(١) نقله عنه الأستاذ محمد المجذوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مشكلات الجيل في ضوء الإسلام» (ص٢٥).

إن العلم حقق طَفْراتٍ هائلةً في دراسة «آثار» الحياة، والمغناطيسية، والكهرباء، بل الذرة، لكنه عاجز تمامًا عن أن يضع تعريفًا لحقيقتها وكنهها.

إن مبادئ ومفاهيم الحضارة الغربية المادية الحسية قد طبعت أثرها على بعض المسلمين، وجعلت على قلوبهم وعقولهم حجابًا يمنعهم من قبول جزء من أحكام الشريعة أو أخبار الوحيين الشريفين.

ومن ذلك: إنكار كل ما كان خارج الحس، والاعتماد على التجربة في إثبات الحقائق، والإنكار والتشكك في كل ما خرج عن محيط المختبرات التجريبية.

فراحت المدرسة العقلانية الحديثة تشكك في معجزات الأنبياء وتؤولها تأويلًا فاسدًا، أو تنكرها إن أمكنها ذلك (كما هو الحال مع المرويات الحديثية رغم صحتها بل تواترها)، بحجة أن المنطق العقلي المعاصر لا يستسيغها.

وتمادى بعض المنهزمين الأشقياء حتى أنكروا -أو تأولوا- الملائكة والجن والشيطان، والعين والحسد والسحر وعذاب القبر، لأنها خارج نطاق الحس، ويرون أن الإيمان بها شيء مخجل، يجب أن نتبرأ منه لكي يرضى عنا العالم «المتحضر!»، ولا يُعَيِّرَنا بها.

الإنسان روحٌ وجَسَد

إن الجسد بيت تسكنه الروح، وبذلك تُسمى «نفسًا»، والجسم هو اللباس الذي تلبسه الروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

ويدعي الماديون الطبائعيون أن الروح ليست سوى مجموع وظائف الجسد!

وليست الروح من عالم الشهادة حتى نُعَيِّنَ لها حقيقةً منه، ونشاطات الإنسان لا يمكن أن تُفهم بالمكوِّن الروحي المحض دون الجسدي أو العكس، لأن للإنسان طبيعةً مزدوجة، فيجب أن تُفهم نشاطاته في سياق موحَّد يجمع بين كونه كتلةً من طين الأرض، ونفخة من روح الله، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص:٧١، ٧٢]، وكيانه المزدوج يجمع إلى أنشطته الجسدية أنشطته الروحية النفسية، وهناك توافق تناغمي فعال بين الروح والجسد.

إن التصور الإسلامي شامل للوجود بجانبيه الغيبي والمحسوس، والمعرفةِ بمصدريها الإلهي والبشري، بخلاف «علم النفس» الذي يحاول فهم السلوك

الإنساني بمكون واحدٍ مادي[١]، ولذلك افترض أن جميع الاضطرابات النفسية يجب التماس أسبابها من داخل عالم المادة وقوانينها، ويجب التوقف في تفسيرها حتى تخضع لنموذج عضوي أو نفسي.

ومرة أخرى جاء هذا الموقف كرد فعل مضاد لممارسات الكنيسة مع المرضى النفسيين، يقول الدكتور محمد عز الدين توفيق حفظه الله تعالى:

«لقد أصر علم النفس الإكلنيكي على إقصاء النموذج الشيطاني في تفسير المرض النفسي، واعتباره جزءًا من تاريخ هذا العلم، بل جزءًا مظلمًا من هذا التاريخ، فكان ذلك رد فعل لموقف سابق كان يصر نفس الإصرار على اعتماد النموذج الشيطاني تفسيرًا وحيدًا لمختلف الاضطرابات النفسية والعقلية، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل تحول هذا النموذج في فهم المرض العقلي إلى أداة لملاحقة الأبرياء وتعذيبهم باسم الكنيسة وباسم الله.

في نهاية القرن الخامس عشر صُنِّفت الأرواح الشريرة التي تحل بأجسام المجانين إلى نوعين:

١- شياطين لبست الأبدان عقابًا من الله بسبب الخطيئة، وعولج المرضى من هذا النوع بالتعاويذ والصلوات والماء المبارك.

٢- شياطين لبست الأرواح بالتحالف مع المرضى الذين اعتُبِروا سحرة، وحُكِمَ عليهم بالإعدام حرقًا بعد اعترافهم بأعمال السحر، وأعدم معظم

(١) فالبُعد الروحي عنده غائب من موضوع السلوك، والوحي غائب من مصادر معرفته، وفهم السلوك الإنساني من خلال عالَمٍ واحدٍ، ونظام واحد، ومصدر واحد، محاولة مبتورة، وخادعة، وجاهلة.

المضطربين عقليًّا حرقًا بدعوى أنهم من السحرة الذين أمر الكتاب المقدس بحرقهم.

لقد كانت مأساة حقيقية ارتُكِبت باسم الدين، وكانت أمراض العدوان والكراهية التي أصابت رجال الكنيسة سببًا لمعاقبة مرضى هم ضحايا التنشئة السيئة، أو العوامل الوراثية، أو الإصابات المعدية»!

ثم ذكر تفاصيل حملات التعذيب والإحراق والقمع للنساء «المتشيطنات»، ثم قال:

«ولم يكن الرجال بمنجاة من هذه الحملات وإن كانوا بدرجة أقل، فقد تعرض المرضى العقليون لصنوف من التعذيب بدعوى تلبس الشيطان بهم، وقد كانت الهذيانات التي تظهر من المريض يُنظر إليها على أنها اعترافات من الشخص أن به مسًّا من الشياطين.

ولنا أن نتصور ردود الفعل التي ستكون ضد هذه التفسيرات وهذه الممارسات عندما يتاح للعلم أن يتحرر من سلطة الكنيسة. إنها ستكون ردود فعل «ثورية» ترفض «القديم» كله، ولو كان فيه جانب صحيح، وسيحتاج هذا الجانب الصحيح إلى زمن طويل حتى يخف المد وينحسر الموج ليُعثر عليه بين الأنقاض وقد لا يُعثر عليه.

هذه خلفية تاريخية تعيننا على فهم المسار الذي سارت فيه تصنيفات علم النفس الإكلينكي المعاصر للأمراض النفسية والعقلية، وهناك سبب

ثان هو غياب علم النبوة الذي يقول كلمة الفصل في ادعاءات الكنيسة حول أسباب المرض العقلي وممارساتها مع المصابين بها، ولو كان عند أوربا علم إلهي صحيح تلقته من مشكاة النبوة لما سادت تلك التفسيرات ولا وقعت تلك الممارسات.

ونحن المسلمين ليست عندنا عقدة في هذا الأمر -أو يجب ألا تكون- فعندنا علم النبوة الصادق، وهو الذي قطع التردد في وجود أسباب غيبية لبعض الأمراض النفسية والعقلية فأثبتها دون أن يحصر المرض النفسي كله فيها، وبذلك انفتح الباب للبحث في أسباب المرض النفسي عضوية ونفسية وروحية، وعندنا تاريخ ليس فيه مثل الذي جرى في أوربا سواء في تفسير المرض أو معاملة المصاب به.

وقد نقل الدكتور عبد الستار إبراهيم عن جيمس كولمان قوله:

(إن الإنصاف العلمي يدعو للإشارة إلى أن من بين جميع حضارات العصور الوسطى، لم يكن هناك غير العرب ممن استطاعوا أن يطوروا بعض الأفكار العلمية عن الأمراض العقلية، فقد نشأت أول مصحة عقلية في بغداد سنة ٧٩٦ هجرية وتبعها بعد ذلك إنشاء مصحات نفسية أخرى في دمشق والبلدان العربية، وفي هذه المستشفيات كان المرضى النفسيون يتلقون معاملة إنسانية في الوقت الذي كان زملاؤهم في الدول المسيحية يُحرقون أو يُلقَوْن بالسلاسل في الأقبية المهجورة المظلمة حتى الموت).

لقد كان الانسجام بين الوحي والعقل الذي طبع المعرفة الإسلامية وراء تاريخ مختلف للمرض العقلي في ظل الحضارة الإسلامية.

فعلى المستوى النظري: لم ينكر العلماء المسلمون الأسباب العضوية والنفسية لعدد من الأمراض؛ إذ ليس في الإسلام ما يدعوهم إلى إنكار ذلك، فكان هذا مقبولًا بصفة عامة، وإن كان تشخيص كل حالة يخضع لمستوى الطب في ذلك العصر.

وعلى المستوى العملي: لم يكن المس أو السحر مبررًا للحرق والقتل، فهما كسائر الأمراض، ولذلك كان المسلمون يعالجون المصاب بهما بدل أن يسجنوه أو يقتلوه، وكانت لهم مستشفيات خاصة بهذا النوع من الأمراض كما كانت لهم أوقاف ينفقون منها على علاج هؤلاء المرضى، وكانت الأسر والمجتمع يشاركون في رعايتهم، ولم يكن ينظر إلى مرضهم بوصفه عقابًا من الله بالمفهوم المسيحي للعقاب، ولكن كانوا يرونه ابتلاءً من الله تعالى قد يكون المريض مسئولًا عنه إذا تسبب فيه مثل: الإدمان والخلل العقلي الناتج عنه، أو مأجورًا عليه إذا أصابه ولم يتسبب فيه، وبكل حال فالمهم عند الإصابة هو العلاج، وقد أمر الإسلام بالتماسه بل إن الإسلام لرعايته المريض العقلي رفع عنه المسؤولية الدينية والدنيوية وترتب على ذلك الكثير من الرخص وأسباب التخفيف والرعاية.

فقد أخرج البخاري ومسلم مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ «**رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يحتلم، والمجنون حتى يفيق**».

وحتى عندما دخل العلاج النفسي في العالم الإسلامي مرحلة انحطاطه ووقع فريسة الدجل والشعوذة لم يتحول هذا الدجل إلى نظرة إسلامية تجد دليلها من تعاليم الإسلام ونصوصه، ولذلك بقي العلماء بالكتاب والسنة ينكرون تلك الشعوذة، وكانت موضوعًا رئيسيًّا من موضوعات الإصلاح في الحركات الإصلاحية التي ظهرت في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، بينما بقيت النظرة الإسلامية الشمولية تدافع عن نفسها، وتجد سندها في النصوص القرآنية والنبوية التي تفتح المجال أمام التشخيص العلمي الدقيق بدون خلفيات أو إديولوجيات مسبقة.

وبهذا فالنظرة الإسلامية للمرض النفسي والعقلي هي المرشحة لاستيعاب مختلف الأمراض النفسية؛ لأنها نظرة شاملة ومتوازنة، وقد بدأت في علم النفس الغربي بوادر العودة إلى هذه النظرة»[١].

(١) «التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية» (ص٢٨٨-٢٩٢) بتصرف.

الباراسيكولوجي *Parapsychology*

لقد رصد علماء النفس ظواهر حَيَّرتهم، فأقروا بعجزهم عن تفسيرها وفهمها بمنهجهم الماديِّ، فخصَّصوا لها «سَلَّةً» يُودِعون فيها الوقائع التي تحتاج إلى تفسير، وتكون ناتجة عن قدرات بشرية مجهولة، أو (من عمل مخلوقات أخرى كالجن والشياطين)[١].

فأحدثوا هذا الفرع المسمى (باراسيكولوجي)[٢] أي ما وراء علم النفس، أو «علم نفس الخوارق»[٣]، وكان أول من توسع فيه من الغربيين عالم النفس الألماني (ماكس دسوار) سنة ١٨٨٩م.

(١) نحن -المسلمين- نعتقد جَزْمًا بوجود عالَمين عاقِلَيْنِ غيرِ الإنس، هما عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالمنا نحن البشر يرتبط ويتأثر بالعالَمَين الآخَرَين، وإن كنا لا نراهما، وقد تأسست عقيدتنا في هذا بناء على أخبار الوحي الشريف في القرآن الكريم والسنة الصحيحة التي شرحت هذا بالتفصيل، ومن أحسن ما جُمِعَ في بيان عقيدتنا في الملائكة والجن وعلاقتنا بهما كتابا الدكتور عمر سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عالم الملائكة الأبرار»، و«عالم الجن والشياطين».
ونحن أيضًا نؤمن بمعجزات الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وبخوارق العادات التي قد تكون «كرامة» لأولياء الله الصالحين وهذه أحوال «رحمانية»، وقد تحدث خوارق على يد الكفار والمبتدعة وهذه أحوال «شيطانية»، ولهذا فإن كثيرًا من ظواهر «الباراسيكولوجي» يكون من هذا النوع الأخير، وقد فصَّلت الكلام في هذا الأمر في «أصول بلا أصول» فانظره (ص١٢٦، وما بعدها).

(٢) وقد يسمونها ظواهر خارقة (Paranormal phenomena)، ويَعُدُّونها: علمًا كاذبًا (pseudoscience)، ويقولون: إنها تكسر أو تنتهك مبدأ السببية (Causality)، لأنه لا يمكن وجود أثر قبل حدوث سببه.

(٣) وبالرغم من أن العلم المادي (Science) لم يبرهن على هذه الظواهر علميًّا، فإن العديد من أجهزة المخابرات مثل (CIA) تولت رعاية برامج خاصة عن الباراسيكولوجي بغية اكتشاف إمكانية توظيفها في خدمة المجهود الحربي والاستخباراتي.

لقد قسَّم هذا العلم ظواهرَ الباراسيكولوجي[١] إلى قسمين:

الأول: الظواهر العقلية (التي لا تتخذ مظهرًا ماديًّا):

ومنها:

١- الجلاء البصري (Clairvoyance):

ويُسمى أيضًا: الاستبصار أو الرؤية عن بُعد، أو الاستشعار عن بُعد. ويعني: حدة الإدراك، والقدرة على رؤية الأشياء التي تقع بعيدًا عنا، ولا يراها الإنسان العادي، كرؤية صديق أو قريب يتعرض لحادث على الرغم من بُعد المسافة بينهما.

٢- الجلاء السمعي (الاستهتاف أو الاستنصات) (Clairaudiance):

بأن يسمع حال اليقظة صوتًا لشخص ما في مكان آخر يخبره بشيء أو يحذِّره من شيء[٢].

---

(١) يجب التنبه إلى أن الإسلام يقر بوقوع (بعض) هذه الظواهر، لكنه يُحَرِّمُها، ويُجَرِّم فاعليها، ويفسرها عن طريق الوحي، مثال ذلك: العرافة والتنجيم، وهي ادِّعاء معرفة الغيب بأسباب كمراقبة النجوم، وضرب الحصى، ونحو ذلك، ونحن نقطع أنه لا يعلم الغيبَ إلا الله، ولا ننفي أن صدق العراف أحيانًا -في بعض ما يخبر به- يرجع إلى الصدفة المحضة والتخمين، أو الفراسة والذكاء حين يعطي إجاباتٍ عامةً حمالةَ وجوه، يؤولها المستمع حسب ما يشغل ذهنه، وقد يرجع إلى أعوان من البشر يسرِّبون إليه معلومات عن «العميل»، وقد يتلقاها عن طريق قرينه من الجن، وهذا فيما قد وقع بالفعل كمفقودات أو مسروقات، أما ما يقع من الإخبار عن المستقبل فهذا يكون مما تخطفه الشياطين عند استراق السمع، من الوحي الذي **قد نزل بالفعل**، فينقلونها إلى العراف، ويخلطون معها مئة كذبة كما صحت بذلك الأحاديث، وانظر كتابي «فقه أشراط الساعة» (ص١٠٥-١١١).

(٢) وأشهر مثال على هذا ما راوه نافع أن عمر بعث سرية، فاستعمل عليهم رجلًا يقال له: سارية، =

٣- الإلهام: وهو قدرة روح معينة على إظهار معلوماتها عبر عقل الوسيط[١].

٤- الكتابة التلقائية: وهي تحدث عندما يكتب المرء بيده أفكارًا غريبة عنه أو يقوم بأعمال فنية دون أن يكون لديه إلهام سابق بها.

٥- تفوهات الغيبوبة: حيث يتحدث الوسيط عن أشياء لا يعلمها أو ينبئ عن أمور تثبت صحتُها فيما بعد.

٦- التنبؤ Precognition:

وفيه يُعرف حدثٌ ما -خارجٌ عن إدراك الحواس- قبل وقوعه، ومن جنسه الرؤيا الصادقة في النوم[٢].

٧- التخاطر عن بُعد Telepathy:

وهو نوع من قراءة الأفكار، يتم عن طريق الاتصال والتفاهم الذهني بين عقول الأفراد بعيدًا عن الحواس الخمس، وقد يتم عبر مسافات بعيدة.

= فبينما عمر يخطب يوم الجمعة، فقال: «يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ»، فوجدوا سارية قد أغار إلى الجبل في تلك الساعة يوم الجمعة، وبينهما مسيرة شهر.
وفي رواية: (فجعل ينادي: «يا سارية الجبل، يا سارية الجبل» ثلاثًا، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزمنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديًا: «يا سارية الجبل» ثلاثًا، فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله، فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك) عزاه الألباني في «الصحيحة» (١١١٠) إلى أبي بكر بن خلاد في «الفوائد»، والسلمي في «الأربعين الصوفية»، والبيهقي في «الدلائل»، وصححه، وانظر: «الموافقات» (٤/ ٤٦٩)، وقال ابن كثير في «البداية» (٧/ ١٣١): «وهذا إسناد جيد حسن»، وقد قيل إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن لله جنودًا يبلغون صوتي» وهم ملائكة أو من صالحي الجن نادَوه بمثل صوت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) انظر تفصيل ما يتعلق بالإلهام والتحديث والكشف في «أصول بلا أصول» (ص٢٥٥-٣٣٤).

(٢) انظر نقد موقف مدرسة التحليل النفسي من المنامات وبخاصة الرؤيا الصادقة في «أصول بلا أصول» (ص٢٢-٧٧).

القسم الثاني: الظواهر الفيزيقية:

سُمِّيتْ بهذا لأنها تُحدِثُ أثرًا ماديًّا ملحوظًا، وأهم أنواعها:

١- **تحريك الأجسام الصلبة** من بُعد بغير وسيلة مادية (Psychokinesis) أو (Telekinesis) فهي قدرة على تحريك الأشياء أو لَيِّها عن طريق النظر إليها فقط دون لمسها[١].

٢- **الكتابة التلقائية**: بمعنى تحرك القلم تلقائيًّا دون أن تمسكه يد.

٣- **الصوت المباشر**: وهو يختلف عن صوت الوسيط كليًّا.

٤- **المأخوذات والمجلوبات الروحية** Telesports.

٥- **ظهور أضواء مجهولة المصدر**.

٦- **الإكتوبلازم (Ectoplasm) أو التجسدات**: وهو ظهور الروح متجسدة في شبح أو جسم مرئي.

ومنها: ارتفاع أشياء ثقيلة في الهواء دون رافع ماديٍّ لها، ودوران الطاولة حول نفسها.

يقول الدكتور محمد عز الدين توفيق: «قامت معاهد خاصة لرصد هذا النوع من الظواهر، واجتمع لدى الباحثين قدر هائل من الوقائع لم يعد معها

(١) وهذا التأثير يقرب إلينا مسألة تأثير عين الحاسد فيما يراه من النعمة، الذي هو أثر روح شريرة خبيثة تعادي نعم الله، ولا يُريحها إلا زوال النعمة عمن يحسده، انظر: «الروح» (ص٢٦٢)، و«تفسير المعوذتين» للإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وانظر أيضًا: «الحسد» للدكتور سعد سعيد أحمد عبده حفظه الله تعالى.

شك في ثبوت هذه الظواهر، لكن تفسيرها اصطدم بالمفهوم الوضعي للعلم والتصور المادي للكون، ولما تمردت تلك الوقائع على التفسيرات المادية التي فسرت بها حوصرت في هذه الدائرة المسماة (بالباراسيكولوجي) إلى أن يُنظر في شأنها، وعُزِلَتْ عن دائرة (السيكولوجي) حتى لا تُزعجَ التفسيراتِ التي تسود هذه الدائرة.

وقد خصصت موسوعة (هويسمان Huisman) المجلد الخامس بأكمله للباراسيكولوجي، ويقول محررها في المقدمة:

(توجد أشياء كثيرة في الأرض وفي السماء أكثر مما في فلسفتك (أيها الإنسان)، هذه الجملة المنقولة عن شكسبير، تصلح أن تلخص جميع الأشياء التي يطرحها الباراسيكولوجي) ثم يقول: (والمعرفة ليست دائمًا تامة، فهي لا تجمع أبدًا مجموع الحقيقة، إنها تجزئ العالم وتترك فيه مناطق غامضة.

العالَم لا يُعْطِي نفسَه دفعةً واحدة دون فروج وتصدعات عندما نتعرف عليه، فالحقيقة تقف دومًا بضع خطوات عما نعرفه عنها)»[1].

«فهل اعترف علم النفس بحدود ونقصان ملكاتنا وأدواتنا عندما درس الظواهر الروحية؟

لقد أحدث (حقلًا) لهذا النوع من الظواهر، وما لبث أن امتلأ بالوقائع والشهادات، وبدأ التنافر بين الوقائع والوجهة أو الإطار الذي حُشِر فيه

(١) «التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية» (ص٢٤٦)، ولو كان هذا المسكين يؤمن بالغيب لما تجاسر أن يدعي أن الحقيقة تقف «بضع خطوات»، عما نعرفه عنها!

علمُ النفس، وكان الموقف مثل إنسان ألف النظر في كتاب قريب منه، وأراد أن ينظر إلى شيء بعيد، إنه يحتاج إلى تعديل فسيولوجية إنسان العين (Accomodation)، وكذلك يحتاج علم النفس ليرى هذا الجزء (البعيد) من الظاهرة النفسية إلى تعديل في النظر العقلي، إلى تعديل في الوجهة التي تحكم العلم بصفة عامة.

لقد أثارت الظواهر النفسية الخارقة فضول المئات من علماء النفس الغربيين فرصدوا آلاف الحوادث بمناهج علمية وتراكمت شهادات لا حصر لها تثبت وجود هذه الظواهر»[١].

هناك نقطة قوة في دراسة علم النفس الغربي للظواهر النفسية الخارقة، ألا وهي: وصف هذه الظواهر ورصدها حيث «انتقلت من شهادات متفرقة يتناقلها الناس إلى وقائع مثبتة بطرق علمية، ونقطة الضعف توجد في التفسيرات التي يقدمها لتلك الظواهر، وخلاصتها أن هناك طاقة لا زال العلم المعاصر يجهلها حتى اليوم، فلا يستطيع تحديد طبيعتها ولا قوتها ولا اتجاهها، وهذا الشكل الجديد من الطاقة خارج فهمنا»[٢].

(١) «التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية» (ص٢٤٧).
(٢) «نفسه» (ص٢٤٩).

مستويات العلاج

الأول: العلاج الكيميائي بالعقاقير والأدوية.

الثاني: العلاج النفسي والإرشاد.

الثالث: العلاج بالرقيا.

وهذا الأخير لا يقابله شيء في مدارس العلاج النفسي الحديثة، لكنه البديل لما عند غير المسلمين مما يسمى بالعلاج «الروحاني» الذي يشمل فنون السحر والشعوذة والكهانة وغيرها.

وقبل أن ندلف إلى تفصيل الكلام في الرقية نقول:

١- نعتقد نحن المسلمين أن قضية العلاج بالرقية قضية شرعية تخص المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، وبأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الرقية «سببًا» شرعيًّا من أسباب الشفاء والعافية، تمامًا كما جعل تعاطي الأدوية سببًا للشفاء، ولا تعارض إطلاقًا بين الأخذ بالرقية كسبب والأدوية أيضًا كسبب.

٢- وعليه فليس لمن لا يعتقد في الرقية كسبب من أسباب الشفاء أن يتدخل فيما لا يعينه، ولا أن يهاجم الأمر برمته بوصفه دجلًا أو شعوذة أو خرافة.

٣- ومن الحرمان أن يكون الإسلام قد شرع لنا الرقية كوقاية وعلاج ثم يهجرها بعض المسلمين ويزهدوا فيها، وبخاصة فيما تختص الرقية بعلاجه كالعين والحسد والسحر.

٤- لا يشترط في الرقيا أن تتم على يد متخصص، بل الأصل هو أن يرقي الإنسانُ نفسَه أو ولدَه أو زوجَه أو أخاه أو صديقَه.

وقد يكون بعض الناس متميزًا في الرقيا معروفًا بها فلا مانع من اللجوء إليه، لكن لم يكن من فعل السلف احترافُ الرقيا، وإنشاءُ عياداتٍ خاصة بها.

٥- الأصل عند حدوث مرض هو اللجوء إلى الأسباب العادية بالتوجه إلى الطبيب المختص والالتزام بتوجيهاته، ولو حدثت حالة من الصَّرْع (Epilepsy) فلابد من عرضها على الطبيب المختص، حتى يُشخِّصها ثم يُداويها بالأدوية إن كان صَرْعًا عضويًّا، أو نفسيًّا إذا كان صرعًا هيستيريًّا، والرقيا لا تعارض هذا لأنها وقاية وعلاج.

٦- لا ينبغي للرقاة أن يتسرعوا في تشخيص المرض بأنه سحر أو عين أو جن اغترارًا بما يَدَّعونه من الخبرة، وليس من حقهم التطفلُ على علم الطب بإنكار حقيقة الأمراض النفسية والعصبية، وإمكان علاجها طبيًّا، ولا يحل لهم تنفير المرضى من الأطباء بوصفهم بالجهل والزندقة لأنهم ينكرون على بعض الرقاة مجازفاتهم في التشخيص ثم في العلاج، وإيقاعهم الضررَ بالمرضى.

٧- ومن الممارسات الخاطئة لبعض الرقاة: منع المريض من تعاطي الأدوية الكيميائية التي يصفها الأطباء المختصون، لأنهم بهذا يتطفلون، ويتدخلون فيما لا يعنيهم، «**ويُنازعون الأمرَ أهلَه**»، ويُوقِعون الضرر الشديد بالمريض.

٨- ومن الإضرار الجسدي بالمريض: مخالفة الشرع الشريف الذي حَرَّم العدوانَ على جسد المسلم، بل شرع القِصاص لِمُعاقبةِ المعتدي بمثل عمله،

فأين الدليل من الكتاب والسنة الذي جعل هذا الحرامَ حلالًا؟ وأباح لبعض الرقاة أن يعتدوا على جسد المرضى وأن (**يعذبوهم**) بالضرب أو الجلد أو الخنق أو الإحراق أو الصعق بالكهرباء وربما القتل أحيانًا؟!

٩- ومن الإضرار النفسي بالمريض: إيهامه بأنه مسحور أو معيون أو ملبوس بالجن بدون دليل يثبت ذلك، فيقع في القلق والخوف، وينجم عن ذلك أعراض جسمانية كان في عافية منها.

١٠- الرقية عمل يحتاج إلى نية ويقينٍ حالَ أدائها مع مباشرة النفث على المريض، ووضع يده عليه، وهذا لا يتأتى من جهاز التسجيل (الجماد) الذي تُسجَّل عليه الرقية وتُذاع على المريض، والشيء نفسُه يُقال في الرقيا عبر الهاتف.

١١- لا يُقبل من المعالج إذا ثبت أن المريض به مسٌّ جني أن يستنطق الجني، ويستفسر منه عن المرض وسببه وكيفية علاجه[(١)]، ولا أن يصدقه إذا أخبره أن فلانًا سحره أو حسده، ولا أن يأخذ العهد عليه أن لا يمس هذا الشخص، بل الجائز هو الرقية المشروعة فحسب، وذلك لأن عدالة الجني مجهولة، ولا يمكن معرفة مَن هو، ولا كيف هو؟

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما كلام الشيطان على لسان المصروع فهذا من مخاريق العزامين، ولا يجوز إلا في عقول ضعفاء العجائز، ونحن نسمع المصروع يحرك لسانه بالكلام فكيف صار لسانه لسان الشيطان؟؟»[(٢)].

(١) أما كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، (٦/ ١٦٩)، من جواز الاستعانة بالجن في أمور مباحة؛ فلعله رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنى ذلك على اجتهاد شخصي في أمور دنيوية.

(٢) «رسائل ابن حزم» (٣/ ٢٢٨).

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أعلم دليلًا شرعيًّا يثبت وقوع كلام الجني على لسان الإنسي»[١].

وما أحسن ما قال الأستاذ الدكتور طارق الحبيب الطبيب النفسي المعروف:

«ولقد حضرت مجالس عدد من الرقاة، وشاهدت كثيرًا من تلك الحالات التي يندهش منها العامة، والتي سجلوا شيئًا منها على الأشرطة المسموعة ونشروها بين الناس، فوجدت أكثرها أشبه ما تكون بنوبات الصرع الهستيري (النفسي) التي تتكرر بشكل شبه يومي في المستشفيات العامة ويعالجها الأطباء، لكن العامة وكذلك الرُّقاة على غير دراية بها. ولقد لاحظت أن أكثر من تحدث عندهم تلك النوبات هم من ذوي الشخصيات القابلة للإيحاء والذين تصيبهم أثناء الرقية حالة من تبدل الوعي نتيجة أسئلة الراقي المفعمة بالقوة والمشحونة بالإيحاء «من أنت» «اخرج» «ما دينك» «كم عددكم»... مما يجعل المريض يقوم بصورة لا واعية بالحديث الذي قد يطول أو يقصر حسب درجة القابلية للإيحاء عند ذلك الشخص. ومما يلاحظ أن حديث المريض أثناء تلك النوبة يعكس ثقافته ومعلوماته عن عالم الجن، وما يتعلق بذلك الحوار دون أن يتلفظ بشيء جديد سوى ما يلقنه إياه من يرقيه.

ولقد ذكر لي كثير من مرضاي أنهم يقومون بسبب الضرب والألم بتمثيل دور المتلبس به حتى يتخلصوا من الضرب»[٢].

(١) «نحو موسوعة شرعية في علم الرقى» للأستاذ أسامة المعاني (ص٢٥١، ٢٥٢).
(٢) «العلاج النفسي والعلاج بالقرآن» (ص٢١٩، ٢٢٠).

تعريف الرقيــة

الرقية لغة:

اسم من الرَّقْي، فالاسم الرقيا، والمرة رقية، والجمع رُقى.

ومن معاني الرقية لغة: الصعود، كقولك: رقيتُ في السُّلَّم أرْقى رُقِيًّا، وتقول العرب: ارْقَ على ظَلْعِك، أي: اصعد بقدر ما تطيق، ورقى الطائر: سما، وارتفع.

وقال تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ الآية [الإسراء:٩٣].

والرَّقو: ارتفاع بلطف ورفق، وسميت العُوذة التي يُرقى بها صاحبُ الآفة رقية؛ لأنه يقصد بها رفع المرض بلطف، قال رؤبة:

فما تركا من عُـوذَةٍ يعرفانها ... ولا رُقـيـةٍ إلا بـهـا رَقَـيـانـي

والجمع: رُقى، والرَّقَّاء: صاحب رقى[(١)].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة:٢٦، ٢٧].

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: أين الأطباء والرقاة؟ من يرقيه من الموت[(٢)]؟

ولا يخرج اصطلاح الفقهاء للرقية عن المعنى اللغوي.

---

(١) انظر «لسان العرب» (١٤/ ٣٣١-٣٣٣)، «معجم مقاييس اللغة» (ص٣٤٧، ٣٤٨)، و«الصحاح» (ص٤٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥١٤)، وقد رجح الإمام المحقق ابن القيم أن قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ يراد به الرقية، وفصل أدلته على ذلك، فانظرها في «التبيان في أقسام القرآن» (١٤٧-١٦٣).

الرقية اصطلاحًا:

عرفها الطيبي بأنها «ما يُرقى به من الدعاء؛ لِطلب الشفاء»[١].

وقال القرافي: «الرُّقى ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء، والأسباب المهلكة»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: «الرقية كلام يُستشفى به من كل عارض»[٣].

وعَرَّفها الدكتور حسن الفكي بأنها: «التعويذ بالقرآن والأدعية والأذكار المشروعة، لحفظ صحة، أو دفع مرض»[٤].

وقيل: إن الرقية بعد نزول الوجع والبلاء، وظهور العلة والداء، أما ما قبل ذلك فيُسمى عُوذًا.

(١) كما نقله عنه المناوي في «فيض القدير» (١/ ٦٢٦).
(٢) «الفروق» (٨/ ١٢٦).
(٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٦).
(٤) «أحكام الأدوية» (ص٤٤٥)، وانظر «فتح المجيد» (ص١٧٢).

حكم الرقيــة

أجمع العلماء على جواز الرقية الشرعية[١]، ودلت نصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة على استحبابها، ثبت ذلك بأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، وفعله، وإقراره.

أما أدلة القرآن الكريم:

- فقد قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مِن) ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء»[٢].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين: **الأوّل**: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه.

القول الثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوّذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين»[٣].

(١) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٦).
(٢) «الداء والدواء» (ص٢٠).
(٣) «فتح القدير (٣/ ٢٥٣)، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠/ ٢٠٥).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله في هذه الآية ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾: يشمل كونه شفاء للقلب من أمراضه كالشك والنفاق وغير ذلك، وكونه شفاء للأجسام إذا رقى عليها به[١].

- وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

قال البغوي في تفسيره: «أي هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع»[٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية»[٣].

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا. وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال، لصدعها، أو على الأرض، لقطعها، فما من

(١) «أضواء البيان» (٣/ ١٨١).
(٢) «معالم التنزيل» (٧/ ١٧٧).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٤/ ٤٠٣).

مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه»[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن هجر القرآن هَجْرُ التداوي والاستشفاء به»[(٢)].

وقال منصور الفقيه:

يا سيدًا باتتِ القلوبُ -لِأَنْ ... بات كما لا يُحِبُّ- مُحْتَرِقَهْ
فاتْلُ من الوحي ما استطعتَ ولو ... في كل يومٍ وليلةٍ وَرَقَهْ
فما يُداوَى العليلُ يرحمك الله ... ـهُ بمثلِ القرآن والصدقهْ[(٣)]

وأما أدلة السنة:

فمنها ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لدغت رجلًا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رجل: يا رسول الله أرقي؟ قال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[(٤)].

وسيأتي -فيما يلي إن شاء الله- قدر وافر من الأحاديث يدل على مشروعية الرقية بل استحبابها.

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٢).
(٢) «الفوائد» (ص١٥٦).
(٣) «بهجة المجالس» (١/ ٣٩٠).
(٤) رواه مسلم (٥٨٥٧).

ما اشترطه بعض العلماء في الرقية المشروعة

الشرط الأول:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى كالفاتحة، والمعوذات، وبأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته، وبالأدعية المأثورة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

تقدم آنفًا قولُ الإمام المحقق: «القرآن هو الشفاء التام، من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا»(١).

قال الربيع: سألتُ الشافعيَّ عن الرُّقَى فقال: «لا بأس إن رقى بكتاب الله، أو بما يُعرف من ذكر الله»(٢).

وقال البغوي: «فأما ما كان بالقرآن، وبذكر الله، فإنه جائز مستحب»(٣).

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: «قال المازَري جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يُدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر»(٤).

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٢).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٨).
(٣) «شرح السنة» (١٢/ ١٥٩).
(٤) «المنهاج» (١٤/ ١٦٨).

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط منها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته. فتجوز الرقية بآية أو آيات من كتاب الله تعالى، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، أو بذكر الله تعالى أو دعائه الذي ورد في القرآن أو السنة، ونحو ذلك»[(١)].

فإذا لم يكن للرقية أصل في القرآن أو السنة، أو لم تكن موافقة لهما، فيحرم التداوي بها؛ فلا يجوز التداوي بالرقى اليهودية والنصرانية المخالفة لما في القرآن والسنة[(٢)]. والقرآن الكريم كله شفاء يصح التداوي بأية سورة منه، أو آية منه؛ لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٥).

(٢) اختلف الفقهاء في جواز رقية الكافر للمسلم، فذهب الحنفية والإمام الشافعي إلى جواز رقية اليهودي والنصراني للمسلم إذا رقى بكتاب الله وبذكر الله، لما جاء أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تشتكي، ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر: «ارقيها بكتاب الله» رواه مالك في «الموطأ» (٩٤٣)، ط. الحلبي، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٤٩) وصححه.
قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل -والله أعلم- أن يريد بقوله (بكتاب الله) أي: بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، أو رقية موافقة لما في كتاب الله، ويُعلم صحة ذلك بأن تُظهر رقيتها، فإن كانت موافقة لكتاب الله أمر بها» اهـ. من «المنتقى» (٧/ ٢٦١).
وقال حافظ المغرب ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان مالك يكره رقية أهل الكتاب، وذلك -والله عَزَّوَجَلَّ أعلم- لأنه لا يَدْرِي أيرقون بكتاب الله تعالى، أو بما يضاهي السحر من الرقى المكروهة» اهـ. من «الاستذكار» (٢٧/ ٣٢) برقم (٤٠٠٦١).
ولا ينبغي أن يُخْتَلَفَ في تحريم أن يُمَكَّنَ القَسُّ مِن وضع الصليب على رأس المسلم وهو يدعو له إلهه المزعوم «يسوع»، الذي هو شخصية تاريخية لا وجود لها في الحقيقة، وإنما الذي خلقه الله هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهنا «من» في الآية للبيان، وليست للتبعيض؛ لأنه يلزم من كونها للتبعيض أن بعض القرآن لا شفاء فيه، وهو ليس كذلك[١]. لكن الأَوْلى تحري الآيات والسور التي ورد استعمالها في الرقى والتعوذات المأثورة، كفاتحة الكتاب، والإخلاص والفلق والناس، وآية الكرسي.

والأَوْلى من الأدعية ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه دعا به، أو علَّم الناسَ أن يدعوا به[٢].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: «عالجيها بكتاب الله»[٣].

وعن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَدَغَت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقربٌ وهو يصلي، فلما فرغ قال: «لعن الله العقرب؛ لا تدع مصليًا ولا غيره. ثم دعاء بماء وملح، وجعل يمسح عليها ويقرأ بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٤]».

وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠/ ٣١٥).
(٢) انظر «الأحكام الفقهية للأمراض النفسية» (ص٢٨٤، ٢٨٥).
(٣) أخرجه ابن حبان (١٤١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣١).
(٤) أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص١١٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٢٣)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٥٤٨).

وعنها أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات. وكما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة اللديغ[١] ورقيه بالفاتحة[٢].

هل الرقية توقيفية؟

لا تنحصر صيغة الرقية فيما ورد فيه دليل بخصوصه، بل تجوز بما لم يرد كذلك ما دام أنه من القرآن الكريم والتعاويذ النبوية.

ولا شك أن لألفاظ آيات القرآن المجيد وأحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصيةً مؤثرة في بركة الرقية، لكن زاد الدكتور أنس بن عوف حفظه الله في تعريف الرقية: (**أو تكون موافقة لهما**) أي للقرآن والسنة[٣]، واستدل بحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيتَ عن الرقى. قال: فعرضوها عليه. فقال: «**ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[٤]. فقد طلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل عمرو بن حزم أن يعرضوا عليه (رقاهم) ليرى هل هي موافقة لما جاء به من القرآن أَوْ لا. فأقرها، لأنها موافقة. وقال لهم: «**ما أرى بأسًا**».

---

(١) وهذا اللديغ كان كافرًا، ومع ذلك رقاه أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالفاتحة وأقره على ذلك رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي «الموسوعة الفقهية»: «لا خلاف بين الفقهاء في جواز رقية المسلم للكافر». اهـ (١٣/ ٣٤).

(٢) انظر: (ص٢٥٢).

(٣) «الأحكام الفقهية للأمراض النفسية» (ص٢٨٣، ٢٨٤).

(٤) رواه مسلم (٢١٩٩).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**اعرِضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»(١).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رقاكم**» فيه نسبة الرقى إلى اجتهادهم.

وكذا اجتهد أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أن الفاتحة رقية، ولذلك قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وما يدريك أنها رقية؟**» وأقره على ما فعل(٢).

ومن ثم قال الحافظ في «الفتح»: «في الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقي بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه»(٣) اهـ.

الشرط الثاني: أن تكون الرقية باللسان العربي:

الرقية بالقرآن الكريم لا يمكن أن تقع إلا بالقرآن العربي، وإلا لا تعد رقية، والرقية بما ثبت في السنة لابد من التزام لفظها كما قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤)، أما الدعاء بأي لسانٍ أو لهجة فلا مانع منه.

وقد تواردت نصوص العلماء في منع الرقية بغير العربية، وهاك بعضَها:

قال المازَري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجميع الرُّقى عندنا جائزة إذا كانت بكتاب الله تعالى

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٠).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٥٣).

(٤) وعلى القول بأن الرقية تنحصر ألفاظها فيما ورد في القرآن والسنة يكون هذا الشرط تحصيل حاصل.

وذِكر الله تعالى، ويُنهى عنها بالكلام الأعجمي، وما لا يُعرف معناه؛ لجواز أن يكون فيه كُفْر أو شِرك»[١].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الرُّقى فالمَنْهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب، فلا يُدرى ما هو، ولَعلَّه قد يدخلُه سحرٌ أو كُفرٌ. فأما إذا كان مفهوم المعنى، وكان فيه ذكر الله تعالى، فإنه مستحَب متبرَّك به، والله أعلم»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المشركين يقرؤون من العزائم والطلاسم والرُّقى ما فيه عبادة للجنِّ وتعظيم لهم، وعامَّة ما بأيدي النَّاس من العزائم والطَّلاسم والرُّقى التي لا تُفْقَه بالعربيَّة -فيها ما هو شِرك بالجنِّ؛ ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرُّقى التي لا يُفْقَه معناها؛ لأنها مظنَّة الشِّرك وإن لم يعرِف الرَّاقي أنها شِرك»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا لم يُعرف معنى الاسم جاز أن يكون معنى محرَّمًا، فلا ينطِق المسلم بما لا يُعرف معناه؛ ولهذا كُرِهت الرُّقى العجمية كالعِبرانية أو السريانية، أو غيرها؛ خوفًا أن يكون فيها معانٍ لا تجوز»[٤].

وقال الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن عامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى لا يُفقه بالعربية معناها؛ ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى غير

(١) «المعلم بفوائد مسلم» (٣/ ١٦٢).
(٢) «معالم السنن» (٤/ ٢٢٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١١).
(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٢٤٦).

المفهومة المعنى؛ لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، ومَن رَتَعَ حولَ الحِمى أوشك أن يقع فيه»[١].

الشرط الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى:

لقد تداول هذا الشرط كثير من العلماء، ويبدو أنهم تأثروا بكلام الأشاعرة في قضية السببية حيث ينفون تأثير السبب في مسبَّبه، وهم يؤمنون بمبدأ السببية كمبدأ عقلي، لكنهم اقتصروا على حصره في أفعال الله تعالى، دون أن تكون هناك سببية مطردة بين الموجودات، مسوِّغين ذلك بنفي وجود خصائص ذاتية للأشياء تقتضي تأثير بعضها في بعض.

وهم يرون أن السبب ليس له تأثير في مُسَبَّبه، وأن العلاقة بينهما اقترانية[٢] لا تأثيرية.

والحق أن السببية مبدأ ضروري عقلي فطري، وأنه لا مانع من إثبات علية العلل والأسباب وأن لها تأثيرًا في المسبَّبات لكنه تأثير جزئي، فالأسباب المؤثرة لا تستقل بتأثيرها، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دون غيره من الموجودات هو الذي يؤثر استقلالًا.

وأهل السنة يقولون: إن الله يخلق الأشياء بالأسباب لا عندها، لكن هذه الأسباب وما لها من تأثير وقوة وخصائص وطبائع هي طوع مشيئة الله

(١) «آكام المرجان» (ص١٢٥).

(٢) فالسبب عندهم: ما يحدث الشيء عنده لا به، أو هو طريق للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، فالماء ليس سببًا للارتواء، ولكن الله يخلق الارتواء عند شربه، وهكذا في سائر الأسباب.

وإرادته وحكمه[١]، فالرقية كالدعاء والدواء سبب مؤثر من أسباب الشفاء، لكنه لا يستقل بالتأثير دون مشيئة الله تعالى وإذنه، ولابد من توفر شروط وانتفاء موانع كي تتحقق نتيجة السبب[٢]، والله سبحانه خالقُ السبب وما يعينه، وصارفٌ عنه ما يعارضه ويعوقه.

وكما أن الأكل سبب في حصول الشبع، والشرب سبب في حصول الري، والنكاح سبب في حصول الولد، والدواء سبب في حصول الشفاء، كذلك الرقية سبب يؤثر بإذن الله في الشفاء، فإذا تخلف الشفاء فلوجود مانع من حصوله، كما سيأتي إن شاء الله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ليس في الوجود الممكن سببٌ واحدٌ مستقلٌّ بالتأثير، بل لا يُؤثِّرُ سببٌ البتةَ إلا بانضمام سببٍ آخَرَ إليه وانتفاءِ مانع يمنعُ تأثيرهُ. هذا في الأسباب المشهودة بالعِيان وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنويَّة؛ كتأثير الشمس في الحيوان والنبات؛ فإنه موقوفٌ على أسباب أُخَرَ من وجود محلٍّ قابل وأسبابٍ أُخَرَ تنضمُّ إلى ذلك السبب، وكذلك حصولُ الولد موقوفٌ على عدةِ أسبابٍ

(١) ولذلك لما شاء الله تعالى أبطل تأثير النار بالإحراق فقال: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

(٢) ولذلك قال العلامة ابن منظور الأفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويُكره «أن يعتقد أن الرُّقيا نافعة لا محالة فيَتَّكلُ عليها» اهـ من «لسان العرب» (١٤/ ٣٣٢)

غيرِ وطءِ الفَحْل، وكذلك جميعُ الأسباب مع مسبَّباتها. فكلُّ ما يُخافُ ويُرْجَى من المخلوقات؛ فأعلى غاياته أن يكون جزءَ سببٍ غيرَ مستقلٍّ بالتأثير.

ولا يستقلُّ بالتأثير وحدَه -دون توقُّف تأثيرِه على غيره- إلا اللهُ الواحدُ القهار؛ فلا ينبغي أن يُرْجى ولا يُخافَ غيرُهُ»[1].

(١) «الفوائد» (ص٧١، ٧٢).

الرقية براقيها وقَبول المحل

كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع، فإن الرقية براقيها مع قبول المحل[١].

وتأثير الرقية يتفاوت من راقٍ إلى آخر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ يَرْقِي بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَكَانَ لَهَا بَرَكَةٌ عَظِيمَةٌ فَيَرْقِي بِهَا غَيْرُهُ فَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ فَيَقُولُ: ليس ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ تَنْفَعُ كُلَّ أَحَدٍ»[٢].

وقال الإمام المحقق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هاهنا أمر ينبغي التَّفطُّن له، وهو أن الأذكار، والآيات، والأدعية التي يُستشفى بها، ويُرقى بها -هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعِي قَبول المحل، وقوَّة همَّة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلَّف الشِّفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدَّواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسيَّة، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطَّبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطَّبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام، كان انتفاع البدن به

(١) انظر «مدارج السالكين» (١/ ٨٣، ٨٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٣٩).

بحَسَب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرُّقى والتَّعاويذ بقبول تامٍّ، وكان للرَّاقي نفْسٌ فعَّالة وهِمَّة مؤثِّرة؛ أثَّر في إزالة الداء»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شرط انتفاع العليل بالدواء قبوله، واعتقاد النفع به؛ فتقبله الطبيعة، فتستعين به على دفع العلة، حتى إن كثيرًا من المعالجات ينفع بالاعتقاد، وحُسْن القبول، وكمال التَّلقِّي، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب...

وبالعكس يكون كثير من الأدوية نافعًا لتلك العِلَّة، فيقطعُ عملَه سوءُ اعتقادِ العليل فيه، وعدمُ أخذ الطبيعة له بالقبول، فلا يُجدي عليها شيئًا. واعتبر هذا بأعظم الأدوية والأشفية وأنفعها للقلوب والأبدان، والمعاش والمعاد، والدَّنيا والآخرة، وهو القرآن الذي هو شفاء من كل داء، كيف ينفع القلوب التي لا تعتقد فيه الشفاء والنفع؟ بل لا يزيدها إلا مرضًا إلى مرضها، وليس لشفاء القلوب دواءٌ قَطُّ أنفع من القرآن، فإنه شفاؤها التام الكامل الذي لا يُغادِر فيها سَقَمًا إلا أبرأه، ويحفظ عليها صحتها المطلقة، ويحميها الحِمية التامة من كل مؤذٍ ومُضرٍّ»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين -قدَّس الله روحه، ونَوَّر ضريحه:

«لابد من أمرين: الأول: قوة اليقين في هذا الداعي بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سوف يشفي هذا المريض بهذه الرقية. الثاني: قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع. أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة فإن ذلك لا ينفعه لأنه لابد

(١) «الداء والدواء» (ص١١).
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٩٢، ٩٣).

من اليقين أن ما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، ولابد أن يكون المحل قابلًا وهو المريض لابد أن يكون مؤمنًا بفائدة ذلك وإلا فلا فائدة؛ لأن الذين في قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجسًا إلى رجسهم، والعياذ بالله»[1].

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ١٤٦).

كيفية الرقيــة

لما عاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريض؛ وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهه وبطنه ثم قال: «**اللهم اشف سعدًا**»[١] الحديث.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يُوعَك وَعْكًا شديدًا، فمسسته بيدي»[٢] الحديث.

قال ابن بطال: «في وضع اليد على المريض تأنيس له، وتعرف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحًا»[٣].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول: «**بسم الله**»[٤].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بعضَهم، يمسحه بيمينه: «**أذهب الباس رب الناس**»[٥] الحديث.

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨٤).
(٢) البخاري (٥٦٦٠).
(٣) نقله في «فتح الباري» (١٣/ ٣٤)، طيبة.
(٤) قال الحافظ: «أخرجه أبو يعلى بسند حسن» (١٣/ ٣٥).
(٥) رواه البخاري (٥٧٥٠)، باب «مسح الراقي الوجع بيده اليمنى».

ويجوز أن ينفث الراقي مع قراءته، والنفث شبيه بالنفخ، فهو نفخ مع ريق يسير، وهو أقل من التفل، ومن السلف والخلف من رأى النفث بلا ريق.

وذهب بعض اللغويين إلى أن النفث هو نفخ ليس معه ريق بخلاف التفل.

وقال النووي: «النفث: نفخ لطيف بلا ريق»[١].

(١) «شرح التهذيب» (١٤/ ١٥٢).

الرقية وقاية وعلاج

تكون الرقية لدفع المرض أي منع حصوله حفظًا للصحة والعافية، ولرفعه بعد حصوله، والشفاء منه بإذن الله.

قال الإمام المحقق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا، وإن كان مؤذيًا.. فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال التأثير، بحسب كمال التعوذ، وقوته وضعفه، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»[(١)].

أولًا: نماذج من الرقية الوقائية:

١- عن أبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(٢)].

٢- وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»[(٣)]، وفي رواية: «**فليقل**» بالأمر.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

٣- وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما[١]، فقرأ فيهما[٢]:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٣].

٤- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما[٤].

٥- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من البَرَص، والجنون، والجُذام، ومن سيئ الأسقام**»[٥].

---

(١) أي: تفل بغير ريق أو مع ريقٍ خفيف، قال أبو عبيد: النفث شبيه النفخ، قال الصنعاني: «وهو أقل من التفل».

(٢) ظاهره أنه نفث أولًا ثم قرأ، ولم يقل به أحد؛ لأن النفث ينبغي أن يكون بعد التلاوة لتصل بركة القرآن إلى بشرته، وقيل معنى نفث: أراد النفث فقرأ، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ الآية [النحل:٩٨]، والمعنى: جمع كفيه، ثم عزم على النفث فيهما، فقرأ فيهما، وقال الحافظ: يقرؤها وينفث حال القراءة، وانظر «مرعاة المفاتيح» (٩/ ٦٠، ٦١).

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٩)، (٥٠١٧).

(٤) رواه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٥٠٩)، والبيهقي (٢٥٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (٥٠٦٩).

(٥) تقدم تخريجه (ص٤٥).

- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطانٍ وهامَّة[١]، ومن كل عينٍ لامَّة[٢]**»[٣].

وفي السنن: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامة**» الحديث[٤].

ثانيًا: نماذج من الرقية العلاجية:

١- عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وَجَعُه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها»[٥].

٢- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقاه جبريل»[٦].

٣- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان إذا اشْتَكَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقاه جبريل: «**بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين**»[٧].

---

(١) **الهامة:** واحدة من الهوام وهي ذوات السموم.

(٢) **اللامَّة:** بتشديد الميم أي ذات لمم، واللمم كل داء يلم من خبل أو جنون أو نحوهما. أي في كل عين تصيب بسوء.

(٣) رواه البخاري (٣٣٧١).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٣٧)، والترمذي (٢١٥٣)، وابن ماجه (٣٥٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٦٨٣)، وغيره.

(٥) رواه البخاري (٥٠١٦).

(٦) رواه مسلم (٢١٨٥).

(٧) رواه مسلم (٥٨٢٨).

٤- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»(١).

٥- وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرض أحد من أهله؛ نفث عليه بالمعوذات(٢)» الحديث(٣).

٦- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أمرني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أمر أن نسترقي من العين»(٤).

٧- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «**ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟**»(٥).

٨- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجارية رأى عليها أثر العين، في بيت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**بها نظرة فاسترقوا لها**»(٦).

٩- وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه شكا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦٣).

(٢) **المراد بالمعوذات:** سور الفلق والناس والإخلاص، وذكر سورة الإخلاص تغليبًا، لما اشتملت عليه من صفة الرب، وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ.

(٣) رواه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

(٤) رواه البخاري (٥٧٣٨)، ومسلم (٢١٩٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٤٤٢)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٠٤٨)، وضعفه محققو «المسند» (٤٠/ ٥٠٠).

(٦) رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧).

«**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا وقل: سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[١] هذا لفظ مسلم، وزاد غيره: «**ففعلتُ فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل أمر به أهلي وغيرهم**»[٢].

١٠- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كان يرقي؛ يقول: «**امسح الباسَ ربَّ الناسِ، بيدِك الشفاءُ، لا يكشف الكربَ إلا أنت**»[٣].

١١- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى مريضًا، أو أتي به إليه، قال: «**أذهب الباس، رب الناس، اشف، وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر**[٤] **سَقَمًا**»[٥].

١٢- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة سبابته بالأرض ثم رفعها: «**بسم الله، تربة أرضنا**[٦]، **بريقة بعضنا يُشفَى سقيمُنا بإذن ربِنا**»[٧].

---

(١) رواه مسلم (٥٨٦٧).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٧٠٩)، وأبو داود (٣٨٩١)، والترمذي (٢٠٨٠)، وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (١/ ٣٤٣) وصححه، وفي بعض رواياته: «**أعوذ بعزة الله وقدرته**».

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٥٠)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٦): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) **لا يغادر**: لا يترك، لأنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض، فيخلفه مرض آخر، أو ينتكس، فكأنه يدعو له بالشفاء المطلق، لا بمطلق الشفاء.

(٥) تقدم تخريجه (ص١٦١).

(٦) خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه تربة أرضنا.

(٧) رواه البخاري (٥٦٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم (٢١٩٤).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء ثم يتمسح به على الموضع لجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح[١]».

١٣- وعن أبي سعيد الخدري أن ناسًا من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب. فقال رجل منهم: نعم. فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل، فأعطي قطيعًا من غنم فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب. فتبسم وقال: «**وما أدراك أنها رقية؟**»، ثم قال: «**خذوا منها، واضربوا لي بسهم معكم**»[٢].

تنبيه: هناك أمراض تستقل الرقيا بعلاجها:

منها: العين والحسد، والسحر، وقد جاء في ذلك أحاديث صحيحة.

لكن العلاج بالرقى لا يقتصر عليها، بل يشمل الأمراض العضوية؛ لأن الرقية من باب الدعاء بالشفاء، وهذا لا يختص بمرض دون آخر، ولأن الأحاديث صحت بالرقية من الأمراض البدنية كالحُمة، وهي سم لدغة العقرب، وما يشبهها، وكذلك الرقية من القرحة والجرح، والرقية من

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٤/ ١٨٤)، وانظر «الفهم» للقرطبي (٥/ ٥٧٩، ٥٨٠)، و«فتح الباري» (١٠/ ٢١٩)، و«زاد المعاد» (٤/ ١٨٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٣٧).

النملة، وهي جروح تخرج في الجنب، والرقية من وجع الأذن، والحُمَّى، والألم الجسدي.

قال محيي السنة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تجوز الرقية بذكر الله في جميع الأوجاع»[1].

غير أنه لا تعارض بين العلاج بالرقية، والعلاج بالأدوية الطبية، بل ينبغي الجمع بينهما أخذًا بأسباب التداوي كلها.

(١) «شرح السنة» (٦/ ١٣٠).

ثانيًا: أسباب العافية من الإجراءات الطبية

(أ) الإجراءات الوقائية

١ - التحصين Immunization:

هو طريقة للوقاية يتم فيها إدخال الفيروس أو الميكروب مضعفًا أو ميتًا إلى جسم الإنسان حتى تتعرف عليه أجهزته المناعية، فتقوم بصنع الأجسام المضادة، فإذا ما هاجم الميكروبُ من هذا النوع الجسمَ في المستقبل، تمكن من مقاومته بما كوَّنه من أجسام مضادة، وهذا هو التحصين الإيجابي باللقاح.

أما التحصين السلبي فيتم بإدخال الأجسام المضادة في الجسم مباشرة (المصل). وهذا التحصين من نعم الله على البشرية؛ إذ غالبًا ما يحمي الجسم من الميكروب، ويكون سببًا في عافيته من بعض الأمراض بإذن الله.

٢ - الحجر الصحي:

وهو منع اختلاط المشتبه في إصابتهم بأمراض معدية بالأصحاء.

ويتم بحجز المرضى وعزلهم في أماكن خاصة، ولا يمكنون من الاختلاط بالأصحاء، طوال مدة حضانة المرض، وعند انقضائها يعالج إن ظهرت عليه أعراض الوباء، أو يسمح له بالخروج من الحجر مع إعطائه وثيقة تثبت خلوه من المرض.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، أَن عُمَرَ بَن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشام، فلما جاء سَرْغَ، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا سَمِعْتُم بهِ بأَرضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وَقَعَ بأَرضٍ، وأَنْتم بها، فلا تَخرُجوا فِرارًا منه**» فرجع عمر بن الخطاب من سرغ(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ**»(٢).

العدوى جزء سبب للمرض، وليست سببًا تامًّا:

وهذا الحديث يثبت العدوى، ولا يعارض الأحاديثَ التي تنفيها مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى**»، فقد نفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثير العدوى بنفسها لما فيه من الشرك، وأثبت الأسباب، التي لو شاء الله صرف مقتضياتها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٨٣)، والبخاري (٥٧٣٠)، ومسلم (٢٢١٩) وغيرهم.
وسَرْغ: قرية بوادي تبوك.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٩٢٦٣)، والبخاري (٥٧٧٠)، ومسلم (٢٢٢١) وغيرهما.
قوله: «**لا يُورِدُ ممرض على مصح**»، قال السندي: الممرض الذي له إبل مرضى، والمصح: صاحب الصحاح، وهو نهي للممرض أن يسقي أو يرعى إبله مع إبل المصح؛ لأن ذلك من الأسباب العادية للمرض، فلابد من النهي عنه.
تنبيه: ومن الإجراءات الوقائية في حالة انتشار وباء مثل الكورونا، والذي ينتقل عبر الرذاذ الصادر عن المريض: التباعد الاجتماعي (Social distancing)، مع وضع الكمامات لتقليل احتمال انتقال العدوى، والمحافظة على تعقيم الأسطح وأيدي وكل ما يحتمل تلوثه.

قال الإمام المحقق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وعندي في الحديثين مسلكٌ آخر يتضمَّن إثباتَ الأسباب والحِكَم، ونفيَ ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل، ووقوعَ النفي والإثبات على وجهه، فإنَّ القوم كانوا يثبتونَ العدوى على مذهبهم من الشرك الباطل، كما يقوله المنجِّمون من تأثير الكواكب في هذا العالم وسُعودها ونحوسها...

ولو قالوا: إنها أسبابٌ أو أجزاءُ أسبابٍ إذا شاء الله صرَف مقتضياتها بمشيئته وإرادته وحكمته، وإنها مسخَّرةٌ بأمره لِمَا خُلِقَت له، وإنها في ذلك بمنزلة سائر الأسباب التي رَبط بها مسبَّباتها، وجعَل لها أسبابًا أخرَ تعارضها وتمانعها، وتمنعُ اقتضاءها لِمَا جُعِلَت أسبابًا له.

وإنها لا تقتضي مسبَّباتها إلا بإذنه ومشيئته وإرادته، ليس لها من ذاتها ضرٌّ ولا نفعٌ ولا تأثيرٌ البتَّة، إنْ هي إلا خلقٌ مسخَّرٌ مصرَّفٌ مربوب، لا تتحركُ إلا بإذن خالقها ومشيئته، وغايتُها أنها جزءُ سببٍ، ليست سببًا تامًّا، فسببيَّتُها من جنس سببية وطء الوالد في حصول الولد، فإنه جزءٌ واحدٌ من أجزاء كثيرة من الأسباب التي خلق الله بها الجنين، وكسببية شَقِّ الأرض وإلقاء البذر، فإنه جزءٌ يسيرٌ من جملة الأسباب التي يُكَوِّنُ الله بها النبات، وهكذا جملةُ أسباب العالَم من الغذاء والدواء والعافية والسقم وغير ذلك.

وإن الله سبحانه يجعلُ من ذلك سببًا ما يشاء، ويبطلُ السببيَّةَ عمَّا يشاء، ويخلقُ من الأسباب المعارضة له ما يحولُ بينه وبين مقتضاه.

فهم لو أثبتوا العدوى على هذا الوجه لما أُنكِرَ عليهم.

كما أنَّ ذلك ثابتٌ في الداء والدواء، وقد تداوى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر بالتَّداوي[١]، وأخبر أنَّ ما أنزلَ الله داءً إلا أنزلَ له دواءً، إلا الهَرَم[٢]، فأعلمَنا أنه خالقُ أسباب الداء وأسباب الدواء المعارضة المقاومة لها، وأَمَرنا بدفع تلك الأسباب المكروهة بهذه الأسباب.

وعلى هذا قيام مصالح الدارين، بل الخلقُ والأمرُ مبنيٌّ على هذه القاعدة، فإنَّ تعطيلَ الأسباب وإخراجَها أن تكون أسبابًا تعطيل للشرع ومصالح الدنيا، والاعتمادَ عليها والركونَ إليها واعتقادَ أنَّ المسبَّاتِ بها وحدَها وأنها أسبابٌ تامةٌ = شركٌ بالخالق عَزَّوَجَلَّ وجهلٌ به وخروج عن حقيقة التوحيد، وإثبات سببيَّتها على الوجه الذي خلقها الله عليه، وجَعَلَها له إثباتٌ للخلق والأمر، للشرع والقدر، للسبب والمشيئة، للتوحيد والحكمة.

فالشارع يثبت هذا ولا ينفيه، وينفي ما عليه المشركون من اعتقادهم في ذلك.

ويُشْبِهُ هذا نفيُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشفاعة في قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣]، وفي قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ

(١) انظر «زاد المعاد» (٤/ ١٠، ١٣-١٧).

(٢) انظر الحديث (ص٢٦١)، والهَرَم: منتهى الكِبَر والشيخوخة.

﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وإثباتُها في قوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم:٨٧].

فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالُهم من المشركين، وهي شفاعةُ الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعُهم ودفع ما يضرُّهم بذواتها وأنفسها بدون توقُّف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يَشفعَ فيه الشافع، فهذه الشفاعةُ التي أبطلها الله سبحانه ونفاها، وهي أصلُ الشرك كلِّه، وقاعدتُه التي عليها بناؤه، وآخِيَّتُه التي يَرْجِعُ إليها.

وأثبتَ سبحانه الشفاعةَ التي لا تكونُ إلا بإذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع قولِه وعملِه، وهي الشفاعة التي تُنال بتجريد التوحيد، كما قال ﷺ: «**أسعدُ الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه**»(١).

والشفاعة الأولى هي الشفاعة التي ظنَّها المشركون، وجعلوا الشرك وسيلةً إليها.

فالمقامات ثلاثة:

أحدها: تجريدُ التوحيد، وإثباتُ الأسباب، وهذا هو الذي جاءت به الشرائع، وهو مطابقٌ للواقع في نفس الأمر.

(١) رواه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: الشرك في الأسباب بالمعبود، كما هو حالُ المشركين على اختلاف أصنافهم.

الثالث: إنكارُ الأسباب بالكليَّة محافظةً من مُنكِرها على التوحيد.

فالمنحرفون طرفان مذمومان؛ إمَّا قادحٌ في التوحيد بالأسباب، وإمَّا منكِرٌ للأسباب بالتوحيد، والحقُّ غيرُ ذلك، وهو إثباتُ التوحيد والأسباب، وربطُ أحدهما بالآخر، فالأسبابُ محلُّ حكمه الدِّينيِّ والكوني، والحُكمان عليها يجريان، بل عليها يترتَّب الأمرُ والنهي، والثوابُ والعقاب، ورضا الربِّ وسخطه، ولعنته وكرامته.

والتوحيدُ تجريدُ الربوبية والإلهية عن كلِّ شرك.

فإنكارُ الأسباب إنكارٌ لحكمته، والشركُ بها قدحٌ في توحيده، وإثباتُها والتعلُّقُ بالمسبِّب والتوكُّلُ عليه والثقةُ به والخوفُ منه والرجاءُ له وحده هو محضُ التوحيد والمعرفة.

ففرقٌ بين ما أثبته الرسول وبين ما نفاه، وبين ما أبطله وبين ما اعتبره، فهذا لونٌ وهذا لون، والله الموفِّق للصواب»[1] اهـ.

(١) «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٥٩٠ - ١٥٩٣)، ط. دار عالم الفوائد.

(ب) إجراءات علاجية

ومن أسباب العافية: التداوي:

الدواء: أي مادة مباحة، أو سبب شرعي، يستخدم في تشخيص أو معالجة الأمراض التي تحل بالإنسان، أو تخفيفها، أو الوقاية منها[(١)].

فالدواء يشمل الأدوية المحسوسة، كما يشمل الأسباب الإلهية كالرقية بالقرآن والدعاء.

أدلة مشروعية التداوي:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً**»[(٢)].

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يبلُغ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنزل الله داءً، إلا قد أنزل له شِفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[(٣)].

---

(١) انظر: «أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية» للدكتور حسن الفكي (ص٢٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٨).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنزل الله**» قال السندي: أي خلَقَ، ولما كان الخلق من الله تعالى بواسطة بعض الأسباب السماوية عبَّر عنه بالإنزال، وقيل: عبَّر عنه بالإنزال، لأن الأمر التكويني ينزل من السماء، قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥].

قوله: «شفاء»: أي: سبب شفاء، وهو الدواء.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥٧٨)، وقال محققو «المسند»: «صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن» (٦/ ٥٠).

- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أُصِيبَ دواءُ الداءِ؛ بَرَأَ بإذن الله**»(١).

- وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً إلا داءً واحدًا**»، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: «**الهَرَم**»(٢).

- ورُوي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: يا رسول الله! أرأيتَ رُقًى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاةً نتقيها، هل تردُّ مِن قَدَرِ الله شيئًا؟ قال: «**هي من قَدَرِ الله**»(٣).

فمِن ثَمَّ قال الإمام الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتحدث عن خصائص الأنبياء والمرسلين: «ومنها: دعوتهم إلى مصالح الأبدان، وهي علم الطب، الذي جملته حفظ الصحة على الصحيح، ورفع السقم عن السقيم» اهـ(٤).

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطب كالشرع وُضِعَ لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام، والذي وضع الشرع هو الذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح العباد»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢١٢٥)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وصححه الشيخ شعيب في «تحقيق زاد المعاد» (٤/ ١٣)، والألباني في «صحيح الترمذي» (١٦٦٠).

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٣٩٩)، وقال: «حسن صحيح»، وحسَّنه الألباني في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (ص١٣-١٥)، وقوَّاه بشواهده.

(٤) «المنهاج شرح شعب الإيمان» (١/ ٢٥٢).

(٥) «قواعد الأحكام» (١/ ٤) بتصرف.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكل، كما لا يُنافيه دفعُ داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدحُ في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن مُعَطِّلُها أن تركها أقوى في التوكل، فإنَّ تركَها عَجْزًا يُنافي التوكلَ الذي حقيقته اعتمادُ القلب على الله في حصول ما ينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطِّلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ عجزَه توكلًا، ولا توكُّلَه عجزًا»(١).

وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عرضت لي حالة لجأتُ فيها بقلبي إلى الله تعالى وحده، عالمًا بأنه لا يقدر على جلب نفعي ودفع ضُرِّي سواه، ثم قمتُ أتعرَّض بالأسباب، فأنكر عليَّ يقيني، وقال: هذا قدحٌ في التوكل. فقلت: ليس كذلك، فإن الله تعالى وضعها من الحكمة، وكان معنى حالي أن ما وضعت لا يفيد، وأن وجوده كالعدم.

وما زالت الأسباب في الشرع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف:٤٧].

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٥).

وقد ظاهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين دِرْعين، وشاور طبيبين، ولما خرج إلى الطائف لم يقدر على دخول مكة حتى بعث إلى (المطعم بن عدي) فقال: «**أَدخلُ في جِوارك**»، وقد كان يُمكنه أن يدخُلَ متوكِّلًا بلا سبب.

فإذا جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب، كان إعراضي عن الأسباب دفعًا للحكمة.

ولهذا أرى أن التداويَ مندوب إليه، وقد ذهب صاحبُ مذهبي[١] إلى أن ترك التداوي أفضل، ومنعني الدليل من اتِّباعه في هذا، فإن الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواءً، فتداوَوْا، ولا تَداوَوْا بحرام**»[٢].

ومرتبة هذه اللفظة (**فتداووا**) الأمر، والأمر إما أن يكون واجبًا، أو ندبًا، ولم يسبقه حظرٌ، فيُقال: هو أمر إباحة!

وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «تعلَّمت الطِّبَّ من كثرة أمراض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يُنْعَت له»[٣].

---

(١) يعني بذلك الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه أبو داود (٣٣٧٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٤٦٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٤).

(٣) ورد في «مسند ابن راهويه» (٢/ ٢٨) عن الشعبي قال: قيل لعائشة: يا أم المؤمنين، هذا القرآن تلقَّيتِه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا الحلال والحرام، وهذا الشِّعر والنَّسب والأخبار سمعتِها من أبيك وغيره، فما بال الطِّبِّ؟ قالت: «كان الوُفود تأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يزال الرَّجُل يشكو علَّته، فيسأله عن دوائها، فيُخبره بذلك، فحفظتُ ما كان يصفه لهم، وفهمته».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كُلْ من هذا، فإنه أوفَق لك من هذا**»[(١)].

ومن ذهب إلى أن ترْكه أفضل احتجَّ بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدخل الجنة سبعون ألفًا بلا حساب**» ثم وصفهم فقال: «**لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون**».

وهذا لا يُنافي التداوي؛ لأنه قد كان أقوام يكتوون لئلا يمرضوا -يعني كوقاية لا علاج-، ويسترقون لئلا تُصيبهم نكبة، وقد كوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن زرارة، ورخص في الرقية في الحديث الصحيح. فعلمنا أن المراد ما أشرنا إليه.

وإذا عرفت الحاجة إلى إسهال الطبع، رأيت أن أكل البلُّوط مما يمنع عنه عِلمي، وشُرب ماء التّمر عندي أوفق، وهذا طِبٌّ.

فإذا لم أشرب ما يوافقني، ثم قلتُ: اللهم عافني. قالت لي الحكمة: أما سمعت: «**اعْقِلْهَا وتَوَكَّل**»[(٢)]؟ اشربْ، وقل: عافني، ولا تكن كمن بين

---

(١) رواه الترمذي (٢١٢١) عن أم المنذر، قالت: دخل عليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه علي، ولنا دوالٍ معلقة. قالت: فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل، ومعه علي يأكل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: «**مَهْ مَهْ يَا عليُّ فإنك نَاقِهٌ**»، قال: فجلس علي والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل، قالت: فجعلت لهم سلقًا وشعيرًا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا علي مِن هذا فأصِبْ فإنه أوفقُ لك**»، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (١٦٥٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٠٤٤).

زَرْعِهِ وبين النهر كَفٌّ من تراب، تكاسَلَ أن يرفعه بيده، ثم قام يصلي صلاة الاستسقاء.

وما هذه الحالة إلا كحال مَن سافر على التجريد[١]، وإنما سافر على التجريب؛ لأنه يجرِّب ربه عَزَّوَجَلَّ هل يرزقه أو لا؟، وقد تقدم الأمرُ إليه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة:١٩٧]، فقال: لا أتزوَّد. فهذا هالك قبل أن يُهلِكه.

ولو جاء وقت صلاة وليس معه ماء، لِيَم على تفريطه، وقيل له: هلَّا استصحبت الماء قبل المفازة!

فالحذرَ الحذرَ من أفعال أقوام دقَّقوا فمرَقوا عن الأوضاع الدِّينيّة، وظنُّوا أن كمال الدين بالخروج عن الطِّباع، والمخالفة للأوضاع.

ولولا قوة العلم والرسوخ فيه، لما قدرتُ على شرح هذا ولا عرفته، فافهَم ما أشرتُ إليه، فهو أنفع لك من كراريس تسمعها، وكُن مع أهل المعاني لا مع أهل الحشو»[٢].

(١) أي سافر بغير زاد متجردًا عن الأعراض والأعواض.

(٢) «صيد الخاطر» (ص٩٢-٩٤) ط. مكتبة الكليات الأزهرية، وانظر كلامه في «الأسباب والمسبَّبات» (ص١٢٢-١٢٤).

الخاتمة

نسأل الله حُسْنَها، إذا بلغت الروحُ المنتهى

كل البشر، بل كل الكون وما فيه، خاضعون قانتون لله سبحانه قنوتًا اضطراريًّا، مستسلمون مُطيعون لإرادته الكونية لا يخرجون عنها أبدًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم:٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦]، وهذا هو الإسلام الإجباري الاضطراري الذي لا يخرج عنه أحد، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

وإنما الشأن في الإسلام الاختياري الإرادي فهو الذي أمر الله عباده به ووعدهم عليه الجنة ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٤].

وإن من الخصائص التي اختصَّ الله عَزَّوَجَلَّ بها نبيَّنا محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

أنه أرسله إلى الناس كافة، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهذه الرسالة المحمدية تخاطب جميع الناس بلا تخصيص، وهي موجهة إلى كل من كان في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وإلى كل من سيأتي بعده إلى يوم القيامة؛ لأنها خاتمة الرسالات السماوية.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وبيَّن جَلَّوَعَلَا أنه أوحى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القرآن؛ لينذر به قومه، وينذرَ به كُلَّ من بلغه هذا القرآن من العرب والعجم، وغيرهم من الأمم سواء كان موجودًا في زمانه أم سيأتي بعده إلى يوم القيامة، فقال عز من قائل: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمسًا لم يُعطهن أحدٌ قبلي**»، فذكر منهن: «**... وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامة**» [رواه البخاري].

فالحقيقة إذًا هي أن كل البشر هم (أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وسيحاسبون عن إيمانهم به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فماذا فعلت أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أمة الدعوة) إزاء رسالته، وكتابه، ودينه، وأمةِ إجابتهِ؟ لقد كذَّبوه، أو جحدوه، أو أعرضوا عن

دعوته، بل حاربوا أمة الإسلام، واضطهدوا أهله، وبذلوا النفس والنفيس ليصدوا عن سبيل الله ويبغوها عوجًا، واستحلوا سبَّ رسولهم (الذي أُرسِلَ إليهم)، وسبَّ دينه ووَصْمَه بالإرهاب، وطعنوا في شريعته وأحكامه، ويحسبونه ﴿هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

فسلَّط الله على البشرية كلها (أمةِ محمد) عذابَ الوباء الذي هو جندي من جنود الله، فَعَمَّ وطمَّ وأهلك الملايين، مصداقَ قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ [١] دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، وقد قال تعالى في أصحاب الجنة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

لقد سلَّطَ الله تعالى الكورونا هذا «القاتل الخفي» على أمة محمد ﷺ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦]، وهو القائل عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

وكعادة القوم ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾، واجتهدوا في صنع اللقاحات، وسائر ما يتخذ من «الإجراءات الاحترازية» المادية، ولكنهم

(١) العذاب هو النكال والعقوبة، والعذاب الأدنى هو كل عذاب عذَّب الله به أمة من الأمم، أو فردًا من الأفراد، في دار الدنيا، أو دار البرزخ، سواء أكان عامًّا (كطوفان نوح)، أو خاصًّا (كالخسف بقارون)، **حِسِّيًّا** (كغرق فرعون وجنوده، أو المسخ، أو الزلزلة، أو الصاعقة، أو الصيحة، أو الريح)، **أو معنويًّا** (كطمس البصائر، أو الختم على القلوب، أو عدم إجابة الدعاء)، بسبب التطاول على الخالق (بالشرك وتكذيب الرسل)، أو على المخلوق (بالقتل ظلمًا ونحوه).

صمتوا صمت القبور عن السبب الحقيقي لهذا البلاء وأمثاله، ولم ينبسوا ببنت شَفَة حول العلاج الحقيقي الذي يتجاوز ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وينفذ إلى طريق النجاة الحقيقي في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

بذنوبنا دامت بَلِيَّتُنا والله يكشفها إذا تُبنا

قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

الفهـــارس

أولًا: فهرس الأحاديث مرتبًا ألفبائيًّا

طرف الحديث	الصفحة
(أ)	
أبشر، إن الله يقول هي ناري	١٢٩
أبشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم	١٢٧
اتقي الله واصبري	١٣٤
أجل والحمد لله	٤٢
احفظ الله يحفظك	١٧١
ادع الله بشيء أو سله	٧٠
ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٢٠٢
ادعوا له طبيب بني فلان	١٦٨
إذا أراد الله بعبده الخير عجّل	١٠٧
إذا استيقظ أحدكم فليقل	٣٥
إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليتذكر	١٥٣
إذا خرج الرجل من بيته فقال	١٨٨
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا	٨٢، ٨٣، ٢٥٥
إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته	١٣٧
إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه	٦١
إذا وقع ببلد وأنتم بها فلا	٨٢

طرف الحديث	الصفحة
أذهب الباس رب الناس اشف	١٦١، ١٧٠، ٢٥١
ارقيها بكتاب الله	٢٣٤
ارموا بني إسماعيل فإن أباكم	٥٣
أسأل الله معافاته ومغفرته	٣٤
أسعد الناس بشفاعتي من قال	٢٥٨
أشد الناس بلاء الأنبياء	٩٩
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون	١١٨
أعجز الناس من عجز عن الدعاء	١٨٣
اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى	٢٣٧
أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة	٧٢
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد	٢٦٨
اعقلها وتوكل	٢٦٤
أعيذكما بكلمات الله التامة	٢٤٩
اغتنم خمسًا قبل خمس	٤٥
أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا	١١٦
أكيس المؤمنين أكثرهم للموت ذكرًا	١١٦
ألا إن القوة الرمي	٥٣
ألا إن الناس لم يؤتوا في الدنيا	٣١
ألا تدعو له طبيبًا	١٦٨
ألا تسألوني مم أضحك	١٢٤
ألا رجل يأتيني بخبر القوم	٧٦

طرف الحديث	الصفحة
ألحقني بالرفيق الأعلى	١٧٠
الذين بدل الله سيئاتهم حسنات	٧١
الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا	٧٩
الله أكثر	٢٠٢
اللهم أسألك الرضا بعد القضاء	١٣٩
اللهم اشف سعدًا	١٨٤
اللهم اشفه أو عافه	٨٦
اللهم أصلح لي ديني الذي هو	١٨
اللهم أنت خلقت نفسي وأنت	٣٥
اللهم إني أسألك العافية في الدنيا	٣٧
اللهم إني أعوذ برضاك من	٣٥، ٧١
اللهم إني أعوذ بك من البرص	٤٥، ٢٤٨
اللهم إني أعوذ بك من الحور	١٩
اللهم إني أعوذ بك من زوال	٣٥
اللهم إني عبدك وابن عبدك في قبضتك	١٤٠
اللهم اقسم لنا من خشيتك	١٣٥
اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني	٢٧
اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك	٨٦
اللهم عافني في بدني	٣٧
أما كان هؤلاء يسألون الله العافية	٤٦

طرف الحديث	الصفحة
أما لو قلت حين أمسيت أعوذ	١٨٩
أمرني النبي أن نسترقي من العين	٢٥٠
امسح الباس رب الناس	٢٥١
أنت رفيق والله الطبيب	١٦٧، ١٦٨
إن شئت صبرت ولك الجنة	١٨٣
انظروا إلى من أسفل منكم	٦٠
إن لم يكن بك عليّ غضب	٧٢
إنا كذلك يضعف لنا البلاء	١١٨
إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل	٢٤٩
إن ابن آدم لم يعط شيئًا أفضل	٢٧
إن الله أنزل الداء والدواء وجعل	٢٦٣
إن الله لم ينزل داءً إلا	١٦٨
إن الله يبغض كل جعظري	٢٠٩
إن أول ما يحاسب به العبد يوم	٤١
إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة	٤١
إن البلايا أسرع إلى من يحبني	١٠٢
إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب	١٨٣
إن ربكم حيي ستير يستحيي من عبده	١٨٢
إن الصالحين يشدد عليهم	١٠٠
إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة	١٢٠

طرف الحديث	الصفحة
إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته	١٢٧
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	١٠٢
إن العين تدمع والقلب يحزن	١٤٢، ١٥٢
إن في الجمعة لساعة لا يوافقها	٣٦
إن يونس النبي حين بدا له أن يدعو	١٧٣
إنها مباركة إنها طعام طعم	١٩٧
إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك	١٢٩
إنه كان عذابًا يبعثه الله على	١٣٠
أهد لنا من ماء زمزم	٢٠٠
أهي أم ملدم؟	١٢٨
أوما علمت أن المؤمن يشدد عليه	٩٩
أومخرجي هم؟	٩٢
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته	٢٠٧
(ب)	
بايعوني على أن لا تشركوا بالله	١٠٤
بسم الله أرقيك الله يشفيك	١٦٣
باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك	١٦٣، ٢٥٠
بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا	٢٥١
بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك	٢٤٩
بلى إنه ما من عبد يمرض	١١٥
بها نظرة فاسترقوا لها	٢٥٠

طرف الحديث	الصفحة
(ت)	
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في	١٧٤
تعوذوا بالله من جهد البلاء	١٨٧، ١٩٠
(ح)	
حفت الجنة بالمكاره وحفت	١١٩
الحمى حظ المؤمن من النار	١٢٩
الحمى كير من جهنم	١٢٩
(خ)	
خذوا منها واضربوا لي بسهم	٢٥٢
خصلتان من كانتا فيه كتبه	٦١
خير ماء على وجه الأرض ماء	١٩٨
(د)	
داووا مرضاكم بالصدقة	١٩٢
دعوة ذي النون إذ دعا ربه	١٨٥
دعوه فلو قضى شيء لكان	١٤١
(ذ)	
ذروني ما تركتكم فإنما هلك	٨٣
(ر)	
رفع القلم عن ثلاث	٢١٧
(س)	
سبحان الله وهل أنزل الله من داء	١٦٨

طرف الحديث	الصفحة
سبحان الله لا تستطيعه	٧٠
سبحان الله لا تطيقه ألا قلت	٧٠
سل الله العافية	٢٠
سل الله العافية في الدنيا والآخرة	٣٦
سل الله العفو والعافية في الدنيا	٢١، ٢٢
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين	٣٨
سلوا الله العفو والعافية فإن	٣٠
سمعتم بمدينة جانب منها في	١٧٩
(ص)	
الصبر عند الصدمة الأولى	١٣٤
صح الجسم يا خوات	١١٥
صدق سلمان	٥٠
الصدقة تمنع ميتة السوء	١٩١
صنائع المعروف تقي مصارع	١٩١
(ض)	
ضع يدك على الذي تألم من	٢٥١
(ط)	
الطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم	١٢٩
(ع)	
عالجيها بكتاب الله	٢٣٥
عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله	١٢٤

طرف الحديث	الصفحة
عجبت للمؤمن إن الله لا يقضي	١٢٤، ١٤٢
عليكم بقيام الله فإنه دأب	١٩١
(غ)	
غطوا الإناء وأوكوا السقاء	٢٠٤
غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض	١٠٦
(ف)	
فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله	١٩٢
فإن تمام النعمة فوز من النار	٢٨
فإن ذاك بذاك	١٠٦
فهو ما تجزون به	١٠٦
(ق)	
قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن	١٣٥
قد سألت البلاء فسل الله العافية	٨٤
قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني	٣٦
قل اللهم عافني من شر سمعي	١٤
قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين	١٩٠
قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم	٧٦
قم يا نومان	٧٧
قولي اللهم إنك عفو تحب	٢٤
(ك)	
كان إذا اشتكى رقاه جبريل	٢٤٩

طرف الحديث	الصفحة
كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	٢٤٩
كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة	٢٤٨
كان إذا عاد مريضًا يضع يده	٢٤٥
كان إذا مرض أحد من أهله	٢٣٥، ٢٥٠
كان أكثر دعوة يدعو بها يقول اللهم آتنا	٢٨
كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان	٢٤٨
كان يتعوذ من جهد البلاء	١٩٠
كان يحمل ماء زمزم في الأداوي	٢٠٠
كان يرقي يقول امسح الباس	٢٥١
كان يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه	٢٤٥
كل شيء ليس من ذكر الله فهو	٥٢
كيف قلت؟	٨٦
(ل)	
لست أبكي إنما هي رحمة	١٢٥
لعن الله العقرب لا تدع مصليًا	٢٣٥
لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل	٩٢
لكل داءٍ دواء فإذا أصيب	٢٦١
لما أراد الله حبس يونس في بطن	١٧٣
لما خلق الله الخلق كتب في كتاب	٧١
لن تؤتوا شيئًا بعد كلمة الإخلاص	٢٦
لو تعلمون ما ذخر لكم ما حزنتم	١٢١

طرف الحديث	الصفحة
لو تعلمون ما لكم عند الله لأجبتم	١٢١
لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية	٢٠٣
ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات	٧١
ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى	١٤٧
ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه	١٢٧
ليعز المسلمين في مصائبهم	١٥٤
ليودن أهل العافية يوم القيامة	١٢٢
(م)	
ماء زمزم لما شرب له	١٩٦
ما ابتلى الله عبدًا ببلاء وهو على طريقة	١٣٥
ما رأى بأسًا من استطاع منكم	٢٣٦
ما أنزل الله داءً إلا أنزل له	٢٦٠
ما أنزل الله داءً إلا قد أنزل له	٢٦٠
ما تسبقني؟	٥٣
ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة	٢٠٢
ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم	٢٥٠
مالك يا أم السائب تزفزفين	١٢٨
ما من دعوة أحب إلى الله	٢٣
ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل	٣٠
ما من شيء يصيب المؤمن في جسده	١٢٧
ما من عبد يصرع صرعة من مرض	١٢٨

طرف الحديث	الصفحة
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول إنا لله	١٣٣، ١٥٥
ما من مصيبة تصيب المسلم	١٢٦
ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة	١٢٦
ما يصيب المسلم من نصب	١٢٦
مثل المؤمن كمثل خامة الزرع	١٠٠
مثل المؤمن كمثل الخامة من	١٠١
مثل المؤمن مثل السنبلة	١٠١
ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب	١٠٧
من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به	١٠٤
من استطاع منكم أن ينفع أخاه	٢٣٢
من أصبح منكم آمنًا في سربه	٤٣
من تعلم الرمي ثم نسيه	٥٣
من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله	١٨٧
من رأى مبتلى فقال الحمد لله	١٨٧
من سأل القضاء واستعان عليه	٨٣
من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد	١٧١
من عاد مريضًا لم يحضره أجله	١٨٤
من علم الرمي ثم تركه	٥٣
من فتح له منكم باب الدعاء	٣٠
من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي	٤٤
من قال حين يصبح بسم الله الذي	١٨٨

طرف الحديث	الصفحة
من قال حين يمسي ثلاث مرات	١٨٩
من قالها في مرض ثم مات لم تطعمه النار	١٨٤
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة	٢٤٧
من نزل منزلًا فقال أعوذ بكلمات	٢٤٧
من يتصبر يصبره الله	١٣٣
من يرد الله به خيرًا يصب منه	١١٨
المؤمن القوي خير وأحب	٤٨
(ن)	
نزل الحجر الأسود من الجنة	٢٠٣
نعمتان مغبون فيهما كثير	٤٣
نعم عباد الله تداووا فإن الله	٢٦١
نعم يجزى به المؤمنون في الدنيا	١٠٧
نهى عن النذر	٨٣
(هـ)	
هو خير لكما من خادم	١٧٨
هي من قدر الله	٢٦١
(و)	
وأسألك الرضا بعد القضاء	٨٥، ٨٦
وإن لنفسك عليك حقًّا	٥٠
ورسول الله يحب معك العافية	٧٤
وصب المؤمن كفارة لخطاياه	١٢٨

طرف الحديث	الصفحة
ولا تجعل مصيبتنا في ديننا	١٨
ولا يزال عبدي يتقرب إلي	١٧٦
وما أدراك أنها رقية	٢٣٧، ٢٥٢
(لا)	
لا بأس بالغنى لمن اتقى الله	٤٢
لا تزول قدما ابن آدم يوم	٥٠
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى	٥٠
لا تسأل الإمارة فإنك إن	٨١، ٨٣
لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا	١٢٨
لا تسبيها فإنها تغسل ذنوب	١٢٨
لا تقوم الساعة حتى يغزوها	١٧٩
لا عدوى	٢٥٥
لا يرد القدر إلا الدعاء	١٨٣
لا يورد ممرض على مصح	٢٥٥
(ي)	
يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك	٥٠
يا بن آدم أتدري ما تمام النعمة	٢٨
يا بن عوف إنها رحمة	١٥٢
يا أيها الناس أي ما أحد من الناس أصيب	١٥٣
يا أيها الناس سلوا الله المعافاة	٢٦
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء	٧٣، ٧٤، ٨٣

طرف الحديث	الصفحة
يا عباس يا عم رسول الله سل الله	٢٠
يا علي من هذا فأصب فإنه أوفق لك	٢٦٤
يا عم أكثر الدعاء بالعافية	٢٠
يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك	١٧١
يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم	١٠٧
يدخل الجنة سبعون ألفًا بلا حساب	٢٦٤
يصبح على كل سلامى من أحدكم	٤٤
يعقد الشيطان على قافية رأس	١٨٠
يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء	١٥٢
يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار	١١٩
يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال	٧٢

ثانيًا: فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥

الباب الأول: كنز العافية

فصل: معنى العافية..... ١١
فصل: الدعوة بالعافية جامعة كافية..... ١٤
فصل: عافية الدين فوق كل عافية..... ١٨
فصل: أكثرِ الدعاءَ بالعافية..... ٢٠
المعافى والمبتلى كلاهما يحتاج إلى الدعاء بالعافية..... ٢٤
فصل: عافية الدنيا والآخرة خير ما يُعْطاه المرء بعد التوحيد..... ٢٦
دعاء: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ إلخ دعاء بالعافية في الدارين.... ٢٨
فصل: صِيَغ الدعاء بالعافية..... ٣٣
أولًا: الأدعية المطلقة (وِرد الدعاء بالعافية)..... ٣٣
ثانيًا: الأدعية الموظفة..... ٣٤
موتى المسلمين يحتاجون إلى أن ندعو لهم بالعافية..... ٣٨

الباب الثاني: عافية البدن

فصل: نعمة عافية البدن..... ٤١
مما يُدفع به البلاء في عافية البدن: التعوذ بالله تعالى من سيئ الأسقام..... ٤٥

ومن ذلك: الدعاء بالعافية..... ٤٦
إرادة الله وحده قصدتك عينًا بالمعافاة من آلاف الأمراض والاضطرابات.... ٤٧
فصل: ركنا عافية البدن: التغذية الصحية، والرياضة البدنية..... ٤٨
فصل: «وبِضِدِّها تتبين الأشياءُ»..... ٥٥
فصل: لا يُنْسِينَّك بلاء واحد أضعاف أضعافه من العافية..... ٦٠
﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]..... ٦٩
فصل: عافية الله أوسع من عقوبته..... ٧٠
فصل: النهي عن تمني البلاء..... ٧٣
فصل: لا تتمَنَّيَنَّ مَحْضَرًا غيَّبَك اللهُ عنه..... ٧٦
فصل: إذا ابتلى الله سبحانه العبد، وقَدَّر عليه؛ أعانه، وإذا تعرَّض العبد
بنفسه إلى البلاء، وَكَلَه الله إلى نفسه..... ٨١
فصل: إنما يستحب الدعاء بالصبر بعد وقوع البلاء لا قَبلَه..... ٨٤

الباب الثالث: حال المؤمن عند الابتلاء

فصل: الابتلاء سنة حتمية..... ٩١
سنة الابتلاء أشد انطباقًا على صفوة الله من خلقه الأنبياء والمرسلين..... ٩٢
في كل وادٍ بنو سعد..... ٩٤
فصل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾..... ٩٥
فصل: أشد الناس بلاءً..... ٩٩
إذا أحب الله قومًا ابتلاهم..... ١٠٢

فصل: قد يكون البلاء عقوبة على الذنوب..... ١٠٣
ذكر بعض ما ورد من الآثار في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾..... ١٠٤
فصل: من فوائد المصائب والرزايا..... ١١٠
ومن فوائد البلاء: رحمة أهل البلاء، ومساعدتهم على بلواهم..... ١١٢
البلاء إيقاظ للمبتلى وعتاب..... ١١٣
البلاء ينبه العبد إلى التوبة..... ١١٤
فصل: في طيِّ البلاء نِعَمٌ مَخْفِيَّة..... ١١٧
فصل: مَنْ تلمَّحَ حلاوة العاقبة؛ هانت عليه مرارة الصبر..... ١٢١
فصل: كل أمر المؤمن خير له..... ١٢٤
فصل: المرض يُكفِّر الخطايا..... ١٢٦
فصل: ومما يجب على المبتلى: الصبر الجميل..... ١٣٢
فصل: الرضا بقضاء الله وقدره..... ١٣٨
الفرق بين الصبر والرضا..... ١٣٨
تعريف الرضا..... ١٤٠
من معاني الرضا: الرضا بما قسم الله من المعيشة..... ١٤١
الراضي يفوض أمره إلى الله تعالى..... ١٤١
الرضا موجب لرضوان الله عن العبد..... ١٤٤
رضوان الله أفضل من الجنة وما فيها..... ١٤٤

فصل: بين «الرضا» و«التقبل»..... ١٤٥
ما يمتاز به «الرضا» عن «التقبل»..... ١٤٨
فصل: ما يُسَلِّي عند فقدِ الأحبة بالموت..... ١٥١
معنى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾..... ١٥٥

الباب الرابع

من أسباب العافية البدنية الشرعية والطبية

أولًا: أسباب العافية من الوحي الشريف..... ١٥٩
فصل: أخص خصائص الطب الإسلامي الاعتقاد الجازم في أن الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الشافي..... ١٥٩
(١) من أسباب العافية: التوسل إلى الله سبحانه باسمه الشافي..... ١٦١
«الشافي» من أسماء الله الحسنى..... ١٦١
تنبيه خطير: بعض المعالجين النفسيين يقول: «اختر لنفسك إلهًا أيًّا ما كان، وتَوجَّه إليه لتستمدَّ منه القوة»..... ١٦٤
الحياد ينسف العقائد، ويقتل المبادئ، ويُبطل دعوة جميع الرسل، ويُسوِّي بين الإله الحق وبين ما عداه من الآلهة المزيفة..... ١٦٥
مبدأ «التعددية العقائدية» أضرّ شيء على الجنس البشري..... ١٦٦
فصل: الله عَزَّوَجَلَّ هو الطبيب..... ١٦٧
لا يُكره تسمية المعالج طبيبًا..... ١٦٨
(٢) من أسباب العافية: التعرف إلى الله في الرخاء..... ١٧١

معرفة العبد لربه نوعان: عامة، وخاصة..... ١٧٥
معرفة الله تعالى لعبده نوعان: عامة وخاصة..... ١٧٥
(٣) من أسباب العافية: ذكر الله تعالى..... ١٧٨
أثر ذكر الله سبحانه في تقوية البدن ونشاطه..... ١٧٨
(٤) ومن أسباب العافية: الدعاء..... ١٨٢
من أدعية الكرب والأمور المهمة..... ١٨٦
ومن الأدعية الموظفة التي تحفظ من الشرور والبلايا..... ١٨٧
(٥) ومن أسباب العافية: قيام الليل، والصدقة، وفعل الخير والإحسان.... ١٩١
(٦) ومن أسباب العافية: شرب ماء زمزم بنية الشفاء..... ١٩٤
فضائل ماء زمزم..... ١٩٦
فضيلة ماء زمزم حاصلة ولو حُمِلَ إلى موضع آخر خارج مكة المكرمة.... ١٩٩
تنبيه: قد يتخلف الشفاء عن بعض من يشربون زمزم لمانعٍ قام بهم..... ٢٠١
لا يُتقبل دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ..... ٢٠٢
(٧) ومن أسباب العافية: تغطية الأواني، وإيكاء الأسقية..... ٢٠٤
(٨) ومن أسباب العافية: الرقيا..... ٢٠٦
مدخل إلى فقه الرقيا..... ٢٠٦
أعظم مصادر المعرفة الوحي الشريف..... ٢٠٦
قامت المعرفة في الغرب على الحس والعقل، وأهملت الوحي والفطرة.... ٢٠٧

حقائق الوجود لا تنحصر في المُحَسَّات..... ٢٠٧
أركان الإيمان كلها غيب..... ٢٠٧
نكتة البدل في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾..... ٢٠٨
العلم والغيب لا يتعارضان..... ٢١٠
الإنسان روح وجسد..... ٢١٢
علم النفس يُقصي الاعتقاد في «الشيطان» وتأثيره على النفوس..... ٢١٣
تميز موقف المسلمين عبر تاريخهم من المرضى النفسيين وأمراضهم..... ٢١٥
الباراسيكولوجي أو علم نفس الخوارق..... ٢١٨
مستويات العلاج..... ٢٢٤
الموقف من الرقيا، ونقد أخطاء بعض الرقاة..... ٢٢٤
تعريف الرقية لغة واصطلاحًا..... ٢٢٨
حكم الرقية وأدلته..... ٢٣٠
ما اشترطه بعض العلماء في الرقية المشروعة..... ٢٣٣
هل الرقية توقيفية؟..... ٢٣٦
السببية مبدأ ضروري عقلي فطري..... ٢٣٩
الرقية براقيها وقبول المحل..... ٢٤٢
كيفية الرقية..... ٢٤٥
الرقية وقاية وعلاج..... ٢٤٧

هناك أمراض تستقل الرقيا بعلاجها..... ٢٥٢
ثانيًا: أسباب العافية من الإجراءات الطبية..... ٢٥٤
(أ) الإجراءات الوقائية..... ٢٥٤
١- التحصين..... ٢٥٤
٢- الحجر الصحي..... ٢٥٤
العدوى جزء سبب، وليست سببًا تامًّا..... ٢٥٥
(ب) إجراءات علاجية..... ٢٦٠
التداوي..... ٢٦٠
أدلة مشروعية التداوي..... ٢٦٠
التداوي لا ينافي التوكل..... ٢٦٢
الإمام ابن الجوزي في حوارٍ مع نفسه يناقش حكم التداوي، وينتهي إلى
القول بأنه مندوب إليه..... ٢٦٢
الخاتمة..... ٢٦٧
حول المسكوت عنه في سبب وباء كورونا وعلاجه..... ٢٧٠
فهرس الأحاديث..... ٢٧١
فهرس الموضوعات..... ٢٨٥

تم بحمد الله

رَوَاء الظَّمَاء

بشرح أذكار الصباح والمساء

إعداد

محمد إسماعيل المقدَّم

عفا الله عنه

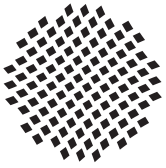

دار الأمل

للطبع والنشر والتوزيع

الوفاء

إعداد
محمد إسماعيل المقدّم
عفا الله عنه

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

الأوراد المأثورة

إعداد
محمد إسماعيل المقدّم
عفا الله عنه

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

الشهادتان

أول واجب على المكلفين

إعداد

محمد إسماعيل المقدَّم

عفا الله عنه

دار الأمل

للطبع والنشر والتوزيع